جامعـــة عـــدن
كليـــة الآداب
قســـم التاريخ

الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ودوره في إحياء الدولة الزيدية في اليمن (٥٩٣ - ٦١٤هـ)

إعداد
محمد عبدالله سعيد سالم الميسري

إشراف
الدكتور / محمد صالح بلعفـــــير

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي
بكلية الآداب – جامعة عدن

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد أن هذه الرسالة قد أنجزت تحت إشرافي بكافة مراحلها وأرشحها للمناقشة :

المشرف العلمي : الدكتور / محمد صالح بلعفــير .

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ

رئيس وأعضاء لجنة المناقشة :

الاسم	التوقيع
١ ـــ أ . د . محمد كريم إبراهيم الشمري	
٢ ـــ أ . د . محمد عبده السروري	
٣ ـــ أ . م . د . محمد صالح بلعفير	

الإهداء

إلى روح من رحل عنا ونحن في أمسّ الحاجة إليه .... والدي العزيز

إلى من أبدلنا الله به والداً آخر .... خالي عبد الله

إلى من كانت لنا الأم والأب معاً .... والدتي العزيزة

إلى من شاركتني هموم هذه الرسالة .... زوجتي العزيزة

إلى فرحة الحاضر وأمل المستقبل .... ابنتي مرام

إلى أخوتي و أقاربي ....

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل .

محمـــد

شكر وتقدير

أتقدم هنا بالشكر الجزيل إلى أستاذي القدير الدكتور / محمد صالح بلعفير ، الذي كان له الفضل الأول في إختياري لهذا الموضوع ، كما أشكر له طيب المعاملة ، وتواضعه الجم ، واحترامه لمواعيد العمل ، والنصح ، والإرشاد الذي حَظيت به خلال مدة إنجاز هذه الرسالة .

ولا يفوتني أيضاً أن أخص بالشكر أساتذة ومدرسي قسم التاريخ بكلية الآداب ، وموظفي مكتبة كلية الآداب ، والمكتبة الوطنية ، ومكتبة مسجد أبي ذر الغفاري ، الذين مدوا لي يد العون والمساعدة كلٌ حسب مجاله وتخصصه .

بيان الرموز والاختصارات .

ت	:	توفي
تح	:	تحقيق
ج	:	جزء
د . ت	:	بدون تاريخ الطبع
ط	:	طبعة
ق	:	ورقة
م	:	ميلادية
مج	:	مجلد
هـ	:	هجرية

الأكوع ، هجر : الأكوع ، إسماعيل بن علي ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ــ بيروت ، دار الفكر ــ دمشق ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

الحجري ، مجموع : الحجري ، محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تح : إسماعيل بن علي الأكوع ، ط ٢ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

المقحفي ، معجم : المقحفي ، إبراهيم بن أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ط ٢ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

N . C : *Numismatic Chronicle , London .*

R . S . O : *Rivista degli Studi Orientali* .

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

ص

الموضوع الصفحة

الملاحـــــــق :

الموضوع الصفحة

" ربِ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن
أعمل صالحاً ترضا ه وأدخلني برحمتكَ في عبادك الصالحين"

النمل : الآية (١٩)

المقدمــــة

أ) نطاق البحث :

إن الدارس للتاريخ الإسلامي لليمن عامة وتاريخ المناطق الشمالية والشمالية الشرقية خاصة ، يدرك الدور الكبير الذي قام به الزيدية في تلك المناطق منذ قيام دولتهم الأولى في سنة ٢٨٤ هـ على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وحتى عصرنا الراهن ، ونظراً لأهمية هذا الدور فقد حَظيت الزيدية في اليمن بعدد كبير من الأبحاث والدراسات التي حاول كلٌ منها إلقاء الضوء على جانب من جوانبها ، ومع كثرة وأهمية هذه الأبحاث والدراسات ظل تاريخ الزيدية في اليمن يفتقر لمزيد من البحث والدراسة في كثير من مراحله ، وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار الكم الهائل من المخطوطات التي خلفها الأئمة وعلماء الزيدية ، والتي اشتملت على كثير من المواضيع الفقهية والأدبية والفكرية ، ناهيك عن كتب التاريخ والسير التي كان لها الأثر الأكبر في الحفاظ على تراث وتاريخ هذه الفرقة .

ومع اعترافي باهتمامي الكبير بالزيدية وميلي الشديد للكتابة عنها منذ مدة طويلة ، إلا أنني أعترف أيضاً بأن هذا الاهتمام انحصر في الحياة الفكرية وعلم الكلام دون سواهما ، وأنني كنت أجهل الكثير عن موضوع هذا البحث .

إن الكتابة عن الدولة الزيدية في اليمن في أي من مراحلها لابد وأن تقودنا إلى الكتابة عن الأئمة الزيدية ، الذين قامت عليهم هذه الدولة . ولما كان الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من أبرز الأئمة الزيدية في اليمن ، فقد كان من الأهمية بمكان القيام بدراسة أكاديمية متكاملة عنه وعن دولته المنصورية ، ولإلقاء الضوء من جانب آخر على تاريخ الدولة الزيدية خلال أواخر القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع ، ولاسيما مع غياب مثل هذه الدراسة ، وتوافر المادة العلمية لها ، وكثرة الجدل الدائر حول هذا الإمام في الآونة الأخيرة ، فضلاً عن جهل الكثيرين من أبناء اليمن بتاريخ هذه المرحلة . وجاء إختياري لهذه المدة (٥٩٣ ــ ٦١٤ هـ) على اعتبار أنها المدة التي انطلق منها عبد الله بن حمزة نحو الإمامة الزيدية ومثلت في الوقت نفسه تحولاً مهماً في تاريخ اليمن الإسلامي .

هذا وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد وأربعة فصول رئيسة وخاتمة :

يشتمل التمهيد على مقدمة تاريخية موجزة عن تاريخ الدولة الزيدية في اليمن منذ قيامها في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري حتى قيام الإمام المنصور بالله عبد الله ابن حمزة ، بإحياء هذه الدولة في مرحلة تاريخية اختفت فيها الإمامة الزيدية ردحاً طويلاً

من الزمن ، وخاصة مع غياب الشخص المؤهل لتوليها ، ووجود الدولة الأيوبية القوية التي يصعب مواجهتها .

ويتناول الفصل الأول الجوانب الشخصية للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ابتداء من نسبه ومولده ، و نشأته وتعليمه ، والحالة السياسية والإجتماعية التي تزامنت مع ذلك ، وأثر ذلك كله على شخص الإمام ، ثم يستعرض هذا الفصل صفات الإمام وعاداته اليومية ومدة إحتسابه التي كانت بدايتها سنة ٥٨٣ هـ ، وبيعته للإمامة سنة ٥٩٤ هـ ، والعوامل التي ساعدته على القيام بها ، على الرغم من صغر سنه وكثرة معارضيه وضعفه السياسي والعسكري ، كما يتناول هذا الفصل أولاد الإمام و أزواجه ووفاته .

ويبحث الفصل الثاني في الصراع السياسي والعسكري الذي خاضه الإمام عبد الله بن حمزة مع الأيوبيين في اليمن ، لأننا لا نستطيع أن نتحدث عن الأيوبيين في اليمن دون الإشارة إلى الإمام عبد الله بن حمزة ، والعكس صحيح ، فقد عاصر هذا الإمام معظم ملوك الدولة الأيوبية ، وكانت حالة كل طرف تؤثر سلباً وإيجاباً على الطرف الآخر ، فعندما تضعف الدولة الأيوبية يزداد نفوذ الإمام ، وعندما يضطرب حال الإمام ويواجه ظروفاً سياسية وإقتصادية صعبة يساعد ذلك الأيوبيين في صراعهم معه والسيطرة على الحصون والمناطق التابعة لنفوذه .

وقد اختلفت أحوال الإمام عبد الله بن حمزة مع كل ملك أيوبي ، فبينما نرى سكون دعوته في عهد الملك العزيز طغتكين بن أيوب نتيجة لقوة هذا الملك وحنكته السياسية ، نرى ظهورها جلياً في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين نظراً لعبثه وظلمه ، ثم نراها تتراجع في عهد الملك الناصر أثناء وصاية الأتابك سنقر صاحب الشخصية القوية الحازمة ، لكنها ما لبثت أن عادت بقوة بعد وفاة الأتابك سنقر وتحول الوصاية إلى الأتابك غازي بن جبريل الذي سفك الدماء وعاث في الأرض فساداً ، ولم يتغير الأمر كثيراً في عهد الملك المعظم سليمان شاهنشاه الذي إنغمس في الملذات وأهمل أمور السياسة ، فوجدها الإمام فرصة سانحة لتوسيع دولته على حساب الدولة الأيوبية ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً وخاصة مع قدوم الملك المسعود بن الملك الكامل من مصر على رأس حملة عسكرية ثالثة إلى اليمن ، وكان الهدف من ورائها إعادة الهيبة للدولة الأيوبية واسترجاع المناطق والبلدان التي سيطر عليها الإمام عبد الله بن حمزة ، وهو ما تم فعلا وأدى لاحقاً إلى انهيار الدولة المنصورية .

أما الفصل الثالث فيتناول العلاقات السياسية للإمام عبد الله بن حمزة مع مختلف الأطراف الداخلية والخارجية ، مثل علاقة الإمام مع القبائل التي انقسمت بين مؤيد ومعارض له ، وأسلوب الإمام في التعامل معها ، ثم يعرج هذا الفصل على علاقة الإمام

مع سلاطين بني حاتم والذين اختلف موقفهم حوله كاختلاف القبائل ، فبينما وقف معه السلطان علي بن حاتم وأولاده ،عارضه السلطان بشر بن حاتم وأولاده ، كذلك يتناول هذا الفصل موقف الأشراف الزيدية من الإمام ، وحربه مع الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان ، وموقف آل الهادي منه ، وخلافه مع القاضي محمد بن نشوان الحميري ، وأخيراً يتطرق هذا الفصل لعلاقة الإمام مع الزيدية في بلاد الجيل والديلم وطبرستان ، وكذا علاقته مع الأشراف في الحجاز ، وموقف الخلافة العباسية منه ، واتصالاته مع الكرد والترك في بلاد الشام .

أما الفصل الرابع فقد كُرّس لدراسة المظاهر الحضارية في عهد الإمام عبد الله بن حمزة ، وقد تم تقسيمه إلى أربعة أقسام :

- **القسم الأول** : يتناول المظاهر السياسية والإدارية في الدولة المنصورية ابتداء من نظام الولاية ومروراً بنظام القضاء والحسبة ، ثم يتناول الجيش والتدريس وديوان الإنشاء والبريد وجمع الحقوق .
- **القسم الثاني** : يتناول المظاهر الإقتصادية من سك العملة ، والموارد المالية للدولة المنصورية ، ومصارف هذه الموارد ، كما يتحدث هذا القسم عن الصناعة والتجارة وأثرهما على الحياة الإقتصادية في الدولة المنصورية .
- **القسم الثالث** : يتناول المظاهر العمرانية في الدولة المنصورية بمختلف أشكالها العسكرية والدينية والمدنية .
- **القسم الرابع** : يتناول المظاهر الفكرية في عهد الإمام عبد الله بن حمزة ، وأهمها : نشوء الفرقة المُطرّفية ، وعقائدها ، والمسوغات التي استند عليها الإمام في تكفيرها و إعلان ردتها عن الإسلام ، وبالتالي استباحتها ، كذلك يتناول هذا القسم موقف الإمام من الشيعة الإمامية ورده على أقوالهم ومعتقداتهم ، كما يستعرض هذا القسم أسباب الاختلاف بين الزيدية وأهل السنة ، وموقف الإمام عبد الله بن حمزة من هذا الاختلاف ، وأهم المؤلفات الفكرية والأدبية والفقهية لهذا الإمام ، ونختتم هذه الرسالة بخاتمة تلخص أهم ما ورد فيها .

ب) تحليل المصادر :

مما لاشك فيه أن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة كان إماماً ، وعالماً ، وفقيهاً ، وشاعراً ، وأديباً ، ونظراً لهذه الصفات فقد خلف لنا مجموعة كبيرة من المؤلفات في مختلف فنون المعرفة الفكرية والفقهية والأدبية والسياسية ، ويبدو أن من حسن حظنا أن تقوم مؤسسة علمية (١) في الآونة الأخيرة بعملية منظمة وهادفة لتحقيق وطبع وإخراج هذه المؤلفات إلى حيز الوجود ، وهي بذلك يسّرت للجميع الإطلاع عليها بعد أن كانت حبيسة الأدراج في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، والمكتبات الخاصة لعدد من علماء الزيدية ، بالإضافة إلى المكتبات الأجنبية ، وذلك ــ ولا ريب ــ قد وفر علينا عناء البحث ومشقة السفر ، وفي الوقت نفسه أغنى رسالتنا بمجموعة من المخطوطات التي كان من الصعوبة الوصول إليها والإستفادة منها قبل ذلك ، ولذلك فقد اعتمدت في هذه الرسالة بشكل أساسي على :

١ ــ مؤلفات الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة :

أ ــ كتاب : " **العَقد الثمين من أحكام الأئمة الهادين** " ، ويحوي على وجوه الخلاف بين الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية في مسائل عديدة ، ولهذا اعتمدت عليه في توضيح هذه الوجوه ، وموقف الإمام عبد الله بن حمزة منها وأقواله في الفرقة الإمامية .

ب ــ كتاب : " **مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة** " ، ويتكون من ثلاثة أقسام ، تمكنا من الحصول على القسم الأول والثاني ، بينما مازال الثالث تحت الطبع.

- **القسم الأول :** يعد من المصادر التي أمدتنا بمعلومات غاية في الأهمية فيما يخص العلاقة التي ربطت الإمام عبد الله بن حمزة بالفرقة المُطرّفية ، وخاصة عقائد هذه الفرقة كما يراها هذا الإمام ، واعتقاده بكفرها ، والمسوغات التي استند عليها في هذا التكفير ، كذلك يضم هذا القسم إقرار الإمام بحكمه سبي المُطرّفية ، والأسباب التي دفعته لهذا الحكم ، مستنداً في ذلك على عدد من الوقائع والأحداث التي مرت بعدد من الخلفاء الراشدين مع بعض الفرق والمرتدين .

---

(١) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، الأردن .

- **القسم الثاني** : ويحوي عشرات الرسائل والمسائل التي تبدأ بمسائل المدقق في الكفر البريء عن الإيمان وينتهي بتزويج آدم لبنيه ، إلا أن أهم مافيه " رسالة الإيضاح بعجمة الإفصاح " ، التي رد فيها الإمام على مطاعن القاضي محمد ابن نشوان الحميري ، وكذلك إعتقاد الإمام في رؤية الله تعالى يوم القيامة ، وموقفه من الصحابة وغيرها من أمور العقيدة .

ج ــ كتاب : " **المهذب في فتاوى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة** " ، وقد اعتمدت عليه في توضيح أقوال الإمام في الولاة ، ومن تجوز توليته ومن لا تجوز ، ومالهم فعله وما ليس لهم فعله ، وفيما يجوز للمحتسب وما لا يجوز ، إضافة إلى موقفه من المرتدين وأحكامه فيهم ، وقوله في الغنائم ، وغيرها من المسائل في العبادات والمعاملات .

د ــ كتاب : " **الشافي** " ، الذي يتكون من مجلدين يحتوي كل مجلد على جزئين ، ويعد هذا الكتاب من مفاتيح أسانيد الزيدية ، ولولا عدم وجود الفهارس فيه ــ والتي يصعب بدونها البحث والاستدلال ــ لكان من أفضل المؤلفات التي يستطيع الباحث الإعتماد عليها عند دراسة المذهب الزيدي ، وأقوال واجتهادات الإمام عبد الله بن حمزة في مختلف المسائل .

٢ ــ كتب السير والتراجم :

أ ــ كتاب : " **السيرة المنصورية سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (٥٦١ ــ ٦١٤ هـ)** " ، لمؤلفه أبي فراس بن دعثم الصنعاني ، المتوفى بعد سنة ٦١٤ هـ ، والذي قام بتحقيقه الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي ، ويتكون هذا الكتاب من مجلدين يحتويان على الجزئين الثاني والثالث من السيرة المنصورية التي فُقد الجزءان الأول والرابع منها . وعلى الرغم من الخلاف الذي نشأ بين المؤرخين حول مؤلف هذه السيرة ، التي نسبها البعض إلى القاضي علي بن نشوان الحميري ، والبعض الآخر إلى أبي فراس بن دعثم ، وذهب آخرون إلى أن مؤلفها هو الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي ، إلا أن الدكتور عبد الغني محمود عبد العاطي قام ببحث مستقل عن هذا الموضوع [١] ، أثبت فيه أن هذه السيرة التي بين أيدينا هي من تأليف أبي فراس بن دعثم الصنعاني ، وأنه لا توجد سيرة أخرى بهذا الحجم إلى جانب هذه السيرة .

إن هذا الكتاب يعد الركيزة الرئيسة التي قامت عليها هذه الرسالة ، نظراً للمعلومات التاريخية المهمة التي احتواها ، كما أنه سهل علينا كثيراً إنجاز هذا العمل ، فقبله كانت هذه

---

(١) عبد الغني محمود عبد العاطي ، " أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد العاشر ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٢٤ ــ ٢٦٣ .

السيــرة مجــرد مخطوطــة موجــودة في مكتبة الامبروزيانا تحت رقم Mss ARAB 52 (الجزء الثاني) ، ومخطوطة أخرى موجودة في المكتبة الغربية بالجامع الكبيــر بــصنعاء تحت رقم (١١٨) تاريخ وتراجم (الجزء الثالث) ، فأما المخطوطة الأولى فمن الصعوبة علينا الحصول عليها ، وهذا يكفي لعدم القيام بمثل هذا العمل ، وأما الثانية فيعرف من عانى مشقة البحث والسفر ذلك العناء الذي يجده الباحث في الاطلاع عليها وتصويرها ، ناهيك عن الصعوبات الجمة التي يجدها الباحث عند التعامل مع هذه المخطوطات وقراءتها .

لقد مثلت لنا السيرة المنصورية للإمام عبد الله بن حمزة المنهل الذي اســتقينا منــه الكثير من المعلومات التاريخية التي ندر وجودها في المصادر الأخــرى ــ حتــى الزيديــة منها ــ فعلى سبيل المثال لا توجد تفاصيل العلاقة التي ربطت الإمام عبد الله بــن حمــزة بالقادة والأمراء الأيوبيين : كالأتابك سنقر ، والأمير وردسار ، والمبارز هلدري ، والمؤيــد ابن قاسم ، والقرابلي ، والدقيق ، والشهاب الجزري ، والأمير حكو بن محمد ، والأميــر محمد بن كز اليرقشي ، وغيرهم إلا في هذه السيرة . كذلك الحال في تعامــل الإمــام مــع القبائل ، وسلاطين بني حاتم ، والأشراف في الحجاز ، وآل نشوان بن سعيد الحميري ، فقد تمكن المؤلف ــ بحكم وظيفته كاتبا في ديوان الإنشاء والبريد ــ مــن الإطــلاع علــى أدق التفاصيل في هذه العلاقة مع مختلف الأطراف وتدوينها في هذه السيرة .

وعلى الرغم من ميل المؤلف الواضح للإمام عبد الله بــن حمــزة ، إلا أن هنــاك معلومات تاريخية نستطيع الاستفادة منها بشكل كبير دون التأثر بمذهب المؤلف ومنهجه في الكتابة ، ولا سيما فيما يتعلق بأقسام الفصل الرابع التي خصصت للمظاهر السياسية والإدارية والإقتصادية والعمرانية .

فبالنسبة للمظاهر السياسية والإدارية تزخر السيرة المنصورية بأسماء عدد كبير من الولاة الذين عينهم الإمام عبد الله بن حمزة في مختلف المناطــق التي تديــن بالــولاء له ، وأسباب توليتهم ، وأسباب عزلهم ، بالإضافة إلى ذلك ؛ نجد في هذه السيرة أسماء عدد كبير من القضاة الذين كان الإمام يحرص على إختيارهم لعلمه بأهمية القضاء في حيــاة النــاس وإستقرارهم ، وبالتالي إستقرار دولته التي ما لبث أن أسسها ، فكان لا يتساهل في تعييــنهم كما كان يفعل مع الولاة الذين يخضع تعيينهم لظروف سياسية ، وعسكرية قد تجبر الإمــام على قبول بعضهم .

وفضلاً عن ذلك ، لا يستطيع أحدٍ الإستدلال على وجود نظام الحــسبة فــي الدولــة المنصورية إلا من خلال نصين فقط في هذه السيرة ، الأول ما جاء عن محتسب حوث الذي عينه الإمام للشدة على من رد الدراهم المنصورية بعد سكها ، والثاني ما ورد في الخــلاف الذي نشأ بين الحدادين وآل الزيدي في صعدة ، وكيف اعتدى الحدادون علــى المحتــسب ،

لما شرع بمعاقبة المخطئ منهم ، كذلك الحال بالنسبة للجيش المنصوري الذي استنتجنا من هذه السيرة تكوينه ، وعدده ، ودوره ، ومعاقله ، وأساليبه في القتال ، لكن أهم ما جادت به السيرة في هذا المجال هو ذكرها لأنواع الأسلحة التي كانت تستخدمها الجيوش في تلك المدة ، كالمنجنيقات ، والعرادات ، والنشاب ، والشروخ ، والقسي ، والنبل ، والغوامر ، والبيض ، والرماح ، والدروع ، والسيوف ، وغيرها .

أما فيما يتعلق بالمظاهر الإقتصادية ، فقد أمدتنا هذه السيرة بمعلومات تاريخية مهمة ، كسك الدراهم المنصورية ، وأسباب سكها ، ومراحل السك ، وأهم الصعوبات التي واجهت هذه العملية ، كقلة الفضة المستخدمة فيها ، ثم نفور الناس عن قبض هذه الدراهم ، التي يبدو أنها كانت أقل إتقاناً ووزناً من الدراهم الأيوبية المستخدمة في تلك الفترة ، كذلك يذكر ابن دعثم العديد من أنواع الموارد المالية التي مثلت العصب الرئيس في إستمرار الدولة المنصورية ، ولعل أهمها : الغنائم التي يحصل عليها أصحاب الإمام من الحروب والتي كان الإمام يستعين بها في تجهيز المقاتلين ، وفضلاً عن ذلك ، كان الإمام يأخذ أعشار الزرع وأخماس المعادن ، ويفرض على القبائل المتمردة عقوبات مالية تختلف من قبيلة إلى أخرى ، ومن تمرد إلى آخر ، وبالقدر نفسه يستطيع الباحث أيضاً أن يستخلص المصارف التي كانت تصرف فيها هذه الموارد ، من ذلك الأموال التي كان الإمام يدفعها للأيوبيين بعد كل صلح مقابل عدم اعتدائهم على مناطق نفوذه ، والأموال التي كان الإمام ينفقها على الشخصيات الإجتماعية البارزة : كالشيوخ ، والأمراء ، والأشراف ، وذلك تأليفاً لهم وضماناً لعدم انضمامهم إلى الدولة الأيوبية ، بالإضافة إلى الأموال التي كان الإمام ينفقها على المدارس المنصورية ، وعلى الفقراء والمساكين ، وعلى الهدايا والهبات التي كان يقدمها للقادمين إليه من مختلف المناطق والبلدان المجاورة .

أما المظاهر العمرانية فأبرز ما أفادتنا به السيرة المنصورية ، ما ذكره ابن دعثم عن عمارة حصن ظفار ، وأسباب عمارته ، وأسباب تسميته ، والمراحل التي مرت بها هذه العمارة ، ومشاركة الإمام بنفسه في هذا البناء الذي مازالت آثاره ماثلة للعيان إلى يومنا هذا ، شاهدة على دقة وإتقان هذه العمارة ، ناهيك عن الموقع الجغرافي الذي جعل هذا الحصن في مأمن من أي غارات خارجية ، ولهذا السبب جعله الإمام مقراً لحكمه ، واتخذ ظفار عاصمة لدولته .

وحتى لا ننسى الفضل لأصحابه لا بد من الإعتراف بالجهد الكبير الذي بذله المحقق في توضيح مواقع البلدان والحصون والقرى التي وردت في هذه السيرة .

ب ــ كتاب : " **الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية** " ، لمؤلفه الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي ، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ ، وهو مخطوط مصور في كتاب يتكون من جزئين ، الجزء الأول يبدأ بسيرة الأئمة من الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) إلى الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل طباطبا ، والجزء الثاني يبدأ من سيرة الإمام القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل الرسي إلى سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة . وتكمن أهمية هذا المخطوط بالنسبة للرسالة في الفصل الأول منها الذي شمل على نسب الإمام عبد الله بن حمزة ، ومولده ، ونشأته ، وتعليمه ، وصفاته ، وبيعته للإمامة ، وأولاده ، وأزواجه ، ووفاته ، إذ مثل لي هذا المخطوط البديل الأنسب عن الجزء الأول المفقود من السيرة المنصورية الآتي ذكرها ، ولا سيما أن مؤلف هذا المخطوط استقى معلوماته فيما يخص الإمام عبد الله بن حمزة من هذه السيرة ، التي لم يصل إلينا منها سوى الجزأين الثاني والثالث ، كما استفدت من هذا المخطوط في توضيح العلاقة التي كانت بين الإمام عبد الله بن حمزة والزيدية في بلاد الجيل ، والديلم ، وطبرستان ، وهو الأمر الذي لم أجده في بقية المصادر الأخرى ، بما فيها السيرة المنصورية . وقد اعتمدنا في ترقيم صفحات هذه المخطوطة وغيرها من المصادر المخطوطة التي نشرت مصورة على الترقيم الأصلي الذي يُعرف بالإلحاقة ، وأشرنا إليه بمختصر (ق) بدلاً من الترقيم الذي أدخلته الجهات التي قامت بنشرها .

ج ــ كتاب : " **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** " ، لمؤلفه شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ، المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، والذي تناول أبرز ملوك الدولة الأيوبية في اليمن ، وبعضٍ من أحوالهم ، أثناء الكتابة عن حوادث ووفيات عامي ٥٩٣هـ ، ٥٩٨ هـ ، مع ترجمة قصيرة ومختصرة لكل منهم .

د ــ كتاب : " **تاريخ ثغر عدن** " ، لمؤلفه العلامة أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بامخرمة ، المتوفى سنة ٩٤٧ هـ ، وهو من الكتب التي لابد من الإطلاع عليها عند الكتابة عن تاريخ اليمن الإسلامي ، ويتألف هذا الكتاب من جزئين : الأول عن عدن وما قيل عنها ، والثاني عبارة عن تراجم لمن نشا فيها ومن جاء إليها من رجال علم ودين ودولة وسلاطين وملوك وغيرهم خلال عهدي حكم بني أيوب وبني رسول .

٣ ــ كتب التاريخ العام :

أ ــ كتاب : " **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** " ، لمؤلفه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سالم بن واصل ، المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ، وهو من المصادر المهمة التي تناولت

تاريخ بني أيوب عموماً بما في ذلك دولتهم في اليمن ، وأهم ملوكها ، وأهم الأحـداث فـي عهودهم . ونظراً لذلك ، فقد أمدّنا هذا الكتاب بمعلومات تاريخية استفدنا منها عند الكتابة عن علاقة الإمام عبد الله بن حمزة بالأيوبيين في اليمن .

ب ــ كتاب : " **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز بـاليمن** " ، لمؤلفـه الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني ، المتـوفى بعد سنة ٧٠٢ هـ ، ومع أن أكثر كتابه يتناول جزء من تاريخ الدولة الرسولية إلا أن به قسم كبير من المعلومات التاريخية عن الدولة الأيوبية في اليمن ، والتي تطرق من خلالها للعلاقة التي كانت قائمة بين الإمام عبد الله بن حمزة وملوك هذه الدولة ، ولذلك اعتمدت عليه فـي تغطية النقص الناتج عن فقدان الجزء الأول من السيرة المنصورية الذي تنتهي أحداثه عنـد سنة ٥٩٨ هـ ، كما ساعدني هذا الكتاب في التأكد من المعلومات التي كنت استمدها مـن المصادر الزيدية ، والتي غالباً ما تميل إلى الإمام عبد الله بن حمزة .

ج ــ كتاب : " **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك** " ، لمؤلفه موفـق الـدين أبي الحسن علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي ، المتوفى سنة ٨١٢ هـ ، وهـو مخطوط مصور لـه أهمية تاريخية كبيرة وخاصة فيما يتعلق بأخبار الدولة الأيوبية وعلاقتها بالإمام عبد الله بن حمزة .

د ــ كتاب : " **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** " ، للعلامة شهاب الدين أبـي العبـاس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ، المتوفى سنة ٨٢١ هـ ، ويتألف هذا الكتاب من أربعة عشر جزءاً ، أمدنا الجزءان الرابع والخامس منه بمعلومات تاريخية عن الدولة الأيوبية فـي اليمن وأخبار ملوكها ، مع تفسير لبعض المصطلحات السياسية والعسكرية المتعارف عليهـا في تلك الفترة .

هـ ــ مؤلفات العلامة عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي ، المتوفى سنـة ٩٤٤ هـ ، والتي تُعد من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في هذه الرسالة وأهمهـا : كتاب : " **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون** " ، وكتاب : " **بغية المستفيد فـي أخبـار مدينة زبيد** " ، وكتاب : " **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** " .

والتي أفادتني كثيراً في الفصل الثاني من هذه الرسالة ، وخاصة فيما يتعلق بأخبار دولة بني أيوب في اليمن ، وأول دخولهم إليها ، وعلاقتهم بالإمام عبد الله بن حمزة .

٤ ــ كتب مرتبة على السنيين (الحوليات) وأهمها :

كتاب : " **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** " ، لمؤلفه يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ، المتوفى سنة ١١٠٠ هـ ، الذي يعد من المـصادر المهمة فـي تـاريخ اليمـن

الإسلامي ، وعلى الرغم من ميله الجلي لأئمة المذهب الزيدي الذي ينتسب إليه ، إلا أننا لم نجد بداً من الاستفادة منه لما يحويه من معلومات تاريخية مهمة تخص العلاقات الداخلية والخارجية للإمام عبد الله بن حمزة مع مختلف الأطراف .

٥ ـ **كتب الفرق والمذاهب :**

أ ـ كتاب : " **المجموعة الفاخرة** " ، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، المتوفى سنة ٢٩٨ هـ ، ويحتوي على مجموعة قيمة من كتب ورسائل هذا الإمام في مسائل الأصول عند الزيدية : ككتاب المنزلة بين المنزلتين ، والعدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، وغيرها من الأصول ، إضافة إلى بعض الرسائل في النبوة والإمامة ، ومواضيع متفرقة ، وبعض الردود على المجبرة والقدرية . ولذلك فهو من الكتب التي استعنت بها عند الكتابة عن المبادئ الدينية للزيدية وأصول الإمامة عندها .

ب ـ كتاب : " **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** " ، لمؤلفه أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، وهو من أهم المصادر التي لابد من العودة إليها عند الكتابة عن الفرق الإسلامية عموماً ، والأصول التي نشأت على أساسها هذه الفرق وأوجه الشبه والاختلاف بينها خصوصاً .

ج ـ كتاب : " **الزيدية** " ، للصاحب بن عباد ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، والذي يستعرض فيه المؤلف أصولاً عديدة في الإمامة وأفضلية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على سائر الصحابة ، واستحقاقه لها ، وبقائها في ذريته من الحسن والحسين وأولادهما ، والرد على أسئلة المخالفين لهذا القول . وعلى هذا الأساس تم الرجوع إلى هذا المصدر عند تناول آراء الزيدية في الإمامة واختلافها مع الفرق الأخرى في هذا الأصل .

د ـ كتاب : " **شرح الأصول الخمسة** " ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ، المتوفى سنة ٤١٥ هـ ، والذي يعد من أمهات الكتب عند المعتزلة ، والذي لا يمكننا الحديث عن هذه الفرقة دون الرجوع إليه ، وفيه يسرد المؤلف الأصول الخمسة عند المعتزلة وهي : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولايكتفي المؤلف بذلك بل يستعرض قدراته في علم الكلام والرد على المخالفين.

هـ ـ كتاب : " **شرح أصول إعتقاد أهل السنة** " ، لمؤلفه أبي القاسم هبة الله بن الحسن المنصور اللالكائي ، المتوفى سنة ٤١٨ هـ ، والذي يبدو أنه تم تأليفه للرد على الكتاب السابق . فكما استعرض القاضي عبد الجبار الأصول الخمسة عند المعتزلة ، استعرض اللالكائي أصول اعتقاد أهل السنة وهي : القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والإجماع ، والقياس ، ورد على أقوال المعتزلة مستنداً في ذلك على كتب التفسير والحديث وهو بذلك يرد أيضاً على الزيدية أصحاب الفكر المعتزلي .

و ــ كتاب : " **الحور العين** " ، لمؤلفه نشوان بن سعيد الحميري ، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في تناوله لموضوع اختلاف الأمة حول الإمامة ، وانقسامها إلى عدة فرق ، لكن ما يهمنا في هذا الكتاب هو إفتراق الشيعة إلى زيدية و إمامية ، وافتراق كل منهما إلى عدة أقسام .

٦ــ كتب التفسير :

أ ــ كتاب : " **تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن** " ، لمؤلفه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وهو من المصادر المهمة التي ساعدتنا في تفسير الآيات القرآنية التي وردت في هذه الرسالة .

ب ــ كتاب : " **تفسير القران العظيم** " ، لمؤلفه عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، والذي كانت الاستفادة منه أكبر في تفسير القرآن الكريم ، وذلك لوجود أكثر من تفسير للآية الواحدة معتمداً في ذلك على أقوال الصحابة (رضي الله عنهم) دون أن يرجح أي الروايات هي الأصوب .

ج ــ كتاب : " **فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير** " ، لمؤلفه محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ، وهو من أعظم الكتب في مجال التفسير ، ذلك أن هذا المؤلف عاصر كبار علماء ومشائخ الزيدية ، بل إن البعض ينسبه إليهم ، ومع ذلك تمكن هذا المؤلف من خلال اطلاعه على أقوال الزيدية وأفكارهم من تسخير علم التفسير للرد على شبهاتهم التي كان من أعلم الناس بها .

٧ ــ كتب الحديث :

أ ــ كتاب : " **المسند** " ، لمؤلفه أحمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١ هـ ، الذي يعده البعض إمام أهل السنة ، والذي تمكنا من خلال مسنده من الإطلاع على كثير من الأحاديث فيما يخص أسماء الله وصفاته ، ورؤية المؤمنين له يوم القيامة ، وخروج الموحدين من أهل الإسلام من النار بعد عقابهم بما يستحقون ، وغيرها من المسائل .

ب ــ كتاب : " **صحيح البخاري** " ، لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، وهو أحد كتب الصحاح عند أهل السنة ، بل هو من أصحها ، وقد تلقته الأمة الإسلامية بالقبول باستثناء الشيعة عموماً الذين يطعنون فيه كما هو حالهم مع بقية كتب الصحاح . وتكمن الفائدة من هذا الكتاب في إثبات كثير من الأحاديث التي يردها الزيدية لأنها لا تتوافق مع ما يدعون إليه ، على الرغم من ثقة الإسناد فيها وتعدده ، وحتى

تكتمل الفائدة من هذا المصدر تمت الاستعانة بكتاب : " **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** " ، لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، والذي يوضح ويفسر الكثير من الأحاديث التي وردت في كتاب البخاري .

ج ــ كتاب " **الجامع الصحيح** " ، لمؤلفه أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، والذي لابد من العودة إليه أيضاً للتأكد من صحة بعض الأحاديث التي لم نجدها في كتاب البخاري ، ولهذا الكتاب شرح مفصل لكل أحاديثه تجده في كتاب : " **شرح صحيح مسلم**" ، لمؤلفه أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ .

٨ ــ كتب الجغرافيا :

أ ــ كتاب : " **صفة جزيرة العرب** " ، للعلامة أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، المتوفى بعد سنة ٣٦٠ هـ ، والذي لاغنى للباحث في تاريخ اليمن عموماً من الإستفادة منه لما يحويه من معلومات جغرافية مهمة عن بلدان اليمن وقبائلها وجبالها ووديانها وسهولها وحصونها .

ب ــ كتاب : " **معجم البلدان** " ، لمؤلفه شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، وهو من المصادر المهمة التي كتبت عن البلدان عموماً بما فيها اليمن . وحتى تكتمل الفائدة من هذا الكتاب تمت الاستعانة بكتاب : " **البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي** " ، لمؤلفه إسماعيل بن علي الأكوع ، الذي أخذ على عاتقه توضيح البلدان اليمانية التي وردت في معجم ياقوت ، مع تصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها الحموي ؛ نظراً لبعده عن بلاد اليمن واعتماده في معلوماته على نقل الأخبار والرحالة .

ج ــ كتاب : " **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** " ، للعلامة محمد بن أحمد الحجري ، المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ ، وهو في مجلدين ، يحتوي كل مجلد على جزئين ، والذي يعد ذا قيمة جغرافية ، لما تضمنه من معلومات عن بلدان اليمن وقراها وحصونها وقبائلها .

د ــ كتاب : " **معجم البلدان والقبائل اليمنية** " ، لمؤلفه إبراهيم بن أحمد المقحفي ، الذي استفدت منه في توضيح مواقع كثير من البلدان والقرى والحصون التي قد لا نجدها في المراجع الأخرى .

هـ ــ كتاب : " **هجر العلم ومعاقله في اليمن** " ، للعلامة إسماعيل بن علي الأكوع ، وهو كتاب من أربعة أجزاء مرتب حسب الحروف الهجائية ، ويتناول أهم الهجر التي اشتهرت بالعلم في اليمن خلال الحقبة الإسلامية ، لكن أهم ما فيه هو ذكره لترجمة مختصرة عن الشخصيات البارزة من الأئمة ، والعلماء ، والمشائخ ، والأعيان الذين سكنوا هذه الهجر ، وانتسبوا إليها ، كذلك استقيت من هذا الكتاب معلومات تاريخية مهمة عن حصن

ظفار وجامعه الشهير ، وبالقدر نفسه أفادني الكتاب في جمع معلومات مهمة عن هجر المطرفية كسناع ، ووقش ، وقاعة ، وغيرها من الهجر ، وأبرز العلماء الذين حلّوا فيها .

٩ ــ كتب الأنساب :

أ ــ كتاب : " **الإكليل** " وهو أيضاً للعلامة أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، ويتكون من عشرة أجزاء لم يبق منها سوى أربعة هي : الجزء الأول وهو في مبدأ الخليقة وأصول الأنساب ونسب مالك بن حمير، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع بن حمير بن سبأ ، والجزء الثامن في محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات ، والجزء العاشر في أخبار اليمن وأنساب حمير ، إلا أننا في هذه الرسالة استعنا بالجزئين الأول والعاشر وفيهما معلومات تاريخية وجغرافية عن القبائل اليمنية وفروعها ، وأنسابها ، ومناطق تواجدها .

ب ــ كتاب : " **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** " ، لمؤلفه الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول ، المتوفى سنة ٦٩٦ هــ ، الذي اعتمدت عليه في معرفة أنساب القبائل اليمنية وفروعها ومناطقها ولا سيما ما يتعلق بالأئمة والأشراف الزيدية .

كذلك تمت الاستعانة في هذه الرسالة بعدد من كتب معاجم اللغة التي ساعدتني في تفسير الكثير من الألفاظ الغريبة وأبرز هذه الكتب كتاب : " **لسان العرب** " ، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، المتوفى سنة ٧١١ هــ ، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المراجع الحديثة ككتاب : " **محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية** " ، لمؤلفه بطرس البستاني . وبالقدر نفسه استعنت بعدد من الكتب التي ساعدتني في توضيح معاني المصطلحات والألقاب المتداولة في الدولة الأيوبية في ذلك الوقت ، ولا سيما فيما يخص الوظائف في البلاط الملكي ، والرتب العسكرية ، وأهم هذه الكتب كتاب : " **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** " لحسن الباشا ، وكتاب : " **معجم الألقاب التاريخية في العصر المملوكي** " لمحمد أحمد دهمان وكتاب : " **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** " لمؤلفه مصطفى عبد الكريم الخطيب .

أما **المراجع الحديثة** التي اعتمدت عليها فهي كثيرة ولكن أبرزها كتاب : " **تيارات معتزلة اليمن** " ، للدكتور علي محمد زيد ، الذي استفدت منه كثيراً في التعرف على عقائد وأفكار الفرقة المطرفية وذلك لعدة أسباب :

١ــ إن التراث الفكري والأدبي والفقهي للفرقة المطرفية قد تعرض للإتلاف والإحراق ، فمع الفتوى التي أطلقها الإمام عبد الله بن حمزة و أباح فيها دماء وأموال وأعراض المطرفية ، تعرضت هجر المطرفية للاستباحة ، فقُتل الرجال ، وسُبيت النساء والصبيان ، ودُمرت الدور والمدارس والمساجد ، وأُحرقت الكتب والمؤلفات ، و أصبح من الصعوبة الحصول والإطلاع على هذه المؤلفات ، والتي نستطيع من خلالها التعرف على وجهة نظرهم وأفكارهم .

٢ ــ إن المخطوطة الوحيدة الباقية من تراث المطرفية يصعب الحصول عليها بسبب عدم السماح بتصويرها وضيق الوقت المسموح للإطلاع عليها ، وهي بعنوان " **البرهان الرائق المخلص من ورط المضائق** " ، لمؤلفها سليمان بن أحمد المحلي ، وهي موجودة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم ١٣٠ كلام .

٣ ــ إن للدكتور علي محمد زيد دراسة وافية عن هذه الفرقة ، اعتمد فيها على هذه المخطوطة ، وبالتالي يمكننا الاعتماد على هذه الدراسة ، ولاسيما أنه حاول ــ جاهداً ــ إنصاف هذه الفرقة من الأقوال التي نسبت إليها ، فأصبح بمقدورنا الاستعانة بهذه الدراسة في مواجهة أقوال الإمام عبد الله بن حمزة التي وردت في كتابه " **مجموع رسائل** " ، القسم الأول ، وإتهاماته لها .

كذلك في المراجع الحديثة التي لا بد من ذكرها كتاب : " **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** " ، لمؤلفه أحمد بن محمد الشامي ، وخاصة الجزء الثالث منه ، الذي خصص حيزاً منه للحديث عن الإمام عبد الله بن حمزة . ولذلك فهو من أهم المراجع التي يمكن الرجوع إليها عند الكتابة عن هذا الإمام . ومن المراجع الأخرى أيضاً التي استعنت بها في هذه الرسالة كتاب : " **عقائد الإمامية** " ، لمؤلفه محمد رضا المظفر ، وكتاب : " **أصل الشيعة وأصولها** " ، لمؤلفه محمد حسين آل كاشف الغطاء ، وكتاب : " **الشيعة في الإسلام** " ، لمؤلفه محمد حسين الطباطبائي ، والتي استفدت منها في توضيح عقائد الإمامية وأفكارها ، للتأكد من أقوال الإمام عبد الله بن حمزة التي نسبها إليها في كتابه " **العقد الثمين** " .

تمهيـــــــد

الزيدية فرقة إسلامية شيعية ، تُنسب إلى زيد[١] بن علي بن الحسين ، وتقول بإمامته ، وتتمسك بأقواله [٢]، وهم في تعاليمهم أقرب إلى أهل السنة[٣] ، ويعدهم البعض من أعدل الفرق ؛ لقولهم بأحقية علي بن أبي طالب (ﷺ) بالخلافة ، من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (ﷺ) [٤] .

ولعل ما يميز هذه الفرقة عن غيرها من الفرق الإسلامية الأخــرى ، هــو إيمانهــا المطلق بشرط الخروج على أئمة الجور ، حتى أنهم جعلوا هذا الشرط مرهوناً بإجتماع عدة مئات من الرجال ؛ كعدة أصحاب بدر ، ولو كان ذلك في مواجهة جيش عظيم ، يتكون مــن عشرات الآلاف من الرجال ، متمسكين في ذلك بسنة قائدهم وإمامهم زيد في الثورة [٥].

[1] هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الهاشمي القرشي، ولد بالمدينة المنورة سنة ٨٠هـ ، وكان يكنى أبا الحسين ، والدته جارية سندية وكانت أم ولد . وتذكر المصادر التاريخية أن المختــار بن أبي عبيــدة الثقفــي ، اشتراها واستحسنها ووجدها لا تليق إلا بعلي بن الحسين فأهداها إليه . كانت إقامته بالكوفة ، وثار ضــد الخلافــة الأموية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، وانتهت ثورته تلك بمقتله وتفــرق أنصــاره سنة ١٢٢هـ . انظر : الدينوري ، أبو حنيفــة أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، تح : عبد المنعم عامر ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٣٤٤ ؛ اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، ص ٢٢٨ ؛ المحلي ، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد ، الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ، ج ١ ، مخطوطة مصورة ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٢م ، ق ٦٨ أ ــ ٧٥ أ ؛ الكتبي ، محمد بن شاكر ، فوات الوفيات ، ج ٢ ، تح : إحسان عباس (الدكتور) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ٣٥ ــ ٣٨ ؛ أبو زهرة ، محمد (الإمام) ، الإمام زيد حياته وعصره ــ آراؤه وفقهه ، ط ٢ ، دار الفكــر العربــي ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص٢٢ ــ ٩٤؛ العمرجي ، أحمد شوقي إبراهيم ، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي (١٣٢ ــ ٣٦٥هـ) ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٢٥ ــ ٢٦.

[2] الأشعري ،أبو الحسن علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ج١ ، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م ، ص١٣٦ ، المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسيــن بن علــي ، مروج الذهــب ومعادن الجوهر ، ج ٣ ، شرحه وقدم له : مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، دار الكتب العلميــة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٥٣ ؛ ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق ، الفهرست ، تح : رضا تجدد بن علي بن زيــن العابدين الحائري، ط٣ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ٢٢٦ ؛ البغدادي ،عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، ط٥ ، دار الآفاق الجديــدة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص١٦ ؛ الشهرستانــي ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، ج ١ ، تعليق : أبو عبد الله السعيد المندوة ، ط ١ ، مؤسسة الكتب الثقافيــة ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص١١٢ .

[3] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط ١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ٢٧٢ ؛ ضحى الإسلام ، ج٣ ، ط١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ص٢٧٦ .

[4] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج٤ ، ط٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ، ص١٣٦ .

[5] يعلق السيد جعفر مرتضى العاملي ، خــلال تقديمــه لكتاب : "زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت " على كلمة الثورة بقوله:" فحركه زيد بن علي ليست الثورة ؛ وإنما هي جهاد وشتان بين الجهاد والثورة ، فان بينهما فروقاً كبيرة وكثيرة ، لأن الجهاد باب من أبواب الجنة ، و أنى للثورة أن تكون كذلك ؟ " انظر: نوري حاتم ، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند

ومع القمع المستمر لثورات العلويين ، خلال عهدي الخلافتين الأموية والعباسية ، لجأوا إلى التفكير في أساليب أخرى ، أكثر فاعلية لتحقيق هدفهم المنشود في إقامة دولة مستقلة عن الخلافة العباسية الجائرة ــ من وجهة نظرهم ــ وكان أول هذه الأساليب وأكثرها فاعلية ، هو الابتعاد عن مركز الخلافة ، حيث يضعف نفوذها في تلك المناطق ؛ بسبب البعد الجغرافي ووجود التضاريس الوعرة ، التي يصعب معها التنقل من مكان إلى آخر ، ولاسيما بالنسبة للجيوش الكبيرة .

وبالفعل استطاع العلويون بهذا الأسلوب ، خلال سنوات قليلة ، أن يؤسسوا أول دولة لهم ، في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ على يد إدريس[١] بن عبد الله النفس الزكية ، وتلا هذه الدولة ، قيام الدولة الزيدية في طبرستان وبلاد الديلم ، سنة ٢٥٠هـ [٢] ، على يد الحسن[٣] بن زيد . وفي سنة ٢٨٤ هـ قامت الدولة الزيدية في اليمن على يد الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي[٤] .

أهل البيت ، ط ٢ ، مطبعة النهضة ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٩ .

[1] هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فر إلى المغرب بعد مقتل أخويه:محمد بن عبد الله النفس الزكية ، وإبراهيم بن عبد الله ، حيث نزل بمدينة وليلى من مدن المغرب ، فأكرمه إسحاق بن عبد الله والي المغرب آنذاك . وعندئذ أعلن دعوته سنة ١٧٢هـ فاستجاب له البربر ، حتى استولى على المغرب الأقصى ، وامتلك مدينة "تلمسان "ولما بلغ خبره الخليفة العباسي ، أحس بعجزه عن حربه ؛ لبعد المسافة فأرسل إليه رجلاً يقال له : الشماخ اليماني ، ادعى الطب وتقرب إليه زاعماً أنه من شيعة أبيه ، حتى أنس إليه ، ثم سمه سنة ١٧٥ هـ . وتختلف المصادر التاريخية حول الخليفة العباسي ، الذي أرسل من يقتل إدريساً ، فالبعض يذكر أنه الهادي ، وآخرون يذكرون الرشيد . انظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص٢٨٣ ــ ٢٨٤ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ ؛ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ، تح : مكتب التراث ، ط٤ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص١٣ ــ ١٤ ؛ علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ٣٧٨ ؛ صبحي ، أحمد محمود ، الزيدية ، ط٢ ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د . ت ، ص ٤٩ .

[2] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث ووفيات٢٤١ ــ٢٥٠هـ) ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م ، ص ٢٩ ؛ محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ج ٦ ، ط ٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٥٩ .

[3] هو الحسن بن زيد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان فقيهاً ، عالماً بالعربية ، رجلاً فاضلاً يكره المدح والنفاق ، ويقول الشعر ويتذوقه ، له من الكتب كتاب الجامع في الفقه ، وكتاب البيان ، وكتاب الحجة في الإمامة . انظر : الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٤ ، ص١٧٥ ؛ العمرجي ، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

[4] انظر فيما سيأتي ، ص ١٧ .

قيام الدولة الزيدية في اليمن :

يعد الإمام الهادي إلى الحق يحيى[١] بن الحسين بن القاسم الرسي مؤسس الدولة الزيدية في اليمن ، وكان ذلك سنة ٢٨٤ هـ[٢] .

جاء إلى اليمن من الحجاز أول مرة في سنة ٢٨٠ هـ ، حيث بلغ إلى موضع يقال له " الشرفة " بالقرب من صعدة ، فأطاعه الناس هناك ، وأذعنوا له ، ثم بعد مدة يسيرة خذلوه فانصرف عنهم إلى بلده الحجاز[٣] .

وبعد رجوعه إلى الحجاز ، لبثت القبائل الخولانية في صعدة وما حولها سنوات في صراع مرير فيما بينها ، نتج عنه قتل العديد من الزعامات القبلية وخراب القرى والمزارع ، بالإضافة إلى حالة القحط والجفاف . ونتيجة لذلك لم تجد أحياء خولان بداً من استدعاء الإمام الهادي إلى الحق مرة أخرى ، لعله يخلصهم مما هم فيه من البلاء ، فوصل إلى صعدة في السادس من صفر من سنة ٢٨٤ هـ[٤] ، وكانت هذه هي رحلته الثانية إلى اليمن .

وأياً كانت أسباب خروجه من الحجاز إلى اليمن[٥] ؛ إلا أن استدعاء بني فطيمة من قبائل خولان صعدة للإمام الهادي يظل السبب الرئيس الذي وجد هوىً في نفس الإمام

---

(1) هو يحيى بن الحسين بن القاسم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولد سنة ٢٤٥هـ بجبل الرس من بلاد الحجاز على مقربة من المدينة المنورة في أيام جده الإمام القاسم الرسي . نشا في بيئة شيعية وعقدت له البيعة سنة٢٨٠هـ وهو ابن خمس وثلاثين سنة . كان عالماً فقيهاً ، شاعراً فصيحاً ، توفي بمدينة صعدة لعشر بقين من ذي الحجة في سنة ٢٩٨هـ وعمره ثلاث وخمسون سنة ، ولا يزال قبره مشهور هناك ، ترك العديد من المؤلفات التي بلغت نيفاً وأربعين مصنفاً . انظر : الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن ، تح : فؤاد سيد ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٧٩ ، حاشية رقم (٢) ؛ المحلي ، الحدائق الوردية ، ج٢ ، ق٦ أ ـ ٩ب ؛ الجرافي ، عبد الله بن عبد الكريم (القاضي) ، المقتطف من تاريخ اليمن ، ط ٢ ، منشورات العصر الحديث ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ص١٦٧ ـ ١٧٠ ؛ علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري ، ط ١ ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٩٧م ، ص ٥٧ .

(2) العلوي ، علي بن محمد بن عبيد الله العباسي ، سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، تح : سهيل زكار ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ، ص ٤١ .

(3) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

(5) يتحدث حسن خضيري أحمد في كتابه " قيام الدولة الزيدية في اليمن " عن عدد من الأسباب منها :قول الدعام بن إبراهيم (أما أنا فأول من اجتلب هذا الرجل وأخرجه من بلده) ، ثم يذكر نقلاً عن الخزرجي أن سبب قدوم الهادي إلى اليمن يعود إلى أن وزير أبي العتاهية ، ويقال له : محمد بن أحمد بن أبي عباد التميمي ، كان يميل إلى الهادي ومذهبه ، وأنه أشار على أبي العتاهية بعد اضطراب الأمور في صنعاء ، أن يبعث إليه من الحجاز ويسلمه مقاليد الأمور ، ثم يورد على لسان ابن رسول ، أن سبب استدعاء الهادي إلى اليمن يعود إلى ظهور القرامطة ، لكنه في الأخير يفند هذه الأسباب ويرجح ما ذكره يحيى بن الحسين في غاية الأماني من استدعاء بنو فطيمة للإمام الهادي . انظر : حسن خضيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٥٧ ـ ٦١ .

لتحقيق أحلامه في قيام دولة زيدية في اليمن بعد إخفاقه في تحقيقها خلال رحلته إلى طبرستان ، وأثناء رحلته الأولى إلى اليمن ، التي باءت بالفشل والخيبة .[١]

وبناءً على ما تقدم تمكن الإمام الهادي من إقامة الدولة الزيدية في اليمن بعد قدومه إلى صعدة ، وتمكنه من المصالحة بين أحياء خولان المتمثلة في الأكيليين والفطيميين ، وأخذه البيعة منهم له على السمع والطاعة ، مستفيداً من العديد من العوامل التي ساعدته على هذا النجاح أهمها :

١. إقبال القبائل الخولانية وترحيبهم به ، والذي كان مرده إلى حالة الضعف والتمزق التي كانوا يعانونها بسبب قتالهم المستمر ، وما نتج عنه من زهقٍ للأرواح ، وسلبٍ للأموال والممتلكات ، فجاء الهادي ليكون عامل تسكين لبلاياهم .[٢]
٢. قدوم الكثير من الطبريين (زيدية خراسان) لنصرة الهادي وتأييد ه ، والذين تعرفوا عليه أثناء زيارته لطبرستان، وكانوا أكثر حماسا من اليمنيين في ترسيخ المذهب الزيدي [٣].
٣. ضعف الخلافة العباسية في بغداد التي تدهورت أحوالها بصورة كبيرة بعد أن أصبح الخلفاء العباسيون ــ بعد المعتصم ــ ألعوبة بيد الأتراك ، الذين تسببوا في ضياع هيبة الدولة والخلافة العباسية [٤] .

وكانت أول الأعمال التي قام بها الهادي أثناء إقامته في صعدة هي إرسال الدعاة إلى القبائل المجاورة لأخذ البيعة ، فاستجابت له الكثير منها مثل : شاكر [٥] ، ويام [٦] ، ووادعة [٧]

---

[1] علي محمد زيد ، معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ، ط ١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٦٢ .

[2] المرجع نفسه ، ص ٦٣ .

[3] الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد (الدكتور) تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط ٣ ، دار الفكر المعاصر ، صنعاء ،١٩٩٩م ، ص ١٥٣ .

[4] حسن خضيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، ص٥٣ .

[5] شاكر : بطن من بكيل ، من ولد شاكر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل ، وهما قبيلتان : وائلة ودهمة ، وبلاد شاكر ما بين مأرب ونجران ، ومنها الجوف ، وبرط ، وخب ، وأملح ، وغيرها . الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٦٢ ــ ١٦٤ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٩٠ .

[6] يام : جبل يطل على الجوف من الجهة الغربية ، كان سكن قبيلة يام قبل انتقالها إلى نجران ، وهي من ولد يام بن أصبا بن رافع بن مالك بن جشم بن حاشد . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ ، ١٦٢ ؛ الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد ، اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢١١ ، حاشية رقم (٢) .

[7] وادعة : من قبائل حاشد الهمدانية ، تنسب إلى وادعة بن ناشح بن رافع بن مالك بن جشم بن حاشد ، وهم يتوزعون في جهات مختلفة ، منها وادعة حاشد ، و وادعة الشام ، و وادعة صعدة . الحجري ، مجموع مج ٢ ، ج ٤ ، ص٧٦١ ؛ المقحفي ، معجم ، ص٧٣٣ ــ ٧٣٤ .

وبني الحارث[١] ، ولكنها سرعان ما أعلنت تمردها عليه في مختلف المناطق التي سيطر عليها ابتداء من نجران[٢] ، ومروراً بخيوان [٣] ، و أثافت[٤] ، وريدة [٥] ، وهي التمردات التي تصدى لها الإمام بكافة الأساليب القمعية .

وفي الربع الأخير من شهر محرم من سنة ٢٨٨هـ ، دخل الإمام الهادي إلى صنعاء[٦] ، واستطاع البقاء فيها مدة من الزمن ، ثم ما لبث أهل صنعاء أن انقلبوا عليه ، وتحالفوا مع بني يعفر وآل طريف ، من أجل إخراجه منها ، الأمر الذي أدى إلى وقوع معركة بين الطرفين بالقرب من ظبر حدين [٧] ، كانت نتيجتها هزيمة الإمام الهادي [٨] وجرحه ، وقتل الكثير من أصحابه ، ومنهم : ابن عمه علي بن سليمان العلوي ،وصاحبه أبو العتاهية ، كما أُسر ابنه أبو القاسم محمد [٩] ، فعاد إلى صعدة مسرعاً ، لعله يحافظ على ما تبقى من دولته ، ولا سيما بعد علمه بوصول علي بن الحسين جفتم من مكة موفداً من قبل الخلافة العباسية إلى اليمن [١٠] .

(1) بنو الحارث : قبيلة من ولد الحارث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج ، وتقع ديارها شمال صنعاء ، بمسافة (خمسة كيلومترات) . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٨١ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٥٥ .

(2) نَجْرَان : أحد مخاليف اليمن ، وأوديته الخصبة ، في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة (١٢٣ ميل) سمي باسم نجران بن زيد بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٣٤ ؛ الأكوع ، إسماعيل بن علي (القاضي) ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٢٨٠ ؛ الأكوع ، محمد بن علي (القاضي) ، اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط ٢ ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٤٩ .

(3) خَيْوان : مدينة وواد مشهور باليمن إلى الشمال من صنعاء بمسافة (١٢٢ كيلومتراً) . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ؛ المقحفي ، مج ، ص ٢٣٤ .

(4) أثافت : بلدة خربة في بلاد حاشد ، على مقربة من دماج ، شرقي خمر . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١١٤ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٢ .

(5) رَيْدة : اسم مشترك بين عدد من البلدان منها : ريدة البون ، وهي بلدة أثرية شمال غرب صنعاء بمسافة (٤٩ كيلو متراً) . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢٨٩ .

(6) العلوي ، سيرة الهادي ، ص ٢٠٧

(7) ظُبر حدين : جبل إلى الجنوب من صنعاء بمسافة (سبعة كيلومترات) . يحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، ج ١ ، تح : سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ص ١٨٣ ، حاشية رقم (١) .

(8) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، مج ٥ ، ج ١٠ ، ط ٣ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٣٧٤ .

(9) العلوي ، سيرة الهادي ، ص ٢٤٩ .

(10) كانت تلك هي الولاية الثانية له بعد ولايته الأولى سنة ٢٧٩ هـ . انظر : حسن خضيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، ص ٤٩ ، ٩٩ .

وأمام هذه الفوضى ، وقلة المال والرجال ، ظهرت العديد من التمردات التي هـددت كيان الدولة الزيدية ، وكان أهمها : التمرد الذي قام به أحمد بن عبد الله بن عباد الأكيلي في صعدة ، لكن الإمام استطاع القضاء على هذه التمردات ، والسيطرة على مقاليد الأمور مرة أخرى .

وخلال سنوات ٢٩٠ـ٢٩٢ هـ حلت مجاعة وقحط في صعدة وما حولها [١] ، جعلت الإمام الهادي يستقر في صعدة ، ويتوقف عن التوسع والقتال . ولما حلت سنة ٢٩٣ هـ ، دخل الإمام الهادي إلى صنعاء [٢] ، بعد تحالفه مع بني يعفر وآل طريف ضد القرامطة ، لكنهم ما لبثوا أن تخلوا عنه ، وأخرجوه منها ، وفي كل مرة يعود فيها القرامطة إلى صنعاء ؛ يخرج منها بنو يعفر ، فإذا دخلها الإمام الهادي عادوا إليها وأخرجوه منها .

وفي العشرين من ذي الحجة من سنة ٢٩٨ هـ ، توفي الإمام الهادي[٣] . وبعد وفاته قام بأمر الإمامة بعده ولده المرتضى[٤] محمد بن الهادي وذلك بعد تردد كبير ؛ كان سببه تقلص دولة الهادي ، وإتساع دولة القرامطة [٥] بقيادة علي بن الفضل على حسابها.

ولعل أكبر صدمة أثرت على قناعات المرتضى ، وسربت الشك إلى نفسه في إمكان تحقيق مشروع والده السياسي هي : سجنه في بيت بوس [٦] ، لكنه في الأخير قَبِلَ تولي الإمامة ، وتمت بيعته في غرة محرم من سنة ٢٩٩هـ ، فخاض العديد من المعارك ضد حركات التمرد ، التي استغلت وفاة الإمام الهادي . ولما عجز عن تحمل أعباء الإمامة ؛ قرر الإعتزال والتخلي عنها ، وكان أخوه الناصر [٧] أحمد بن الهادي آنذاك غائبا في الحجاز ،

---

[1] العلوي ، سيرة الهادي ، ص ٣٨٩ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٣٩١ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ ؛ المؤيدي ، يحيى بن محمد ، الإمام الهادي إلى الحق ، ج ٢ ، مراجعة وتصحيح : عبد الرحمن ابن محمد المروني ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ٢٠٦ .

[4] هو أبو القاسم محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولد سنة ٢٧٨ هـ ، وتوفي سنة ٣١٠ هـ ، وعمره لم يناهز إثنين و ثلاثين سنة ، و دفن إلى جانب والده بصعدة . انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٢٠ أ ـ ٢٣ ب .

[5] علي محمد زيد ، معتزلة اليمن ، ص ١٠٥ .

[6] بيت بَوْس : بلدة وحصن في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة (خمسة كيلو مترات) ، تنسب إلى القيل ذي بوس بن شرحبيل بن بريل ، أحد ملوك حمير ، حُبس فيه المرتضى محمد بن الهادي سنة ٢٩٠هـ بعد أسره بالقرب من ظبر حدين . وقد قال المرتضى في هذا المقال قصيدة منها :

يا بيت بوسٍ حُبِسنا في حواكِ على خُذلان أمتنا من بعدِ ميثاقِ

انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٥٦ ، حاشية رقم (٣) ؛ المقحفي ، معجم ، ص٩٤ .

[7] هو أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان متقدما في الفقه ، ناشئاً على الزهد ، شجاعاً ، له العديد من المؤلفات أهمها : الكتاب المعروف (بـ : المفرد) ، وأمه هي أم محمد المرتضى واسمها : فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم الرسي ، توفي سنة ٣٢٢ هـ ، وقيل سنة ٣٢٥ هـ . انظر : الناطق بالحق يحيى بن الحسين بن هارون البطحاني ، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ، مخطوط =

فَقَدِم إلى اليمن وتولى الإمامة خلفاً عنه ، وكانت بيعته في شهر صفر من سنة ٣٠١ هـ (١) . والحق أن الناصر لم يكن أحسن حظا من أخيه المرتضى ، فعانى الكثير من الصعوبات ، والتي كان مردها إلى تزايد نفوذ بني يعفر بعد أن استطاعوا القضاء على القرامطة ودولتهم في سنة ٣٠٤ هـ ، وكان ذلك بقيادة أسعد بن أبي يعفر (٢).

وفي سنة ٣٢٢هـ ، توفي الإمام الناصر (٣)، فتولى الإمامة ابنه المنصور يحيى ابن أحمد ، الذي تنازع على الإمامة مع أخويه القاسم المختار والحسن ، ذلك الصراع الذي لم ينتهِ إلا بدمار صعدة وإتفاق القبائل على خلعهم جميعاً ، وعندئذ اختفت الإمامة الزيدية عملياً من اليمن ، ولم يعد لها نفوذ يذكر (٤) ، حتى بعد قيام الداعي يوسف بن يحيى سنة ٣٥٨ هـ (٥) ، الذي اضطر هو الآخر إلى الإنكفاء والتراجع (٦).

الدولة الزيدية في عهد القاسميين :

مما لاشك فيه ، أن الدولة الزيدية تدهورت كثيراً بعد وفاة الإمام الهادي . إلا أنها انتقلت من هذه المرحلة ، إلى مرحلة جديدة ، مع قيام الإمام القاسم بن علي العياني(٧) في الرابع والعشرين من محرم من سنة ٣٨٩هـ(٨) ، والذي استطاع أن يوسع الدولة الزيدية جنوباً صوب صنعاء وذمار ، وشمالاً صوب نجران . ولكن ذلك التوسع لم يدم طويلاً ؛

= ميكرو فيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، برقم ٢٢٥ ، ق ١١٧ ؛ المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٢٦ أ ؛ الناصر لدين الله أحمد بن يحيى بن الحسين ، كتاب النجاة ، تح : فيلفرد ماد لونغ ، دار النشر فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١ .

(1) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(2) الحمادي ، محمد بن مالك بن أبي القبائل ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، حققه وعلق حواشيه : محمد بن علي بن الحسين الأكوع ، ط ١ ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، ص١١١ ــ ١١٥ ؛ الجندي ، بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ج ١ ، تح : محمد بن علي بن الحسين الأكوع ، ط ١ ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٣ م ، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥ .

(3) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(4) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص١٧ .

(5) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٢٢٤ .

(6) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص١٨ .

(7) هو الإمام القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي ، ولد سنة ٣١٠ هـ بتبالة في بلد خثعم من أرض الحجاز ، نشأ على التقوى والصلاح ، وحاول إعادة شيئ من المجد والهيبة للدولة الزيدية المنهارة في اليمن ، توفي في شهر رمضان من سنة ٣٩٣هـ . انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج٢ ، ق ٣٠ ب ــ ٢٣ب ؛ ابن الديبع ، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي الشيباني ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، حققه وعلق عليه : محمد بن علي الأكوع ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٦٤ ، حاشية رقم (٢) .

(8) الحسين بن أحمد بن يعقوب (القاضي) ، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني ، تح :عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٢٤ .

إذ سرعان ما تمرد عليه حلفاؤه وأنصاره بالأمس ، ومنهم : الداعي يوسف بن يحيى ، الذي ـــ بعد تخليه عن الإمامة لصالح الإمام القاسم العياني ـــ عاد وتمرد عليه ثم صالحه على أن يكون لآل الهادي نصف الخراج المتحصل من صعدة ، ثم تمرد عليه مرة أخرى ، بعد إنقطاع هذا الخراج ؛ مما أدى إلى اضطراب الأوضاع في صعدة وتزعزعها . كذلك الشريف القاسم بن الحسين الزيدي ، الذي أرسله الإمام العياني إلى صنعاء وذمار ، فلما ساءت سيرته ، ومال على الرعية ، واتبع هواه[١] ، عزله الإمام عن ولاية صنعاء وولاها ابنه جعفراً [٢] ، لكن ذلك أغضب الشريف القاسم الزيدي ، الذي عاد إلى صنعاء من ذمار وأسر جعفراً ، مما اضطر الإمام إلى مصالحته . وفي سنة ٣٩١ هـ توجه الإمام إلى عيان[٣] ، واستقر بها وترك الإمامة ، واعتزل الناس ، لعدم وجود الأنصار [٤] .

وفي سنة ٤٠١ هـ قام بأمر الإمامة الحسين[٥] بن القاسم بن علي العياني ، الذي أرسل أخاه جعفراً لولاية صنعاء ، لكن الشريف محمد بن القاسم الزيدي تمكن من دخول صنعاء ، وأخرج جعفراً منها ، الأمر الذي جعل الإمام الحسين بن القاسم العياني يخرج بنفسه لقتال الشريف محمد الزيدي ، وبالفعل استطاع هزيمته وقتله في الحقل[٦] سنة ٤٠٣هـ [٧] ، لكنه ما لبث ـــ هو الآخر ـــ أن قتل في شهر صفر من سنة ٤٠٤هـ [٨] ، بعد معركة وقعت بينه وبين قبائل آل الضحاك بالقرب من ريدة البون .

وبمقتل الإمام الحسين بن القاسم العياني ، عادت الدولة الزيدية ـــ مرة أخرى ـــ إلى دائرة الضعف والإنقسام ، واستمر ذلك حتى سنة ٤١٣ هـ ، عندما قام بأمر الحسبة الأمير جعفر بن القاسم العياني ، الذي حاول جاهداً إعادة مجد أسلافه لكن دون جدوى . ثم قام بأمر

---

(1) الحسين بن أحمد بن يعقوب ، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني ، ص ٢٢٤ ـــ ٢٢٥ .

(2) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(3) عَيّان : قرية في سفيان بن أرحب بن بكيل بالقرب من خيوان في شمال صنعاء ، إليها ينسب بنو القاسم العياني . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦١٨ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٨١ .

(4) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

(5) إليه تنسب الفرقة الحسينية ، التي تزعم أنه المهدي المنتظر ، الذي بشر به النبي (ﷺ) ، كما تزعم أنه أفضل من النبي (ﷺ) ، وأن كلامه أفضل من القرآن ، وأنه لم يمت ، وسوف يظهر ويملأ الأرض عدلاً . انظر : الحميري ، نشوان بن سعيد ، الحور العين ، تح : كمال مصطفى ، ط٢ ، دار آزال ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٠٨ ـــ ٢١١ ؛ الديلمي ، محمد ابن الحسن ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، منقول من كتاب قواعد وعقائد آل محمد ، النشرات الإسلامية (١١) ، مطبعة الدولة ، استانبول ، ١٩٣٨م ، ص٩٠ ؛ الأكوع ، إسماعيل بن علي ، الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، ط ٣ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٨٧ ـــ ٨٨ .

(6) المقصود هنا : حقل الرحبة الذي لا يبعد عن صنعاء سوى بمسافة (خمسة كيلو مترات) . المقحفي ، معجم ، ص ١٩٥ ـــ ١٩٦ .

(7) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص ٢٣٧ .

(8) المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٣٢ ب .

الإمامة الإمام المعيد لدين الله أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي سنة ٤٢٦ هـ [١] ، والذي سيطر على صنعاء مرتين : المرة الأولى في سنة قيامه ، بعد أن أخرج منها ابن أبي حاشد [٢] ، والمرة الثانية سنة ٤٣١هـ ، عندما استدعاه ابن أبي حاشد لدخول صنعاء . وفي السنة نفسها سار إلى ناعط [٣]، و لم يطل به المقام فتوفي هناك .

وبوفاته تعرضت الإمامة الزيدية لصعوبات جديدة ،ضاعف منها ظهور الصليحيين ، بقيادة علي بن محمد الصليحي ، الذي مالبث أن سيطر على معظم أنحاء اليمن في سنوات قليلة [٤] .

الدولة الزيدية في عهد الصليحيين :

إذا كانت الزيدية قد مرت بمراحل صعبة من الضعف والتمزق ، فإن عهد الدولة الصليحية كان أكثرها ضعفاً وتمزقاً ، فالدولة الزيدية لم يعد لها نفوذ يذكر ، والإمامة غابت عن مسرح الأحداث السياسية .

وعلى الرغم من أن الأشراف الزيدية ، كانوا قد استدعوا الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح الديلمي من بلاد الديلم في سنة ٤٣٧هـ [٥] ؛ لإحياء الإمامة الزيدية في اليمن ، إلا أن الناس تقاعسوا عن نصرته ، نتيجة لظهور علي بن محمد الصليحي في سنة

---

(١) تشير بعض المصادر والمراجع التاريخية إلى أنه قام بأمر الحسبة ، وبذلك يكون محتسباً بينما يكتفي البعض بالإشارة إلى أنه داع ، حول هذا الموضوع انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق٤٥ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ؛ الجرافي ، المقتطف ، ص ١٧٤ ؛ علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٤١ ؛ النونو ، يحيى بن الحسين ، نظام الحسبة عند الزيدية (دراسة مقارنة بالمذاهب الأربعة) ، ط ١٠ ، مركز عبادي للدراسات ، صنعاء ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٧٥ .

(٢) هو السلطان يحيى بن أبي حاشد الهمداني أحد الزعامات القبلية البارزة في ذلك الوقت .

(٣) ناعط : جبل في بلاد خارف من حاشد إلى الشرق من عمران بمسافة (١٢كيلومتراً) وتقع في أعلاه قرية ناعط ، والناعط بلدة من عزلة قروى ناحية خولان الطيال . الحميري ، نشوان بن سعيد ، منتخبات من أخبار اليمن ، ط ٢ ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨١م ، ص ١٠٤ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٦٩١ .

(٤) الحكمي ، نجم الدين عمارة بن علي ، تاريخ اليمن المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها و أعيانها وأدبائها ، حققه وعلق عليه : محمد بن علي الأكوع ، ط ٣ ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٥م ، ص ٩٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ١٧٦ .

(٥) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٢٤٦ .

٤٣٩هـ[٦] ، وعلو شأنه وقهره لخصومه ، الأمر الذي جعل الإمام أبا الفتح الديلمي ينتقل من بلد إلى آخر ، خوفا من الصليحي الذي ظفر به ، وقتله في سنة ٤٤٤هـ [٧] .

وبعد مقتل الإمام أبي الفتح الديلمي ، قام بأمر الحسبة الشريف القاسم بن جعفر بـن القاسم العياني في سنة ٤٤٨هـ[١] . لكنه لم يوفق في قتاله علي بن محمـد الـصليحي ، الذي ظفر به هو الآخر ، بعد حصاره وأعوانه حصاراً شديداً في حصن الهرابة [٢]. ومـع ذلك لم يقتله ، بل أكرمه ، وأذِن لـه بالذهـاب إلى مكة ؛ حيث مكث فيها تسع سنين [٣] ، ولم يعد إلى اليمن ، إلا بعد علمه بمقتل الصليحي في سنه ٤٥٩هـ [٤] .

وبإقصاء الشريف القاسم بن جعفر العياني عن أمر الحسبة ، قام بأمرهـا الـشريف حمزة [٥] بن أبي هاشم ، الذي وقعت بينه وبين الصليحيين معارك كثيرة ، كـان آخرهـا موقعة الملوى[٦] في سنة ٤٥٩هـ (بعد مقتل علي بن محمد الصليحي بعـدة أشـهر) ، والتي قُتل فيها الشريف حمزة . وبمقتله عاد الشريف القاسم بن جعفر بن القاسم العياني من مكة ، فقصد شهارة [٧] وجعلها مركـزا لـه و لأخيه ذي الشرفين محمد بن جعفر ، الذي سانده في مواجهه الصليحيين بقيادة المكرم أحمد بن علي الصليحي [٨] .

(6) الحكمي ، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص ٨٨ ، حاشيـة رقم (٤) ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ١٧٣ ؛ الحمادي ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، ص ١٢٣ .

(7) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص ٢٥٠ .

(1) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٢٥١ .

(2) حصن الهرابة :حصن في بلاد حاشد وودعة . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج٤ ، ص٧٥١ ؛ المقحفي ، معجم ، ص٧٢١ .

(3) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٢٥٣ ؛ ويذكر الجرافي أنه مكث سبع سنين في مكـة . انظـر : المقتطـف ، ص١٧٦ .

(4) الحكمي ، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص١٠٤ ؛ ابن الديبع ، قرة العيـون ، ص١٧٨ ــ ١٧٩ ؛ الهمداني ، حسين بن فيض الله (الدكتور) ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من سنة ٢٦٨ إلى سنة ٦٢٦هـ) ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص ١١٧ ؛ حاشية رقم (٣) .

(5) هو حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، إليه ينسب " الحمزات " الذين ينتسب إليهم الإمام عبد الله بن حمزة . أنظر : الملك الأشرف ، عمر بن يوسف بن رسول ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تح : ك . و . سترستين ، ط ٢ ، دار الكلمة ، صنعـاء ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٠٣ .

(6) نجدها في بعض المصادر باسم المثوى ، وفي أخرى باسم المنوى ، ومهما يكن الاسم فهي واد في أرحب يعـرف الآن باسم الملوى . انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج٢ ، ق ٦٨ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ الكبسي ، محمد بن إسماعيل ، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مطبعة السعـادة ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٣ ؛ الجرافي ، المقتطف ، ص ١٧٧ ؛ علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٥٧ ؛ الهمداني ، الصليحيون والحركـة الفاطميـة في اليمن ، ص ١١٧ .

(7) شُهارة : حصن عظيم يقال له شهارة الفيش ، وهـو من معاقل الأهنوم وتعرف أيضاً بـ : شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذي الشرفين ، وتقع إلى الشمال من حجة . الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ص ٣٧٤ ؛ ابن الوزير ، عبد الله بن علي ، تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري (١٠٤٥ ــ ١٠٩٠ هـ) المسمى تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ، تح : محمد عبد الرحيم جازم ، ط ١ ، مركز الدراسـات

ومهما تكن الانتصارات التي حققها الشريف القاسم و أخوه (ذو الشرفين) في العديد من المناطق ، إلا أنه ترفع عنها في سنة ٤٦٨ هـ [١] واستقل بصعدة ، والجوفين[٢] ، والظاهر [٣] ، وشهارة وما يليها ، لكثرة النفقات وقلة الموارد [٤].

وفي السنة نفسها قُتل الشريف القاسم بن جعفر بن القاسم العياني [٥] على يد قبائل نهم الهمدانية ، وبعد مقتله تولى أمر الحسبة أخوه (ذو الشرفين) ، الذي عانى كثيراً من اضطراب البلاد عليه ، فأمضى معظم مدة احتسابه في قتال القبائل المتمردة عليه ، واستمر الحال كذلك ، حتى توفي سنة ٤٧٨ هـ [٦] ، فخلفه ابنه جعفر ، لكن الاختلاف بين آل القاسم حول من يخلف ذا الشرفين أضعف قوتهم ، وقلل من شأنهم .

لقد أدى ضعف نفوذ آل العياني وانقسامهم في هذه المرحلة إلى العديد من الأحداث ، أهمها [٧] :

١. وصول دعوة من الإمام أبي طالب الصغير يحيى بن أحمد بن الحسين ، في بلاد الجيل والديلم إلى الأمير المحسن بن الحسن يعينه فيها والياً على اليمن باسم إمامته ، وهذا يعني أن المبادرة لم تعد تأتي من آل الهادي أنفسهم ، بل يأتي تحريضهم من الخارج لدفعهم لإحياء إمامة اعتبروها دائماً ملكهم المكتسب . ومع هذا ، انتهى الأمر بهذا الداعي إلى القتل على يد الحدادين [٨] في صعدة سنة ٥١١ هـ [٩] .

والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٥٦ ، حاشية رقم (٤) ؛ الأكوع ، هجر ، ج ٢ ، ص ١٠٧٥ ــ ١٠٥٨ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٧٦ .

(8) الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ٣٦ .

(1) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

(2) الجَوف : مدينة قديمة في الشرق الشمالي من صنعاء . وتنقسم إلى الجوف الأعلى والجوف الأسفل باعتباره منهفقاً من الأرض بين جبل نهم الشمالي وأوبن الجنوبي . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ ــ ١٥٥ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج١ ، ص ١٩٥ ؛ ابن دعثم ، أبو فراس بن دعثم الصنعاني ، السيرة المنصورية (سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ٥٩٣ ــ ٦١٤هـ) مج ١ ، ج ٢ ، تح : عبد الغني محمود عبد العاطي (الدكتور) ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م ، ص ٥٠ ، حاشية رقم (٢) .

(3) الظَاهر : تطلق كلمة الظاهر على كل ما ارتفع من البلدان ، والمقصود هنا ظاهر بلاد همدان . الهمداني . الحسن بن أحمد ، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، ج ١٠ ، حققه وعلق عليه : محمد بن علي الأكوع ، ط ١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٢٩ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٦٣ .

(4) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ .

(6) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .

(7) علي محمد زيد ، تيارات المعتزلة في اليمن ، ص ٤١ ــ ٤٢ .

(8) لا يوجد في المراجع ذكر لنسب الحدادين ، إلا ما ذكره الحجري بأنهم من الفرس ولهم درب يحمل اسمهم في مدينة صعدة . انظر : مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ .

(9) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

٢. خروج شخص آخر من آل الهادي يُدعى : علي بن زيـد سنة ٥٣١ هـ [١٠] في صعدة ، مع أنه شبه أُمي [١] وغير مستوف لشروط الإمامة ، وقد قتل هو الآخـر على يد بعض القبائل ، التي لم تعد تهاب الأئمة الزيديين ، بل تعدى الأمر إلى قتلهم والغدر بهم [٢] .

الدولة الزيدية قبل الفتح الأيوبي لليمن :

مثلما كان قيام الدولة الصليحية وازدياد نفوذها عاملاً مباشراً لتردي أوضاع الدولة الزيدية وتدهورها ، كان ــ بالمقابل ــ ضعفها وانهيارها عاملاً مهماً في ازدياد نفوذ الدولة الزيدية واتساعها ، لاسيما وقد قام بأمر الإمامة رجل تتوافـر فيه معظـم شروطهـا ، ذلك هو الإمام المتوكـل على الله أحمد بن سليمـان [٣] ، الذي أعلن بيعتـه للإمامـة في سنة ٥٣٢ هـ [٤] .

ويبدو أن الإمام أحمد بن سليمان كان أكثر حظاً من سابقيه ، فالدولة الصليحية كانت في آخر أيامها ووفاة السيدة بنت أحمد الصليحي أضافت للصليحيين ضعفاً إلـى ضـعفهم ، فاستغل الإمام هذه الظروف وضم إلى دولته الجوف ، ونجران ، والظاهر ، ويام ، ووادعة ، وبلاد أرحب [٥] ، وبرط [٦] ، وغيرها .

ونتيجة لعدله ، وحسن سيرته [٧] ، إلتفت القبائل من حوله في صعدة وصنعاء ، بعد أن سئموا حالة الصراع والفوضى السياسية الدائمة ، فدخل صنعاء في سنة ٥٤٥ هـ [٨] ، وأخرج منها السلطان حاتم بن أحمد الهمداني [٩] ، بعد الصلح الذي تـم بينهمـا ، لكـن

---

[10] المصدر نفسه ، ص ٢٩٤ .

[1] علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٤٢ .

[2] المرجع نفسه والصفحة .

[3] هو أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد المطهر بن علي بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولد سنة ٥٠٠هـ في منطقة قريبة من حوث ، وقام بأمر الإمامة وعمره لم يتجاوز اثنتين وثلاثين سنة ، وتلقب بالمتوكل على الله . انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٥٨ أ .

[4] المصدر نفسه ، ق ٦٣ ب .

[5] أرْحَب : قبيلة كبيرة من همدان ، تنسب إلى أرحب بن الدعام بن مالك بن معاوية ... بن نوف بن همدان ، وهي منطقة تابعة لمحافظة صنعاء إلى الشمال الشرقي منها ، بمسافة (خمسة كيلو مترات) . المقحفي ، معجم ، ص ٢٥ .

[6] بَرَط : جبل مشهور في الشمال الشرقي من صنعاء فيه قرى ومزارع كثيرة وأودية ، وهو بلد في همدان ، ثم من بكيل ويبعد عن صنعاء بمسافة (٢٣٢ كيلو متراً) . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٠٨ ، ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٧٦ .

[7] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

[8] المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

[9] هو السلطان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني ، يعد مؤسس الدولة الحاتمية في صنعاء في سنة ٥٣٣ هـ ، كان إماماً في اللغة والأدب ، محققاً حافظاً لأيام العرب ، وأمثالها وأشعارها ، متكلماً في كل نوع من أنواع الكلام ، ، وكان يلقب بشجاع

الصراع عاد من جديد بين الطرفين في سنة ٥٤٦ هـ . وفي هذه المرة حلت الهزيمة بأصحاب الإمام أحمد بن سليمان في موقعة القليس [١] ، فخرج من صنعاء متوجهاً إلى ذمار ، إلا أنه عاد إليها في سنة ٥٥٠هـ [٢] .

وفضلاً عن ذلك ، خاض الإمام أحمد بن سليمان مواجهات أخرى ، منها تمردات القبائل بين الحين والآخر ، إضافة إلى استدعاء أهل زبيد له سنة ٥٥٣ هـ [٣] ، للاستعانة به على علي بن مهدي الثائر في زبيد ، لكنه لم يستطع فعل شيء. وفي سنة ٥٦٦ هـ [٤] توفي الإمام أحمد بن سليمان ، بعد عام تقريباً من حربه مع الأشراف القاسميين ، الذين أسروه [٥] وهو شيخ أعمى في أواخر عمره ، فسار أولاده إلى السلطان علي بن حاتم الهمداني وطلبوا منه السعي في فك أسر أبيهم ، فكتب إلى الأشراف الذين أطلقوا سراحه [٦] .

ومع وفاة الإمام أحمد بن سليمان ، اختفت الإمامة الزيدية مرة أخرى من اليمن ، ولم يعد لها نفوذ يذكر ، واستمر الحال على ذلك زهاء سبعة وعشرين عاماً ، حتى قام بأمرها الإمام عبد الله بن حمزة ، الذي أعاد للدولة الزيدية بعضاً من أمجادها و أحياها من جديد ، فهو ـــ لذلك ـــ يُعد مؤسس الدولة الزيدية الثانية في اليمن بعد الدولة الأولى التي أسسها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين .

الدين ، توفي في شهر رمضان من سنة ٥٥٦ هـ بصنعاء . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج٢ ، ص ٨٢ ، حاشية رقم (٣) ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٠٥ ، حاشية رقم (٥) ، ص ٢٠٦ ـــ ٢١١ ؛ الأكوع ، هجر ، ج ٢ ، ص ٧٩١ ـــ ٧٩٢ .

[1] القُلَيْسَ : أحد محافد صنعاء . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٦٠ ـــ ٣٦١ . واسم الكنيسة التي بناها أبرهة الأشرم على باب صنعاء ، ولازال موضعها اليوم معروفاً في حي القطيع شمال شرق باب اليمن . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ص ٢٣٤ ، حاشية رقم (٣) .

[2] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣١١ .

[3] ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تح: عبد الله بن محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني ، ط ١ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٢٢ .

[4] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٦٦ب .

[5] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣١٨

[6] المصدر نفسه والصفحة ؛ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ، ط ١ . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٠٣ ؛ علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٦١ .

الفصل الأول

الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة

(٥٦١ ــ ٦١٤ هــ)

١ ــ نسبه ومولده :

يُعد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من الشخصيات المهمة في تاريخ الــيمن الإسلامي عامة ، والدولة الزيدية خاصة ، ولاسيما في أواخر القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع . وكان عالماً في الفقه واللغة ، وأديباً ، وشاعراً ، وخطيباً بليغاً .

نسبه الكامل هو أبو محمد عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة ابن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ﷺ) [١] .

فهو ــ إذن ــ ليس من أحفاد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ؛ ولكنه مــن أحفاد أخيه عبد الله بن الحسين ، وتحديداً من فرع (الحمزات) .

ولد في عيشان[٢] من ظاهر همدان في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ٥٦١هــ [٣]. والده حمزة بن سليمان بن حمزة كان فاضلاً وعالماً ورعاً ، قال عنــه القاضي جعفر بن أحمد[٤] إنه كان يصلح للإمامة وإنه لو دعا لأجبنا دعوته . واشتهر من

---

[١] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج٢ ، ص١٧٦ ؛ المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٦٧ أ ؛ عبد الله بن حمزة ، الشافي ، مج ١، ج ١ ، تح : مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، ط ١ ، مكتبه اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٤٠٦هــ / ١٩٨٦ م ، ص٣ ؛ الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص١٠٣ ــ ١٠٥ .

[٢] عَيْشان : قرية في الشمال الغربي من ذمار في ناحية جهران ، لكن عيشان المقصودة هنا ؛ جبل وبلدة إلى الشمال الشرقي من شهارة . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج٢ ، ج٣ ، ص٩٤٢ ، حاشية رقم (٢) ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ٦١٩ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٨٣ .

[٣] بينما تتفق المصادر والمراجع التاريخية ، حول يوم وشهر مولد الإمام عبد الله بن حمزة ، ينفرد المحقق القاضــي محمــد بن علي الأكوع بذكر يوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول لمولد الإمام ، ولكن الصواب مــا ذكرتــه تلك المصادر والمراجع . انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج٢ ، ق ٦٧ب ؛ عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين ، تح : عبدالسلام ابن عباس الوجيه ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢١هــ / ٢٠٠١م ، ص١٦ ؛ المهذب في فتاوى الإمــام المنصــور بالله عبدالله بــن حمــزة ، جمــع وتهذيب : محمــد بــن أسعــد المــرادي ، تصحيح ومقابلة : عبدالسلام ابن عباس الوجيه ، ط١ ، مؤســسة الإمام زيد بن علي الثقافيــة ، عمّان ، ١٤٢١هــ / ٢٠٠١ م ، ص (ب) ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٢٨٤ ، حاشية رقم (٢) ؛ الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، المطبعة السلفيــة ، القاهــرة ، ١٣٤٦هــ ، ص ٢٩

[٤] هو جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى الأبناوي عالم الزيدية ومتكلمها في عصره يقال إنه كان مطرفياً ، ثــم سافــر إلى العراق ، وهناك قرأ الكثير من كتب المعتزلة وتأثر بها فعاد عن التطريف ، ورجع إلى اليمن ، ولذلك يعد أول من أدخل الفكر المعتزلــي إلــى اليمــن ، توفــي سنة ٥٧٣ هــ ، ومن تلامذته الشيخ الحسن بن محمد الرصــاص ، والإمــام عبد الله بن حمزة . له العديد من المؤلفات منها : كتاب (العدة) ، (منهاج السلامة) ، (قواعد التقويم) ، (أركان القواعد) وغيرها . انظر : علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٣٠ ــ ١٤٣ ؛ أحمد حسين شرف الدين ، تاريخ اليمن الثقافي ، ج ٤ ، مــطبعــة الكيلانــي الصغيــر ، القاهــرة ، ١٣٨٧ هــ / ١٩٦٧ م ، ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ ؛ الأكــوع ، هجــر ، ج ٢ ،

أجداده المحتسب في سبيل الله حمزة بن أبي هاشم ، الذي خرج في عهد الصليحيين ، والإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن ، الذي تُوفي بناعط سنة ٤٣١هـ . أما أمه فهي الشريفة زينب بنت إبراهيم بن سليمان ، وينتهي نسبها إلى الإمام محمد بن يحيى بن عبد الله (١) .

٢ ـ نشأته وتعليمه :

نشأ الإمام عبد الله بن حمزة في بيئة علم ، وهدى ، وزهد ، و تقى ، لا يسمع إلا آيات القرآن ، والتهليل والتكبير ، أو صليل السيوف وأخبار الحروب (٢) . ولم يُعرف له شغل في حال صباه باللعب واللهو والطرب (٣) . كان ذكياً فطناً ، حفظ القرآن صغيراً ، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة أنواع العلوم المختلفة ، فبرز في الفقه ، و ألف أول تصانيفه (٤) في أصول الدين وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ، وتفوق في الحديث فكان يرويه بعدة طرق ، ناهيك عما حفظه عن أبيه من الأحاديث المتصلة في تسلسلها إلى الرسول (ﷺ) . ولم يكتف بذلك فحفظ الشعر أيضاً ، إذ روي عنه أنه قال : " أحفظ قدر مائة ألف بيت ، وفلان يحفظ مثلها " (٥) ، بل إن البعض قال عنه : " لو قال قائل : أنه لم يكن مثل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أحد من أئمة العترة وغيرهم في حفظ أشعار العرب ، وأيامها ، وأنسابها ، وقبائلها ، ... لكان صادقاً " (٦) .

تلقى العلم على يد العديد من العلماء الكبار وأبرزهم : الشيخ حسام الدين أبو محمد الحسن بن محمد الرصاص(٧) ، والشيخ محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي (٨) ،

ص ٩٥٥ ـ ٩٥٩ .

(1) المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٦٧ ب ؛ العزي ، عبد الله بن حمود ، عرض لحياة وآثار الإمام المنصور بالله عبدالله ابن حمزة (٥٦١ ـ ٦١٤ هـ) ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٦ .

(2) الشامي ، أحمد بن محمد ، تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ، ج ٣ ، ط ١ ، منشورات العصر الحديث ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٣٨ .

(3) المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٦٩ ب .

(4) كانت أول تصانيف الإمام رسالة : " الجوهرة الشفافة رادعة الطوافة " وكان يومها تلميذاً عند الشيخ الحسن بن محمد الرصاص . انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٧٠ أ .

(5) المصدر نفسه والورقة .

(6) الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٣٩ .

(7) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الرصاص ، كان تلميذاً للقاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام ، ثم أصبح شيخاً للإمام عبد الله بن حمزة ، انتهت إليه رئاسة أصحاب القاضي جعفر بن أحمد ، كان في علم الكلام شمساً مشرقة وحبراً من أحبار الزيدية ، مدحه الإمام عبد الله بن حمزة بقوله :

بحراً فلا الأفلاكُ تقطعهُ ... كَلّا ولا الماهرون إن مَهَـرُوا .

تُوفي سنة ٥٨١هـ في قرية سناع جنوب صنعاء ، ودفن بجوار القاضي جعفر بن أحمد . انظر : أحمد حسين شرف الدين ، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ، مطبعة الكيلاني الصغير ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ص ٢٥٤ ؛ الأكوع ، هجر ، ج ٢ ، ص ٩٥٩ ـ ٩٦٠ .

والشيخ حنظلة بن الحسن بن شعبان [١]، والشيخ عمران بن الحسن بن ناصر الشتوي[٢] ، والشيخ علي بن أحمد الأكوع[٣] .

وعلى النقيض من هذا الجو الأُسري و الإجتماعي المفعم بالعلم والمعرفة ، كان الوضع السياسي في اليمن ــ آنذاك ــ في أسوأ وأضعف مراحله [٤] ؛ ففي زبيد كان عبد النبي بن مهدي يستبيح المدن والقرى[٥] ، وكانت عدن و أبين وتعز تحت حكم آل زريع [٦] ، وكانت بقايا بني يعفر في صراع مستمر مع السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني على صنعاء [٧] ، وكانت صعدة وما يليها في يد الأشراف أحفاد الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، الذين دخلوا في صراعٍ دامٍ مع الأشراف القاسميين في شهارة وما يليها من البلاد ، بينما ظل الجوف في يد السلاطين آل الدعام ، وخضعت ذمار لسيطرة مشائخ جنب [٨]، وتغلب الشريف وهاس بن غانم السليماني على تهامة [٩]، وهكذا الحال في معظم المناطق اليمنية . واستمر الوضع على هذا النحو حتى سنة ٥٦٩ هـ ، عندما خضعت اليمن

---

[8] هو شيخ الإسلام محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي ، أحد مشائخ الإمام عبد الله بن حمزة ، بلغت مصنفاته المشهورة : سبعة وعشرين مصنفاً ، منها : (منهاج السلامة) ، (مختصر تهذيب الحاكم) ، قال عنه يحيى بن الحسين : إنه كان على مذهب الاعتزال ، ويرى تقديم المشائخ الثلاثة على علي بن أبي طالب ، كما أنه يرى أن طريقة الإمامة هي = العقد والإختيار ، توفي سنة ٦٢٣ هـ . انظر : عبد الله بن حمزة ، الشافي ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٥ ، حاشية رقم (٢) ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ ، حاشية رقم (٣) .

[1] هو الفقيه العالم الحافظ حنظلة بن الحسن بن شعبان ، سُجن في زبيد على يد الأيوبيين ، وذلك بعد خروج الإمام عبد الله بن حمزة من صنعاء سنة ٥٩٤ هـ ، ثم خرج بعد الصلح الذي تم بين الإمام و الأيوبيين . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص٩٧ ــ ٩٨ .

[2] من علماء الهادوية عاصر الإمام عبد الله بن حمزة وامتد عمره إلى زمن الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم وتوفي سنة ٦٤٦ هـ . أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١٢٦ .

[3] الفقيه علي بن أحمد الأكوع من مشائخ الإمام المنصور ، تولى التدريس بحوث ، والقضاء والتدريس بمكة المكرمة ، وجمع كتاب الاختيارات المنصورية عن أمر الإمام إبراهيم بن القاسم . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، حاشية رقم (٤) .

[4] للتعرف على سمات هذه المرحلة . انظر : المطاع ، أحمد بن أحمد ، تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤ إلى سنة ١٠٠٦ هـ ، تح : عبد الله بن محمد الحبشي ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٨٠ وما بعدها .

[5] ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ؛ الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

[6] ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٢٧ ؛ عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٧ ؛ الثور ، عبد الله أحمد ، مختصر من تاريخ اليمن ، ط ١ ، دار الاستقلال ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٧٦ .

[7] ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢١٦ ؛ الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

[8] جَنَب : من قبائل مذحج ، وهم ولد يزيد بن حرب جانبوا أخاهم يزيد بن مزيد ، وحالفوا سعد العشيرة ، وجنب : أيضاً مخلاف شمال جبل حضور من أعمال بني مطر ، وبلد جنب : عزلة من ناحية السودة محافظة عمران . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ١٩٢ ــ ١٩٣ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٤٥ .

[9] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٧.

كلها للحكم الأيوبي بقيادة توران شاه [١] ، الذي استطاع القضاء على كل المحاولات التي قامت بها القبائل ، لمقاومته وصده . فجاءت دولة الأيوبيين لتستبدل الجور بالجور ، والطغيان بالطغيان ، والتسلط بأضعافه [٢].

ويبدو أن هذه الأوضاع ساعدت ــ بشكل أو بآخر ــ في تكوين شخصية الإمام عبد الله بن حمزة ، فخلقت منه شاباً ساخطاً ثائراً على الوضع ، معتزاً بنفسه ونسبه ، ومتسلحاً بأنواع العلوم والمعرفة ، ومستوفياً لشروط الإمامة بعد غيابها ردحاً طويلاً من الزمن ، إذ ورث الشجاعة ، والمروءة ، والعلم عن أبيه وأجداده وشيوخه ، وكان الكل يتفرس فيه النجابة والذكاء ، ويتوقعون أن يكون شخصاً بارزاً ، فكان كما كانوا يتوقعون ، وتمثل ذلك في عدة أحداث لعل أبرزها : أن قوماً من بني صريم ، جاءوا إلى والده حمزة بن سليمان، يطلبون منه القيام بأمر الإمامة والمدافعة عنهم من سلاطين بني حاتم . فقال لهم : " لا فرج لكم على يدي و إنما فرجكم على يد هذا الصبي " [٣] ، يقصد الإمام عبد الله بن حمزة ، وكان يومها ابن عشر سنين أو دونها .

٣ ــ صفاته :

أما الصفات الخَلقية ، فقد كان الإمام طويل القامة ، تام الخلق ، دريّ اللون ، أقنى الأنف ، حاد البصر [٤] ، أبلج [٥] ، كث اللحية ، مات وقد غلب الشيب على عارضيه [٦] .

و أما الصفات الخُلقية ، فقد جمع الإمام الكثير من فضائلها ، ومهما تحرى البعض في حقيقتها ، فلا بد له أن يصل إلى قناعة تامة بصدق معظمها ، لا من خلال المصادر

---

[١] هو الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، الملقب فخر الدين ، فتح بلاد اليمن سنة ٥٦٩ هـ ، وقضى على الدويلات المتصارعة فيها ، فلما استتبت له الأمور و أصبحت اليمن جزءاً من الدولة الأيوبية ، عاد إلى مصر سنة ٥٧١هـ ، وهناك توفي سنة ٥٧٦ هـ . انظر : ابن حاتم ، بدر الدين محمد بن حاتم ، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تح : ركس سميث ، كمبردج ، ١٩٧٤ م ، ص ٢١ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٦ ؛ محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٠م ، ص٣٣٧ ــ ٣٣٨ .

[٢] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٧ .

[٣] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٦٧ ب ــ ٦٨ أ .

[٤] المصدر نفسه ، ق ٦٩ ب ؛ المؤيدي ، مجد الدين بن محمد بن منصور ، التحف شرح الزلف ، ط ٣ ، مكتبة بدر ، صنعاء ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٤٤ .

[٥] البلجة : هي نقاوة ما بين الحاجبين ، والبلوج يعني الإشراق ، يقال بلج الصبح أي أضاء ، والأبلج هو المضيء المشرق . انظر : الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ترتيب مختار الصحاح ، تح : شهاب الدين أبو عمر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٩١ ؛ المؤيدي ، التحف شرح الزلف ، ص ٢٤٤ ، حاشية رقم (٢) .

[٦] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٦٩ ب .

الزيدية التي بالغت فيها ، ولكن عبر مصادر أخرى (١) اعترفت لــه بتلك الصفات . ومن هذه الصفات : الصبر عند الشدائد ، ولعل أشدها عليه و أعظمها عنده مقتل أخيــه الأميــر صارم الدين إبراهيم بن حمزة في معركة وادي لصف(٢) . روى ابن دعثم هذا بقوله : " لما جاء الخبر إلى شوابة (٣) بمصاب الأمير صارم الدين ... اغتم الإمام والمسلمون لذلك ، مع إظهار التجلد والصبر منه عليه السلام خاصة ، وما رأيت له دمعة سالت على أخيه ، وهــو شقيقه وابن أمه وأبيه . ولقد أُتي له بطعام وهو صائم ، فأكل منه وقال متمثلاً :

على كُلّ حالٍ يأكلُ المرءُ زادهُ ... على البعدِ والهجرانِ والحدثانِ " (٤) .

ولما أتاه الخبر بموت أم ولده محمد وهي من أحــب أزواجــه إليــه ، وأخــصهن عنده (٥) استرجع الله ، ولم يظهر غماً ولا حزناً (٦) .

ومن صفاته كذلك : الشجاعة وهي صفة مشهود له بها في مواقف كثيرة ، وأبرزها يوم عجيب (٧) ويوم عقار (٨). كما أننا نستطيع أن تستخلص هــذه الــصفة مــن خــلال مراسلات الإمام مع الأمير الأيوبي وردسار(٩) ، ففي معرض رده على رسالة تسلمها من

---

(1) على سبيل المثال انظر : ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٤ ــ٢٩٢ .

(2) وادي لصف : يقع في قرية الحنشات ، ناحية [illegible] ، إلى الشرق من المدينة بمسافة (ثلاثين كيلومتر) . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص٤١٧ ، حاشية رقم (٢) .

(3) شُوابة : واد من أعمال ذيبين في بلاد بكيل ينحدر ماؤه إلى الجوف ، وإليه تنسب قرية شوابة في عزلة سفيان ناحية ذيبين . محافظة عمران . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٥٨ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٧٥ .

(4) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

(6) المصدر نفسه ، ص ٤١٤ .

(7) عَجيب : بلدة عامرة من همدان ثم من بكيل شمال صنعاء على مقربة من ريدة البون ، وعُجَيــب عزلــة من مخــلاف عمار وأعمال النادرة . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٨١ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٣٩ .

(8) عَقَار : قرية من عزلة عيال حاتم ناحية جبل عيال يزيد ، ووادي عقار بنفس المنطقة في الشمال والشمال الشرقي من قارن . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٣٣ ، حاشية رقم (١) .

(9) وَرَدَ اسم هذا الأمير في كتاب السمط الغالي الثمن باسم ورد شار ، بينما ورد في كتاب غاية الأماني باسم وردسان ، ونجده في بلوغ المرام باسم ورد سال ، وفي السيرة المنصورية والعسجد المسبوك باسم وردسار ، والأخير هو الاسم الصحيح ، ويؤكد ذلك العرشاني في كتابه الاختصاص عندما يتحدث عن المنارتين الشرقية والغربية للجامع الكبير بصنعاء فيذكر الاسم كامــلاً وهو الأمير الأجل ملك الأكراد علم الدين وردسار بن بيامي بن أسوسي بن باذبان بن موفر الشانكاني نسبة إلى شانكــان من قبائل الأكراد من بلاد العرب ، وقيل من نزار بن معد بن عدنان . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصوريــة ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠ ؛ العرشاني ، سري بن فضيل ، كتاب الإختصــاص المطبــوع بعد كتاب تاريــخ مدينــة صنعــاء للرازي ، تح : حسيــن بن عبــد الله العمــري (الدكتــور) ، ط ٣ ، دار الفكــر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشــق ، ١٤٠٩ هــ / ١٩٨٩ م ، ص ٥٠٦ ؛ ابن حاتم ، السمط الغالي الثمــن ، ص٧٠ ؛ الخزرجي ، أبو الحسن علي بن الحســن ، العسجــد المسبــوك في من ولي اليمــن من الملــوك ، مخطوطــة مصورة ، ط ٢، وزارة الأعــلام والثقافــة ، صنعاء ، ١٤٠١ هــ / ١٩٨١م ، ق ٨٨ أ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص ٣٥٥ ؛ العرشــي ، حسين بن أحمد (القاضي) ، بلوغ المرام في شرح مســك الختــام في من تولى مُلك اليمــن من ملك وإمام ، عني بنشــره : الأب أنستاس ماري الكرملي ، دار إحيــاء التراث العربــي ، بيروت ، ١٩٣٩ م ، ص ٤٢ .

هذا الأمير قال الإمام : " و أما ما ذكرت من النزال والنضال ، وقود الرعال إلى الرعـــال ، فلسنا ممن يُروع بالحرب ، ولا ممن يفزع بالطعن والضرب . ولو تكافأت الأجنـــاد بالعـــدة والعُدة ، لكنت أحب الفريقين للمباعدة ، و أدناهما إلى السآمة [عن] المصادمة والمجالـــدة ، وإن لم يعترف بذلك لسانك عرفه قلبك . ولعل لطف الله تعالى يجمع بيننا وبينك في أبغـــض الأيام إليك ، وأوثرها لك ... " [١] .

وفضلاً عن ذلك ، اتصف الإمام عبد الله بن حمزة بالحزم ، وقد تجلى ذلك في أبهى صوره عندما ضربت الدراهم المنصورية فنفر الناس من قبضها في ابتداء أمرهـــا فخطـــب الإمام في الناس ، فأوعد وأرعد ، وختم خطبته بقوله : " فانظروا لنفوسكم نظـــراً مخلـــصاً فالأمر جد ، ولا تظنوا أني أعاملكم في الدرهم بالهوادة والرفق ؛ و إنما هو السيف والسوط والحبس وأخذ المال . فمن صدقنا فليجزم ، ومن كذبنا فليقدم " [٢] ، فقبضه الناس في أول الأمر رهبة .

كما اتصف الإمام بالتواضع ، فيكفي أن نعرف أن الإمام شارك العمـــال فـــي بنـــاء حصن ظفار [٣] ، فكان يحفر بيده ، ويقلب ويحمل الحجارة بنفسه [٤] ، وبالإضافة إلى ذلك اتصف الإمام بالورع والعدل ، اللذين كان لهما أثر كبير في نجاحه أثنـــاء إدارتـــه لـــشؤون دولته . فقديماً قالوا : " العدل أساس الملك " ولا شك أيضاً أن الورع أساس العدل ، ولـــدينا بهذا الصدد مثال على ذلك . إذ ذكرت المصادر أن رجلاً جاء إلى الإمام بدينار بِر فـــسلمه إليه ، إلا أنه عاد بعد مدة يشكو عليه أمراً ، فأمر الإمام له بدينار عوضاً عن ديناره ، حتى يستبرئ ذمته في أمر شكاية الرجل ، فقال له الرجل : أنه بِر ! فقال الإمام : قد قبلنا ، وهذه صدقة عليك [٥] .

وفي مثال آخر ، أن سيولاً عظيمة حدثت في موضع يقال له " صارهين " بـــالأهجر من بلاد حمير سالت معها القرى ، والمعازيب ، والضياع ، بما فيها مقـــدار ميـــل ، حتـــى حطت على ضياع و أملاك قوم آخرين في أسفل الوادي ، ووقع النزاع بين الطرفين علـــى الضياع والأموال وادعى كلٌ ملكها ، فحكم الإمام بالضياع لأهل الأرض الـــسفلى ، وحكـــم لأهل الأرض العليا ما أمكن حمله من حيطانها وأخشابها وما استطاعوا نقله [٦].

---

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٣٦ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٧١٨ .

(3) انظر فيما سيأتي ، ص ١٣٥ .

(4) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ .

(5) المحلي ، الحدائق ، الوردية ، ج ٢ ، ق ٧٦ أ ، ودينار بر يعني : دينار صدقة يتقرب بها العامة إلى الأئمة من آل البيت .

(6) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

وإلى جانب هذه الصفات تحلى الإمام بالسخاء والكرم حتى مع الأعداء ، كما عرف عنه الأناة والحلم والتسامح .

٤ ــ عاداته اليومية :

كانت للإمام عبد الله بن حمزة عادات يومية وأوقات مرتبة ، لكل وقت منها وظائف لابد من إنجازها ، حتى في حال السفر ، ومن هذه العادات : قراءة القرآن الكريم من بعد صلاة الفجر إلى بعد طلوع الشمس(١) ، وقراءة كتب الأخبار ، ومناقشة العلماء وأهل المعرفة في المسائل ذات الخلاف ، ما بين طلوع الشمس حتى الضحى . بعد ذلك ينشغل الإمام بإرسال الكتب إلى البلاد المختلفة ، والإجابة عن الوارد منها ، وقضاء حوائج الناس ، والإجابة عن فتاواهم ، وذلك إلى غروب الشمس لا تقطعه إلا الصلاة . ومن بعد صلاة المغرب تُقرأ على الإمام الأخبار وغيرها من الأمور حتى ثلث الليل أو رُبعه . كل ذلك مع الصوم المستمر ، الذي لا ينقطع إلا عند قدومه إلى أهله ، أو في حالة المرض ، أو عند القتال (٢) .

٥ ــ إحتسابه (٣) :

في سنة ٥٨٣ هـ (٤) أعلن عبد الله بن حمزة إحتسابه ، وعمره حينذاك إثنان وعشرون عاماً (٥) ، أو ما عرف في المصادر التاريخية بدعوته الأولى (٦)، وكان يومها

---

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٢) الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٣٩ .

(٣) الإحتساب لغة له عدة معان :

المعنى الأول : الإحتساب وهو طلب الأجر من الله تعالى ، تصديقاً لقول الرسول (ﷺ): " من صام رمضان إيماناً وإحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه " .

المعنى الثاني : الإحتساب ورد بمعنى الإنكار ، يقال احتسب فلان على فلان ، أي أنكر عليه قبح عمله ، ومنه جاء مفهوم المحتسب . أما الإحتساب اصطلاحاً فهو القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفقد أحوال السوق . البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، ج ١ ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٩ ؛ ابن حجر ، أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١٥ ، تح : عبد العزيز بن عبد الله بن باز (الشيخ) ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٦٠٨ ؛ الزبيدي ، محمد بن محمد الحسيني ، إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ، ج ٧ ، د . ت ، ص ٤ ــ ٥٢ ؛ النونو ، نظام الحسبة عند الزيدية ، ص ١٠٥ ــ ١١٠ .

(٤) ذكر العرشي في كتابه بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، ص ٤٣ ، أن سنة إحتساب عبد الله بن حمزة هي سنة ٥٩٣ هـ ، غير أن معظم المصادر التاريخية تتفق على أن هذه السنة هي سنة بيعته للإمامة وليس سنة إحتسابه . انظر على سبيل المثال : ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤١ .

(٥) مع أن الإمام عبد الله بن حمزة كان صغيراً في ذلك الحين ، إلا أنه كان مستوفياً لشروط الحسبة عند الزيدية التي يمكن إجمالها في أن يكون المحتسب عاقلاً ، حراً ، عادلاً ، ورعاً ، حسن الرأي والتدبير ، معيناً من الإمام في حال وجوده . انظر : النونو ، نظام الحسبة عند الزيدية ، ص ١٢١ ــ ١٢٢ .

(٦) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

يرغب في قيام أحد الشيخين السيدين شمس الدين[١] يحيى بن أحمد أو بدر الدين[٢] محمــد ابن أحمد بالإمامة ، وذلك لما هو معلوم من علمهما ، وتوافر شروطها فيهما ، لكنهما جنحا إلى السلامة في تحمل أعباء الإمامة [٣].

وعندئذ نهض عبد الله بن حمزة من الجوف إلى صعدة ، يرافقه مائة فــارس ، فتلقــاه الأميران شمس الدين وبدر الدين إلى حقل صعدة في جمع كبير من القبائل ، ثم جاءت جموع الأشراف والمشائخ إليه يطلبون منه القيام بأمر الحسبة ، والمدافعة عنهم من السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني . ويبدو أن الأمور لم تسر كما كان يأمل وخاصة مع قدوم الملك العزيز طغتكين بن أيوب إلى اليمن سنة ٥٧٩ هــ [٤] ، وسيطرته على مختلف ربوعهــا ، نظــراً للقوة الكبيرة التي كانت معه من الغز [٥] .

ومهما يكن من أمر خروج عبد الله بن حمزة على اعتباره محتسب الزيدية ــ آنذاك ــ إلا أن هذا الخروج لم يرتق إلى حد مقارعة الند للند ؛ نتيجة لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين ، فظل خلال تلك المدة التي دامت عشرة أعوام ، ينتقل مــن منطقــة إلــى أخــرى ؛ تجنبــاً لمواجهة حاسمة مع الأيوبيين . ومع ذلك فإن الأمور لم تظل على هذه الحالة طويلاً ، فمــا لبث الملك العزيز طغتكين بن أيوب أن توفي في سنة ٥٩٣ هــ [٦] . والحق أنه بوفاة هــذا

---

[١] هو يحيى بن أحمد بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن أحمد بن يحيى بن الحسين ، ولاه الإمام على شام خولان وبني جماعة والأهنوم ، توفي سنة ٦٠٦هــ بهجرة قطابر . انظر : المحلــي ، الحدائــق الوردية ، ج ٢ ، ق ٩٨ أ ، ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، حاشية رقم (١) .

[٢] هو محمد بن أحمد بن يحيى بن ناصر... بن يحيى بن الحسين ، تولى بلاد نجران في عهد الإمام عبد الله بن حمزة ، توفــي في شهر رجب من سنة ٦٢٤هــ .انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ج٢ ، ق٩٨أ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، حاشية رقم (٢) .

[٣] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

[٤] وجدنا أن هناك تبايناً في المعلومات حول هذه السنة ، فابن كثير والخزرجي يحددان سنة ٥٧٧هــ ، بينما يذكر ابن الأثير سنة ٥٧٨ هــ ، ويخالفهم ابن حاتم في ذلك فيحدد سنة ٥٧٩ هــ ولا شك أنه هو الأقرب إلى الصحة ، فهو مؤرخ الدولة الأيوبية في اليمن ، والأقرب إلى مكان وفترة موضوع البحث . انظر : ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، البدايــة والنهاية ، ج ١٢ ، ط ١ ، دار التقوى ، شبرا الخيمة ، ١٤٢٠ هــ / ١٩٩٩م ، ص ٣٢٦ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٩ ب ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٩١ ؛ ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٤ .

[٥] الغُز : جنس من الترك . انظر : ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لســان العــرب ، ج ١٠ ، اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربــي ، بيــروت ، ١٩٩٧ م ، مادة : غز .

[٦] ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمــان ، ج ٢ ، تح : إحسان عباس (الدكتور) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ م ، ص ٥٢٤ ؛ العامري ، يحيى بن أبي بكر محمــد بن يحيــى ، غربال الزمان في وفيات الأعيان ، صححه وعلق عليه : محمد ناجي زعبي العمر ، دار الخير ، دمشــق ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٧٨ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ، قدم له وعلق عليــه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص ١٢٧ .

الملك ـــ الذي كان من أهم عوامل القوة الأيوبية في اليمن ، نظراً لقوة شخصيته وهيبتـه ـــ بدأت مرحلة جديدة في حياة عبد الله بن حمزة ، تمثلت في انتقاله من مرحلـة الإحتـساب ، إلى مرحلة الإمامة .

٦ ـــ بيعته للإمامة [١] :

نظراً لتوافر شروط الإمامة [٢] الزيدية أو معظمها في عبد الله بن حمزة ، كان من البديهي أن يقوم بأمر الإمامة أو ما تسميه المصادر " بالدعوة العامة " [٣]. وكانـت بيعتـه للإمامة في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول من سنة ٥٩٤ هـ [٤]. وتفاصيل ذلك : أنه تقدم من الجوف إلى الحقل بالقرب من صعدة في شـهر ذي القعـدة مـن سـنة ٥٩٣ هـ [٥] . ومن هناك سار إلى هجرة دار معين ، فأقام بها مدة أربعة أشـهر تـنقص أياماً ، قضاها في محاورة ومناظرة أربعمائة عالم [٦] من علماء الزيدية ، الذين حـضروا للتأكد من استيفائه لشروط الإمامة ، وما إذا كان يصلح لها أم لا! فناظروه في جميع العلوم ، في أصول الدين وفروعه ، ومعقوله ومسموعه ، ومعاني الآيات المشكلة ، وفوائد الأحاديث المغربة حتى أن عالماً منهم سأله عن خمسة آلاف مسالة [٧] ، فأجاب عنها بأحسن جواب . ثم تقدم ومن معه إلى المسجد الجامع بصعدة ، فبايعه الناس وكان أولهم : الأمير شمس الدين

---

(1) الإمامة : لغة هي التقديم ، وعليه فان الإمام في اللغة هو المقدم سواء كان مستحقاً للتقدم أو غير مستحـق . أمـا الإمامـة اصطلاحاً : فهي الولاية على الأمة والتصرف فـي أمورهـا وحراسـة الديـن وسياسـة الدنيـا . انظـر : القاضـي ، عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة ، تعليق : أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٥٠٩ ؛ الماوردي ، أبو الحسـن ، علـي بن محمد بن حبيب ، الأحكـام السلطانيـة والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص ٥ ؛ ابن حزم ، أبو محمـد علي بن أحمـد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مج ٣ ، ج ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٨٧ .

(2) يمكن اختصار شروط الإمامة الزيدية في أن يكون الإمام مكلفاً ، ذكراً ، حراً ، ورعاً ، علوياً ، فاطمياً ولو عتيقاً غير مدع ، سليم الحواس والأطراف ، مجتهداً ، عدلاً ، سخياً ، يضع الحقوق في مواضعها ، مدبراً ، عالماً ، أكثر رأيه الإصابة ، شجاعاً مقداماً ، لم يتقدمه مجاب . انظر : أبو زهرة محمد (الامام) ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د .ت ، ص ٤٥ ؛ صبحي ، الزيدية ، ص ١٤٩ ـــ ١٥١ ؛ أشواق أحمد مهدي ، التجديـد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، ص ١١٠ ؛ الغالبي ، سلوى سعد سليمان ، الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن (١٠٥٤ ـــ ١٠٨٧ هـ) ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م ، ص ٣٢ .

(3) المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٧٣ أ .

(4) عبد الله بن حمزة ، الشافي ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣ .

(5) المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٧٩ أ .

(6) يؤكد عدد العلماء الذين جاءوا لمناظرة الإمام عبد الله بن حمزة ، وكذا طول المدة التي ناظروه فيها ، وكم المسائل والعـلوم التي سألوه عنها ، على التحري والدقة والتشدد الذي ينتهجه علماء الزيدية ، عند اختيار أئمتهـم ، على الرغـم مـن حاجتهم الملحة للإمام عبد الله بن حمزة في تلك المدة ، ولا سيما بعد غياب الإمامة الزيدية مدة طويلة من الزمن .

(7) عبد الله بن حمزة ، الشافي ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣ .

يحيى بن أحمد ، الذي خطب في الناس وكان أول كلامه : " يا جميع المسلمين إنا قد أطلنا خبرة هذا الإمام ، وشهدنا بفضله ، وإنه أحق الناس بهذا المقام ، وقد تعينت علينا وعليكم الفريضة ولزمت الحجة ، فهلموا فبايعوا الإمام..." (١) ثم تلاه الأمير بدر الدين محمد بن أحمد ، ثم تتابع الناس على البيعة كافة ، بما فيهم الأكابر من أهل البيت ، وسائر العلماء ، وكانت ألفاظ البيعة بعد أن يبسط المبايع يده يقول :" أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وموالاة ولينا ومعاداة عدونا ، والجهاد في سبيل الله بين أيدينا . فإذا قال الرجل : نعم . قال : عليك بذلك عهد الله وميثاقه ، وأشد ما أخذ الله على أنبيائه من عهد وعقد . فيقول الرجل نعم فيقول الإمام : الله على ما نقول وكيل " (٢) ، ثم استقر الإمام بصعدة ، وفرق الدعاة والولاة إلى النواحي ، ثم تقدم بعد ذلك إلى الجوف وأقام في براقش . وقد كانت المدة التي أعلن فيها عبد الله بن حمزة إمامته مناسبة جداً ، فالملك العزيز طغتكين بن أيوب كان قد توفي ، وخلفه ابنه الملك المعز إسماعيل بن طغتكين(٣) ، الذي كان سيئ السيرة (٤) والسياسة ، كثير الشك ، سفاكاً للدماء ، مما أدى إلى تشتت الأصحاب والأنصار من حوله ، ولجوئهم إلى الإمام عبد الله بن حمزة (٥) ، الذي إستطاع من خلالهم تحقيق العديد من الانتصارات ودخول صنعاء في سنة ٥٩٤ هـ ، وهو ما عبر عنه الإمام شعراً حين قال :

أُقلبُ طرفي هل أرى العربَ جهرةً	فلمْ أرَ إلا أعجمَيًا مُهمهِما
سِوى نفرٍ شمِّ الأنوفِ غطارفٍ	رَأوا خلطهِم للنَّفسِ بالنَّفسِ أحزَما (٦)

---

(1) عبد الله بن حمزة ، الشافي ، مج ١، ج ١ ، ص ٣ .

(2) المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٧٩ أ .

(3) هو المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، تولى الملك في التاسع عشر من ذي القعدة من سنة ٥٩٣هـ ، كان فارساً شجاعاً ، تآمر عليه جنده وقتلوه في الثامن عشر من رجب من سنة ٥٩٨ هـ ؛ نظراً لظلمه وعبثه وسفكه للدماء بغير حق . انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ ــ ٥٢٥ ؛ ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٨١ ؛ القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد ؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشأ ، ج ٥ ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٨ ؛ محمد عبد العال أحمد ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٣٣٨ ، حاشية رقم (٢) .

(4) العامري ، غربال الزمان ، ص ٤٨٥ .

(5) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٣ ، تح : جمال الدين الشيال ، دار العلم ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٣٦ ــ ١٣٧ .

(6) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٥١ .

٧ ـ أولاده و أزواجه :

للإمام عبد الله بن حمزة أولاد كثيرون من الذكور والإناث ، أمـا الـذكور فهـم : الناصر لدين الله محمد[١] والمتوكل على الله أحمد[٢] ، وداؤد[٣] ، وإبراهيم ، والحـسن ، وموسى[٤] ، وسليمان[٥] ، ويحيى ، والقاسم[٦] ، وجعفر ، وعيسى ، وللإمام أيضاً خمسة من الأولاد درجوا صغاراً وهم : الحسين ، وحمزة ، وإدريس ، والفـضل ، وعلـي[٧] . وأما الإناث ، فللإمام عشر وهن : زينب ، وسيدة ، وفاطمة ، وجمانة ، و رملة ونفيـسة ، ومريم ، ومهدية ، و آمنة ، وعاتكة[٨].

وأما أزواج الإمام فهن : دنيا ابنة القاسم[٩] ، وهي أم الناصر لـدين الله محمـد ، تليها فاطمة ابنة يحيى بن محمد الأشل من أولاد الهادي إلى الحق ، وهي أم أحمد وعلي ، ثم نِعَمْ ابنة سليمان بن مفرح ، وهي أم جعفر ، ثم منعة ابنة الفضيل بن علي بن حاتم اليـامي ، وهي أم إدريس[١٠] . والأخيرة كان دخوله بها في أواخر محرم من سنة ٥٩٩هـ[١١].

---

[1] هو الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة ، قام بالحسبة من جبل كنن في خولان الطيال (خولان العالية) ، بعـد وفاة والده ، وتلقب بـ : الناصر لدين الله ، كان شجاعاً ، ثابت القلب ، فصيحاً ، بليغاً ، وكانت بينـه وبين الأيوبيين صـولات وجولات ، لكنه ما لبث أن توفي في التاسع من شهر ذي الحجة من سنة ٦٢٣ هـ بحوث ، وقبر بظفار وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عاماً . انظر : العرشي ، بلوغ المرام ، ص٤٣ ـ ٤٤ ؛ المؤيدي ، التحف شرح الزلـف ، ص ٢٤٦ ؛ الأكـوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٩٧ .

[2] هو الأمير شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة ، عالم محقق في النحو واللغة والأنساب وأيام العرب ، وأديب وشاعـر ، توفي بصعدة في الثالث عشر من جمادى الأولى من سنة ٦٥٦ هـ . الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٩٧ ـ ١٣٠١ .

[3] الأمير داؤد : خلف أخاه شمس الدين في رئاسة الحمزات ، كان عالماً ، وأديباً وشاعـراً فصيحـاً ، له غـزوات ووقعـات معروفة ، توفى بظفار في التاسع من شهر رمضـان من سنـة ٦٨٩ هـ . الأكـوع ، هجـر ، ج ٣ ، ص ١٣٠١ .

[4] أمير مشهور ، انتهت إليه رئاسة الحمزات . الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٣٠٢ .

[5] أمير مشهور كانت والدته سبية تركية من اللواتي سباهن الإمام عبد الله بن حمزة في المهجم في وادي سردد ، توفي بظفـار في الخامس من شهر ذي القعدة من سنة ٦٣١ هـ . الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٣٠١ .

[6] شاعر وأديب . الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٣٠٢ .

[7] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٩٨ أ .

[8] المصدر نفسه والورقة

[9] ينتهي نسبه إلى حمزة بن أبي هاشم "جد الحمزات " . انظر : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٩٨ أ .

[10] المصدر نفسه والورقة .

[11] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

أما باقي أبناء الإمام عبد الله بن حمزة ولاسيما من الأولاد فهم من أمهات أولاد ، كحمزة الذي جاء من جارية حبشية [١٢] ، وسليمان الذي كانت أمه جارية تركية [١٣] .

٨ ــ وفاته :

تُوفي الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في يوم الخميس الثاني عشر من شهر المحرم من سنة ٦١٤هـ [١] ، في حصن كوكبان [٢] ، ثم نُقل منه إلى حصن بكر [٣] ، فمكث هناك يوماً ، ثم نقل إلى حصن ظفار [٤] ، فقبر هناك ، وكان عُمره عندما توفي اثنتين وخمسين سنة ، وثمانية أشهر ، واثنين وعشرين يوماً ، ومدة إمامته تسعة عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً [٥] ، وكان سبب وفاته مرض ذات الجنب [٦] .

[12] المصدر نفسه والصفحة .

[13] الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٣٠١ .

[1] الخزرجي ، علي بن الحسن ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ ، عني بتصحيحه : محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، ص ٣٢ ؛ ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٧١ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص ٤٠٦ ؛ محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨ ــ ٩٢٣هـ / ١٢١٣ ــ ١٥١٧ م) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ م ، ص ٧٧ . ومن الجدير ذكره أن البعض يخطئ في سنة وفاة هذا الإمام ، فالبعض يحدد سنة ٦١٣ هـ . انظر الواسعي ، فرجة الهموم ، ص ٢٠٩ و البعض يحدد سنة ٦٣٠ هـ . انظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، دار البيان ، بغداد ، د . ت ، ص ١١٢ . وهذا كله غير صحيح .

[2] كَوْكَبان : حصن مشهور ، مطل على شبام كوكبان في الغرب الشمالي عن صنعاء ، يقال إنه : سمي كوكبان لأن قصره كان مبنياً بالفضة والحجارة ، وداخلها الياقوت والجوهر ، وكان ذلك الدر والجوهر يلمع مع حلول الليل كما يلمع الكوكب ، فسُمي كذلك . انظر : الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٦٩ . ويضيف المقحفي أنه سُمي كذلك نسبة إلى كوكبان بن ذي سفال بن أقيان بن زرعة . معجم ، ص ٥٦٣ .

[3] بَكُر : حصن من ناحية شبام كوكبان . يذكر الحجري أن الإمام عبد الله بن حمزة توفي فيه ، وهذا ليس صحيحاً ، فالإمام توفي في حصن كوكبان ، ثم نقل ميتاً إلى هذا الحصن ، ومنه إلى حصن ظفار حيث دفن هناك . انظر : مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٢٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٨٦ .

[4] ظَفَار : حصن من بلاد همدان من أعمال ذيبين ، كان يعرف سابقاً بأكمة أبي الفتح الديلمي ، أعاد الإمام عبد الله بن حمزة بناءه سنة ٦٠٠ هـ ، ثم ارتبط اسمه لاحقاً بداود بن عبد الله بن حمزة . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٦٤ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٢٠ ــ ٤٢١ ؛ الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٨٣ ــ ١٢٨٦ .

[5] وجدنا في كتاب " غاية الأماني " أن مدة إمامة عبد الله بن حمزة سبع عشرة سنة ، وتسعة أشهر ، وعشرون يوماً ، ويبدو أن ذلك خطأ في النسخ والتصحيح من كتاب " التحف شرح الزلف " . انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠٦ ؛ المؤيدي ، التحف شرح الزلف ، ص ٢٤٦ .

[6] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٧١ ، وهذا المرض عبارة عن ورم شديد يصيب الغشاء المبطن للأضلاع . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين ، أحكام الجنائز وبدعها ، ط ٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٣٩ ، حاشية رقم (٣) .

الفصل الثاني

الصراع السياسي والعسكري بين الامام عبد الله ابن حمزة والأيوبيين في اليمن

(٥٨٣ ـ ٦١٤ هـ)

١ ــ أسباب الفتح الأيوبي لليمن :

كان الفتح الأيوبي لليمن سنة ٥٦٩ هــ [١] ، وقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من الأسباب التي دفعت الأيوبيين إلى هذا الفتح . ومن هذه الأسباب ما يلي :

١ ــ ظهور [٢]عبد النبي بن مهدي[٣] ، واستيلاؤه على تهامة اليمن وإذلاله لأهلهـا ، وسفكه للدماء ، ومنعه الناس من الحج ، وزعمه أن دولته تطبق علـى الأرض، وأن ملكـه يسير مسير الشمس [٤] ، مما أغضب الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي حين علم ذلـك ، فأرسل أخاه توران شاه للقبض عليه . ونحن نعتقد بأن هذا السبب يعد من الأسباب الرئيـسة لهذا الفتح ، والأقرب إلى الصحة من بقيتها، مع أننا لا نستبعد بعضها .

ولا يخرج عن سياق هذا السبب ماذكرته المصادر التاريخية من أن الفتح الأيوبي لليمن ، جاء لإنقاذ الشريف قاسم بن غانم السليماني[٥] ، الذي قُتل أخوه وهاس على يد عبد النبي بن مهدي ، إلا أن هذا لا يمكن عدة السبب الرئيس لهذا الفتح ، لأن الأيوبيين عندما دخلوا اليمن كان أول دخولهم إلى المخلاف السليماني[٦] ، حيث استقبلهم الشريف قاسم بن غانم بن يحيى

---

[١] ابن حاتم ، السمط الغالي ، ص ١٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٢١ ؛ لين بول ، ستانلي ، الدول الإسلامية (يبحث عن١٨١ دولة إسلامية) ، ج ١ ، إضافات وتصحيحات : بارتولد وخليل أدهم ، نقله مـن التركيـة إلـى العربية : محمد صبحي فرزات ، أشرف على ترجمته وعلق عليه : محمد أحمد دهمان ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق ، ١٣٩٣هــ / ١٩٧٣م ، ص ٢٠٠ .

[٢] ابن الأثيـر ، الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٣٧ ؛ ابن كثيـر ، البدايـة والنهايـة ، ج ١٢ ، ص ٢٩١ ؛ السروري ، محمـد عبده محمـد (الدكتور) ، الحيـاة السياسيـة و مظاهـر الحضارة في اليمن فـي عهد الدويـلات المستقلة مـن سنـة (٤٢٩ ــ ٦٢٦ هـ) ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، ص ٣٠٤ ؛ محمـد كريـم إبراهيـم (الدكتـور) ،عـدن دراسـة في أحوالهـا السياسيـة والإقتصاديـة (٤٧٦ ــ ٦٢٦ هــ / ١٠٨٣ ــ ١٢٢٨ م) ، منشورات مركز دراسات الخليـج العربـي ، جامعـة البصـرة ، ١٩٨٥ م ، ص ٢١٧ .

[٣] هو عبد النبي بن مهدي ، ثالث حكام الأسرة المهدية التي ابتدأ حكمها بعد نجاح علي بن مهدي في إزالة ملـك بني نجـاح في زبيد ، أصله من حمير ، من قرية يقال لها العنبرة وتسمى اليوم العنبرية ، وهي عبارة عن مزرعة من نخيل تبعد عن زبيـد بمسافة عشرة أميال غرباً ، اجتمع له ملك اليمن ماعدا عدن والمناطق الشمالية والشمالية الشرقية منها، كان في المذهب حنفي الفروع ، ويتهمه البعض بإنه خارجي الأصول ، يكفر بالمعاصي ويوجب القتل ، قتل سنة ٥٦٩ هــ ، ويقال سنة ٥٧٠ هــ . انظـر : الحكمي ، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص١٨٤ ــ ١٩٠ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص١١٨ ــ ١٢٩ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٥٥ ــ ٢٦٤ .

[٤] ابن الديبع ، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي الشيباني ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : يوسف شلحد (الدكتور) ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٧٩ .

[٥] الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٤ أ ــ ٧٤ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص٣٢٢ ؛ الثور ، مختصر من تاريخ اليمن ، ص ٧٧ .

[٦] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦ .

السليماني أمير هذا المخلاف ، وطلب منهم النصرة على عبد النبي بن مهدي ، فاستجاب له توران شاه رغبة منه في كسبه وكسب أنصاره ولاسيما أنه في بدء فتحه لليمن .

٢ ــ تخوف صلاح الدين الأيوبي ، من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي [١] صاحب الشام ، لذلك أراد أن يجعل لـه من اليمن ملجأ في حال وقع الصراع بين الطرفين ، واضطر إلى الخروج من مصر . وعلى الرغم من أن البعض يشكك في هذا السبب ، بحجة استئذان صلاح الدين من الملك العادل [٢] عندما أرسل أخاه توران شاه إلى اليمن ، مما يدل على حسن العلاقة بينهما وعدم وجود أي خلاف ، إلا أن ذلك لا يعد دليلاً ، فحتى ذلك الحين كان صلاح الدين الأيوبي رجلاً من رجال الملك العادل وأتباعه ، ولا يمكنه أن يفعل أي شيء إلا بأمره ومشورته [٣] .

ومهما يكن الأمر ، فإن هذا السبب لا يخلو من الصحة ، إذا علمنا أن الملك الناصر صلاح الدين جرد حملة إلى بلاد النوبة قبل حملته على اليمن ، ولكنه وجده بلداً ضنكاً ، ضيق العيش ، عظيم المشقة [٤] ، فعدل عن حملته وعاد إلى التفكير في فتح اليمن ، وهو سبب ــ إن صح ــ لا يقلل من شجاعة وجسارة صلاح الدين ، ولا يدل على ضعفه وخوفه فكما كان معروفاً بالشجاعة كان أيضاً معروفا بالدهاء السياسي ، والبراعة في المناورة ، ولا يعيبه شيء أن يفكر في كل الاحتمالات ويضعها في حسابه .

٣ ــ رسالة الحسن بن محمد النساخ [٥] ، إلى الخليفة العباسي [٦] ، يشكو فيها من ابن مهدي ويستنجد به عليه . ولعل هذا السبب أبعد ما يكون عن الحقيقة ؛ فرسالة ابن النساخ المطرفي كانت استنجاداً بالخليفة العباسي الناصر لدين الله ، ضد الإمام عبد الله بن حمزة بعدما فعله من قتل وتنكيل بالفرقة المطرفية المنشقة عن الزيدية ، أي أنها بعد أعوام من الفتح الأيوبي لليمن ، وليست سبباً له .

٤ ــ التخلص من الملك المعظم توران شاه [٧] وأنصاره ؛ لتخوف الملك الناصر صلاح الدين منه ، بالإضافة إلى أنه كان كثير النفقات ، وكثيراً ما يرى أنه أحق بالملك [٨] من أخيه صلاح الدين ، ولا سيما أنه أكبر منه سناً ، لكننا لا نرجح مثل هذا السبب ، فمن

---

[1] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٣٧ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٤ أ .
[2] محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٧٣ .
[3] جميل حرب محمود حسين ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ط ١ ، مطابع سحر ، جدة ، ١٩٨٥ م ، ص ٩٤ ــ ٩٥ .
[4] الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٤ أ .
[5] هو أحد أبرز علماء الفرقة المطرفية وشعرائها والتي سيتم التطرق لها بنوع من التفصيل في الفصل الرابع.
[6] ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٢٢٦ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق٧٣ ب .
[7] محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص٧٥ .
[8] جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٩٧ .

خلال مراسلات الملك المعظم توران شاه لأخيه صلاح الدين ، يتضح لنا جلياً صفاء العلاقة بينهما ، وصدق المودة والاحترام المتبادل ، ناهيك أنه كان في أمس الحاجة إليه ولأنصاره في مواجهة الصليبيين . كما أننا لا يمكن أن نجعل من إسراف الملك المعظم توران شاه ، وكثرة نفقاته سببا في فتح اليمن ؛ وخاصة أن هذا الفتح كلف الأيوبيين أموالاً طائلة ، ولو كان هذا هو السبب لا صبحوا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

٥ ــ ذكرت المصادر التاريخية أن فتح الأيوبيين لليمن كان بمشورة من الشاعر اليمني[١] نجم الدين عمارة [٢] ، الذي كان قريباً من الملك المعظم توران شاه ، وزين له إمتلاء أرض اليمن وسهولها بالخيرات[٣] فوجد ذلك هوى في نفس المعظم توران شاه ، ويبدو أن هذا السبب من الأسباب المكملة لفتح اليمن ، وليست من الأسباب الرئيسة له .

٦ ــ تخوف الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، من أن يستغل الصليبيون وجود مملكة الحبشة المسيحية في الجزء الجنوبي الغربي من البحر الأحمر[٤] ، وبالتالي يسيطرون على طرق التجارة ، ويهددون الأراضي المقدسة في الحجاز فأرد أن يسبقهم لذلك . ونحن لا يمكننا استبعاد هذا السبب ، وخاصة أن الصراع مع الصليبيين كان في أوجّه .

٢ ــ الحملة الأيوبية الأولى على اليمن (٥٦٩ هــ) :

مهما تكن الأسباب التي دفعت الأيوبيين إلى فتح اليمن ، فقد توجه الملك المعظم توران شاه من مصر بحراً على رأس حملة عسكرية قدرها ثلاثة آلاف مقاتل [٥]، حتى وصل إلى الأراضي المقدسة في الحجاز ، ومنها توجه جنوباً إلى اليمن ، فكان أول دخوله إلى المخلاف السليماني ، ومنه توجه صوب زبيد لقتال عبد النبي بن مهدي ، المسيطر عليها ، وقبل دخولــه إلى المدينة دار قتال بين الطرفين انتصر فيه الأيوبيون ، الذين استطاعوا أسر

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٢٣٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٩١ .

(2) هو أبو محمد نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي نسبة إلى حكم بن سعد العشيرة من مذحج ، ولــد فــي قرية الزرائب بتهامة اليمن في سنة ٥١٥ هــ ، ثم سار إلى مصر واستقر بها ،كان أديباً ، فاضلاً، شاعراً ، بليغاً ، أما مذهبه فشافعي ، و نُسب إليه ميله إلى الفاطميين ، له العديد من المؤلفات لعل أهمها : كتابه المسمى (المفيد فــي أخبــار صنعــاء وزبيد) . انظر : الحكمي ، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص٣١ ــ ٤٣ ؛ ذو النون المصري ، عمارة اليمني ، مكتبــة النهضة المصريــة ، القاهرة ، ١٣٨٥ هــ /١٩٦٦م ، ص ١١ ــ ٢٠ .

(3) يقال إن قصد عمارة من ترغيب الملك المعظم توران شاه لفتح اليمن ، هو إضعاف الدولة الأيوبية في مصر ، بإرسال جــزء من جيشها إلى اليمن ، وبالتالي يسهل القضاء عليها من الداخل وإعادة ملك الفاطميين بدلاً منها ، ولكن هذا مالم يتم تحقيقه بعد اكتشاف الناصر صلاح الدين لهذه المؤامرة ، فأمر بقتل الشاعر اليمني عمارة في سنة ٥٦٩ هــ .

(4) جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص٩٦ .

(5) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٣٢١ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٤ب .

عبد النبي بن مهدي في التاسع من شوال سنة ٥٦٩ هـ (٦) . ومن زبيد نهض الملك المعظم إلى حصن تعز ، فأخذه ، ثم توجه الى الجند ، ومنه سار إلى عدن ، حيث كان آل زريع الذين لم يصمدوا ، فكانت نهاية دولتهم على يديه (١) .

بعدها استولى توران شاه على ذي جبلة(٢) ، ثم قصد ذمار ، فاعترضته قبائل جنب وقاتلته في موضع يسمى رخمة (٣) وذلك في التاسع أو العاشر من محرم سنة ٥٧٠هـ (٤) ، وكادت الهزيمة أن تحل بالأيوبيين لولا صمودهم في القتال ، وقتلهم سبعمائة رجل من القبائل والأعراب (٥).

ومن ذمار توجه الملك المعظم توران شاه إلى صنعاء ، وفيها السلطان علي بن حاتم اليامي ، الذي خرج منها حين وصله الخبر بقدوم الأيوبيين، وتحصن في براش (٦). فدخل الأيوبيون إلى صنعاء ، لكنهم لم يلبثوا فيها طويلاً حتى عادوا قاصدين زبيد (٧).

ولم تمض مدة طويلة ، حتى مل الملك المعظم الإقامة في اليمن فراسل أخاه الملك الناصر صلاح الدين ، للسماح له بالعودة إلى الشام ، وبعد عدة مراسلات إذن لـه بالعودة ، فعاد إليها في سنة ٥٧١ هـ (٨)، وأناب على اليمن عدداً من النواب ، فتولى عثمان الزنجبيلي على عدن (٩) ، وياقوت التعزي على تعز وأعمالها ، ومظفر الدين قايماز على ذي جبلة وأعمالها ، والمبارك بن منقذ الكناني على زبيد وما يليها من التهائم(١٠) ، وكان هؤلاء يرسلون إليه الخراج والأموال وهو في الشام ، واستمر ذلك حتى وفاته سنة ٥٧٦ هـ

---

(6) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٦ ــ ١٧ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٢٦٧ ؛ محمد كريم إبراهيم ، عدن دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية ، ص ٢٢٠ .

(1) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٧ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٤ ب .

(2) جِبْلة : تقع في جنوب إب وتبعد عنها بحوالي (عشرة كيلو مترات) ، وهي عبارة عن ربوة شمال جبل التعكر . الويسي ، حسين بن علي ، اليمن الكبرى كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ١٤٤ ؛ الحجري ؛ مجموع ، مج١ ، ج١ ، ص٣١ ــ ٣٧ .

(3) رَخَمة : بلدة وحصن في الشرق الشمالي من مدينة ذمار بمسافة (٥٠ كيلو متراً) ، ورخمة قرية ببلاد عتمة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢٧٢ .

(4) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٧ ــ ١٨ .

(5) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق٧٦ أ ؛ وعند يحيى بن الحسين تسعمائة رجل . انظر : غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

(6) بَرَاش : اسم مشترك بين عدد من المواضع في اليمن منها : حصن براش ، وهو جبل شامخ في الشرق من صنعاء يطل عليها من خلف جبل نقم . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٠٥ ــ ١٠٦ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٧٢ .

(7) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٦٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

(8) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٢٠ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٨ ب ، علي بيومي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر ، دار الفكر الحديث ، القاهرة ، ١٩٥٢م ، ص ٢٣٥ .

(9) ابن الديبع ، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٧٠ .

(10) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٨٠ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣١ ؛ بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢، تح : اوسكار لوفجرين ، ط ٢ ، دار التنوير ، بيروت ،١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م ، ص ٦٩ .

بعدها بدأ كل نائب يستأثر بما يحصل عليه من الأموال والخراج ، بل إن البعض منهم [١] سك العملة باسمه وتلقب بالملك [٢] .

فلما علم صلاح الدين الأيوبي بفساد النواب في اليمن أرسل والي القاهرة صارم الدين خطلباً [٣] إليها لإصلاح الأمور ، وبالفعل استطاع هذا الوالي أن يعيد الاستقرار إلى اليمن حيناً من الزمن . لكن الأمور عادت إلى ما كانت عليه سابقاً بعد وفاته في زبيد [٤] .

ثم جهز الملك الناصر صلاح الدين أخاه الملك العزيز أبا الفوارس سيف الإسلام طغتكين ابن أيوب على رأس حملة عسكرية ثانية إلى اليمن في سنة ٥٧٩ هـ . تمكن من خلالها من إعادة اليمن مرة أخرى إلى السيطرة الأيوبية .

٣ ــ الحملة الأيوبية الثانية على اليمن (٥٧٩ هـ) :

منذ سنة ٥٦٦ هـ وإلى السنة التي وصل فيها الملك العزيز طغتكين بن أيوب على رأس حملة أيوبية ثانية إلى اليمن ، كانت الزيدية دون إمام يذكر والأمر فيها كما قال الشاعر :

وتفرقُوا فِرقاً فكلُّ قَبيلةٍ فيها أميرُ المؤمنينَ ومِنبرُ [٥]

فلما جاء هذا الملك ضم إلى دولته زبيد ، وعدن ، وذمار ، وصنعاء ، والجوف ، وصعدة ورداع [٦] ، وبلاد عنس [٧] ، وجهران [٨] ، والسَّقل [٩] ، وبلاد الهان [١٠] ، والحقل ، حتى وصل إلى حضرموت ، كما سيطر على عدد كبير من الحصون منها حصن السواء [١١] ،

---

(1) ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٨٢ .

(2) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٢ .

(3) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٨ ب ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٢. وفي بعض المصادر والمراجع التاريخية يكتب باسم قطلغ .انظر : ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٥ ، ص ٢٩٦ ؛ الفرح ، محمد حسين ، اليمن في تاريخ ابن خلدون ، ط ١ ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٦١٢ .

(4) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٧٤ ؛ جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٠٣ .

(5) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦ .

(6) رَدَاع : اسم مشترك بين جملة بلدان أشهرها : رداع العرش ، وهي إلى الشرق من ذمار بمسافة (٥٣ كيلومتراً) . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٣ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢٧٢ .

(7) عَنْس : مدينة إلى الغرب من ذمار بمسافة (٤١ كيلومتراً) ، وهي اليوم ناحية تابعة لمحافظة ذمار ، وتنسب إلى عنس بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبا الأصغر . الحجري ، مجموع ، مج٢ ، ج ٣ ، ص٦١٣ ؛ المقحفي معجم ، ص ٤٧٤ .

(8) جَهْرَان : حقل واسع إلى الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة (٦٦ كيلو متراً) ، وينسب إلى جهران بن يحصب بن دهمان بن مالك من ولد سبا الأصغر ، وهي اليوم ناحية من أعمال آنس تعرف بقاع جهران . المقحفي ، معجم ، ص ١٩٦ .

(9) السَّقْل : قرية من قرى الجوف الأعلى . المقحفي ، معجم ، ص ٣٢٤ .

(10) الْهَان : جبل في آنس ، نسب إلى قبيلة الهان من ولد الهان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان ابن سبأ ... بن قحطان . المقحفي ، معجم ، ص ٥٣ .

(11) السَّوَاء : عزلة كبيرة من ناحية المواسط وأعمال الحجرية . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٣٥ .

وخدد (١) ، وشواحط (٢) ، وريمة الحدبا (٣) ، وبيت عز (٤) ، وحصن نعم (٥) ، وبحرانة (٦) ، وسماءه (٧) ، وعتمه (٨) ، وكوكبان ، وبراش ، وقزعة (٩) ، وشار (١٠) ، وحب (١١) ، وأشيح (١٢) ، والدملوة (١٣) ، وقيضان (١٤) ، ودروان (١٥) ، وعزان (١٦) ، وذمرمر (١٧) ، وفدة (١٨) ، والفص (١٩) ، والظفر (٢٠) .

---

(1) خَدد : قلعة أثرية من ناحية العارضة من جبل حُبَيش و أعمـال إب . الحجـري ، مجمـوع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢١٩ .

(2) شُوَاحِط : حصن لآل الغرباني يطل على السحول من جهة الشرق فوق وادي الجنات . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٥٨ ، حاشية رقم (٢) ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٧٦ .

(3) رَيْمَةُ الحَدْبَا : لعلها ريمة الأشابط التي كانت تسمى " ريمة جبلان " ، وربما تكون ريمة بني مليك من العدين ، والحدبـا كناية عن المناعة والأناقة . ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٧٥ ، حاشية رقم (١) .

(4) بيت عِزّ : حصن مشهور من عزلة حبسان من مخلاف بعدان وأعمال إب ، يدعى اليوم جبل عز .الأكـوع ، إسماعيـل بن علي ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ص ٥٠ ، حاشية رقم (٤) .

(5) نَعَم : قرية في أعلى وادي ضهر شمـال غربي صنعاء بمسافة (١٤ كيلومتراً) ، وهي من قرى ناحية همدان . المقحفـي ، معجم ، ص ٧٠٢ .

(6) بَحْرَانَة : حصن أعلى عزلة السيف ، الواقعة في الغرب الشمالي من ذي السفال . المقحفي ، معجم ، ص ٦٨ .

(7) سَمَاءة : عزلة من مخلاف الوسيعة ناحية عتمة محافظة ذمار . المقحفي ، معجم ، ص ٣٤٣ .

(8) عُتُمَة : ناحية في محافظة ذمار بالغرب الجنوبي منها بمسافة (١٢ كيلو متراً) . المقحفي ، معجم ، ص ٤٣٦ .

(9) قَزْعة : قرية من بني حسن ناحية عبس ، والقزعة قرية من عزلة العساكر ناحية بلاد الطعام وهي بالشمال الغربـي من جبل ريمة ، والقزعة قرية من بلاد الشوف من حجور . الحجـري ، مجمـوع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٥٢ ؛ المقحفي ، معجـم ، ص ٥٢٦ .

(10) شَاَر : حصن منيع إلى الغرب من مدينة إب . المقحفي ، معجم ، ص ٣٤٦ .

(11) حَبّ : حصن من عزلة سير في بعدان . المقحفي ، معجم ، ص ١٦٠ .

(12) أشْيَح : حصن في بني سويد في بلاد آنس ، ويعرف اليوم بحصن ظفار ، وهو إلى الشمـال الغربـي من ضـوران بمسافة (٣٠ كيلو متراً) . الحجري ، مجموع ، مج ، ج ١ ، ص ٨٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٧ .

(13) الدَّمْلُوَةُ : حصن يعد فرع من جبل الصلو في بلاد الحجرية . الحجـري ، مجموع ، مج١ ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ ؛ المقحفـي ، معجم ، ص ٢٤٧ .

(14) قِيْضان : حصن خارب من جبل بني الحارث من بلاد يريم . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٥٩ ؛ المقحفـي ، معجم ، ص ٥٤٤.

(15) دَرْوان : عزلة من ناحية الحيمة الخارجية ، في محافظة صنعاء ، ودروان قرية في ضواحي حجـة الشماليـة الشرقيـة ، ودروان جبل من يحصب العلو شرقي قرية منكث عليه حصن خرب . المقحفي ، معجم ، ص ٢٤١ .

(16) عِزّان : اسم مشترك بين عدد من الأماكن في اليمن منها : بلدة عزان في عـرش رداع بالغـرب الجنوبي منها بمسافـة (١٨ كيلو متراً) ، وعزان حصن في جبل بُرع وعزان حصن خرب أعلى جبل ريمان المطل على مدينة إب من الزاوية الشرقية الشمالية ، وجبل عزان في حاشد . المقحفي ، معجم ، ص ٤٥٢ .

(17) ذِمَرْمَر : حصن في أعلى قرية شبام الغراس على بعد (١٨ كيلومتراً) ، شمال غـرب صنعـاء . المقحفـي ، معجـم ، ص٢٦١ ، وعند الأكوع إلى الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة (٢٥ كيلو متراً) . انظر هجر ، ج ٢ ، ص ٧٨٨ .

(18) فِدَّة : جبل وسط وادي ظهر على بعـد (سبعة كيلومترات) ، غـرب صنعـاء . الحجـري ، مجمـوع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٣٤ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٩٨ .

(19) الفَصّ : من حصون مدينة صنعاء . المقحفي ، معجم ، ص ٥٠٠ .

وخلال المدة التي كان الملك العزيز طغتكين بن أيوب يتوسع فيها في اليمن ويأخذها بلداً ، بلدا ، كانت مدة إحتساب عبد الله بن حمزة ، والتي حاول خلالها أن يفعل شيئا ضد الأيوبيين ، ومن هذه المحاولات :

أ ــ موقعة شوحطين [١] :

وقعت هذه الموقعة في سنه ٥٨٥هـ [٢] ، عندما كان عبد الله بن حمزة وأنصاره في نواحي ميتك[٣] ، وبني شاور[٤] ، وكان الأيوبيون في طريقهم إليه ، فرأى أنه لا قدرة لــــه على مقاومتهم فأمر أخاه الأمير بدر الدين محمد بن حمزة بمهاجمة الأيوبيين الموجودين في قرية شوحطين ، وهناك دار القتال بين الطرفين وكانت نتيجته هزيمة أصحاب عبد الله ابن حمزة ومقتل أخيه محمد ، فلما علم حقيقة الخبر توجه إلى شرس [٥] ، ومنها إلى الجوف تجنبا لأي قتال آخر مع الأيوبيين .

ب ــ موقعة عجيب :

كانت هذه الموقعة في سنة ٥٨٧هـ [٦] ، عندما أرسل الملك العزيز طغتكين بن أيوب أحد قادته إلى بلدة عجيب ، وهناك لقيه عبد الله بن حمزة وأنصاره من أهل الظاهر وقبائل حاشد وبكيل ، فدارت المعركة بين الجانبين ، والتي أسفرت عن هزيمة عبد الله بن حمزة ، ومقتل مائتي رجل من أصحابه [٧].

إلا أن ما يهمنا هنا ، هو الصلح الذي عُقد بين الملك طغتكين بن أيوب والسلطان علي ابن حاتم اليامي الهمداني صاحب صنعاء في سنة ٥٨٥هـ [٨] ، ونص علـــى أن يعطـــي

---

[20] الظَفُر : حصن في منتهى حقل قتاب (قاع الحقل) ويقع بالشرق من يحصب العلو . المقحفي ، معجم ، ص ٤٢٣ .

[1] لم نستدل على هذا الموقع في المعاجم اليمنية ، ولكننا وجدنا مدينة شوحطان وهي بالقرب من صنعـــاء ، ويقال لهـــا قصر شَوْحَطَانُ .انظر : الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ص ١٧٠ .

[2] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٣٣٤ .

[3] مَيْتَك : هو مَيْتَك بن قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد ، سميت باسمه بلاد ميتك ، وهي المعروفة اليوم بعفار في الشمال الشرقي من حجة . الحجري ، مجموع ، مج٢ ، ، ج٤ ، ص٧٢٦ .

[4] شاْورِ : بطن من حاشد الهمدانية ، من ولد شاور بن قدم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد ، وإليهم تنسب بلدة شـــاور في ناحية الرجم وأعمال الطويلة . الهمداني ، الإكليل . ج ١٠ ، ص ١١٦ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٤٨ .

[5] شَرِس : أسفل مدينة حجة من ناحية الشرق بمسافة (١٣ كيلو متراً) ، تنســب إلى شــرس بن عامــر بن مخمــر بن يهبر ذو المرعي بن يكنف بن عبد شمس . المقحفي ، معجم ، ص٣٥٩ .

[6] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص ٣٣٨ .

[7] المصدر نفسه والصفحة .

[8] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٣٧ .

الملك العزيز جامكية [١] شهرية قدرها خمسمائة دينار شموسية [٢] ، وخمسمائة كليجة [٣] للسلطان علي بن حاتم ، على أن يتخلى عن كل البلاد التي تحت يده للأيوبيين . ذلك الصلح الذي نقضه الأيوبيون[٤] بقطعهم لهذه الجامكية عن السلطان علي بن حاتم ؛ الأمر الذي أغضبه وجعله يرسل أخاه بشراً إلى عبد الله بن حمزة في معين[٥] الجوف ليطلب منه النصرة على الأيوبيين والقيام بأمر الإمامة الزيدية ، فوافق على ذلك [٦]. ومن هنا بدأ عبد الله بن حمزة مساره نحو الإمامة الزيدية ، وبدأ أيضاً صراعه الحقيقي مع الأيوبيين ولاسيما إن هذا الأمر تلاه وفاة الملك العزيز طغتكين بن أيوب في السنة نفسها [٧].

٤ ــ الصراع السياسي والعسكري بين الإمام و الأيوبيين في عهد الملك المعز إسماعيل بن طغتكين (٥٩٣ ــ ٥٩٨هـ) :

بعد وفاة الملك العزيز طغتكين بن أيوب سنة ٥٩٣هـ [٨] ، تولى بعده الحكم ابنه المعز إسماعيل بن طغتكين ، الذي كان على خلاف مع والده [٩] ــ قبل وفاته ــ

---

[١] الجامكية : المرتب أو العطاء الذي يناله موظف الدولة . انظر : ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٣٨٩ ملحق رقم (٢) .

[٢] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٤١. وعن الدنانير الشموسية ، انظر فيما سيأتي ، ص ١٢٢ .

[٣] الكليجة :مكيال معروف في ذلك العهد . انظر : ابن الديبع ، قرة العيون ، ص٢٨٠ ، حاشية رقم (١) ، ووجدناها عند بامخرمة خمسمائة كيلة والكيلة مكيال معروف حتى اليوم . انظر : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٠٢ .

[٤] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٤١. يعلل ابن الديبع هذا النقض بقيام السلطان علي بن حاتم بشحن حصن ذمرمر الذي ظل تحت يده شحنة عظيمة ، مما جعل الملك العزيز يعتبر ذلك نقضا للصلح المبرم بين الطرفين، فنقض الصلح هو أيضاً بقطعه لهذه الجامكية عن السلطان علي بن حاتم اليامي . انظر : قرة العيون ، ص٢٨٠ .

[٥] مَعين : بلدة في الجنوب الشرقي من مدينة الحزم عاصمة محافظة الجوف بمسافة (خمسة كيلومترات) ، أعلى وادي الجوف من ناحية الشمال الغربي ، عرفت قديما باسم (قرناو) والتي كانت عاصمة دولة معين القديمة (١٤٠٠ ــ ٩٥٠ ق .م) . انظر: بافقيه ، محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٥ ــ ٣٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص٦٤٣ .

[٦] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٤٢ .

[٧] تختلف المصادر التاريخية حول موضوع العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والملك العزيز طغتكين بن أيوب ، فابن حاتم على سبيل المثال يقول : إنه لم يظهر أمر الإمام في أيام الملك العزيز ، وأنه لم تكن بينهما حروب ووقائع ، بينما يؤكد ابن عبد المجيد وقوع مثل هذه الحروب والوقائع . ويفهم من هذا الاختلاف أن ابن حاتم يقصد بقوله هذا مدة ما بعد بيعة الإمام عبدالله بن حمزة للإمامة ، بينما يتحدث ابن عبد المجيد عن مدة إحتساب الإمام ، ونحن ــ كما أسلفنا ــ ذكرنا عدة وقائع جرت بين الطرفين خلال تلك المدة . انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٤ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص١٣٤ .

[٨] الملك الأشرف ، أبو العباس إسماعيل بن العباس ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، ج ١ ، تح : شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الإسلامي ، بيروت ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٠م ، ص ٢٤١ .

[٩] الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ٦١ .

وصل حداً أن قرر المعز ترك اليمن إلى الشام [١٠] ، إلا أنه أثناء طريقه إلى هناك ــ وتحديداً في حرض [١] ــ علم بوفاة والده ، فعاد مسرعا إلى زبيد ، وأمسك بزمام الأمور ، وخضعت له جميع البلاد التي كانت تحت سيطرة والده ، لكنه كان على النقيض من والده فبدأ عهده بسفك الدماء واستباحة الأموال [٢] ، وبدلاً من سعيه إلى كسب الأتباع و الأنصار عمل بأفعاله المستهترة على تفرقهم من حوله ، والتجائهم إلى القوة الأخرى في اليمن ، وهم الزيدية وعلى رأسهم في ذلك الحين الإمام عبد الله بن حمزة . والحق أن هذه السياسة كانت من أهم العوامل المباشرة التي ساهمت بشكل كبير في إبراز الإمام عبد الله بن حمزة [٣] ، وزيادة قوته العسكرية على حساب الأيوبيين في اليمن . ونستطيع هنا أن نستعرض عدداً من الأمراء والقادة العسكريين الذين ملوا السياسة الهوجاء للمعز ، وخافوا على أنفسهم من عبثه واستهتاره ، لتتضح لنا الصورة جلية عن العلاقة السياسية والعسكرية بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين في تلك المدة ، وأثر ذلك كله في توسيع دولة الإمام وزيادة نفوذه وقوته .

أ ــ الأمير حكو بن محمد الكردي والأمير شمس الخواص ودخول الإمام إلى صنعاء سنة ٥٩٤هـ :

بعدما دخل الملك المعز إلى صنعاء ، وقتل واليها الهمام أبازبا ، عين عليها الأمير الشهاب الجزري والياً ، وكان الأمير حكو[٤] ضمن الرتبة التي كانت في صنعاء ، ونتيجة لخلاف نشب بينه وبين الشهاب الجزري ، راسل الإمام سراً ليعلمه أنه يريد الانضمام إليه ، والخروج عن طاعة المعز ، فرد عليه الإمام بالإيجاب [٥] . وبهذه الطريقة استطاع الإمام أخذ البيعة له من الأمير حكو في السادس من رمضان سنة ٥٩٤ هـ على يد الشريف علي بن موسى العباسي [٦] ، الذي أرسله الإمام لهذا الغرض . وبعد البيعة استقدم

---

[10] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤٣ ؛ وعند الخزرجي وابن الديبع أنه كان قاصداً إلى العراق . انظر : العسجد المسبوك ، ٨٦ أ ؛ قرة العيون ، ص٢٨٤ . وفي الفضل المزيد ، ص٨٤ أنه كان قاصداً أعمامه بمصر .

[1] حَرَض : واد مشهور بالشمال الغربي من حجة ، ينسب إلى حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير ، تقوم على شطه ، مدينة حرض وهي مدينة أثرية في تهامة عُثر تحت أنقاضها على آثار حميرية . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٨٠ .

[2] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤٤ ــ ٤٥ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٤ .

[3] الحداد ، محمد يحيى ، التاريخ العام لليمن (اليمن في موكب الإسلام) ، ج ٣ ، ط ١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٣٠ .

[4] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤٥ .

[5] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤٤ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ٦٣ .

[6] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤٦.

الإمـــام عبد الله بن حمزة الأمير حكو إلى شبام كوكبان [٧] ، فوصله على رأس مائتي فارس [١] في ذي القعدة من السنة نفسها ، وكان الاتفاق بين الطرفين أن يجعل الإمام الأمير حكو قائداً على الجند ، فوافق الإمام [٢] ، وبالغ في إكرامه واستمالته حتى صار من أبرز قادته ورجاله . وعندها أخذ الأمير حكو يغير على الأيوبيين أينما وجدهم حتى قاسوا منه الكثير [٣] .

ولما ازداد الإمام قوة بالأمير حكو وأتباعه قرر المسير إلى صنعاء [٤] ، ولا سيما وقد خالف المعز القائد هشام الكردي بمن معه من الجند وكذا الأمير شمس الخواص الذي قدم إلى الإمام على رأس ستمائة فارس [٥] وحينما تم ذلك توجه الإمام بمن معه من الجند إلى صنعاء ودخلها دون قتال يذكر [٦] .

وبينما الحال كذلك ، خاف الأمير شمس الخواص من غدر الإمام [٧] ، وخاصة بعد أن رأى إقبال الناس عليه ، فأحاط بالمسجد الجامع الذي كان فيه الإمام [٨] ، ومع حلول المساء تفرق الجند عن الجامع فخرج الإمام منه ، وظل متخفياً عن أعين الناس [٩] . حتى استطاع أصحابه استمالة الجند الأيوبيين الذين على أبواب صنعاء ، ليتمكنوا من إخراجه بأمان ، وفي الليلة نفسها أرسل الأمير حكو رسالة إلى الأمير شمس الخواص ، مفادها أن أهل هذا البلد مع الإمام ونحن من ورائهم [١٠] وعليك أن تختار بين البقاء في صفنا أو الخروج من صنعاء ، فاختار الخروج من صنعاء بمن معه من الجند قاصداً تهامة ، و أثناء الطريق تآمر عليه جنده وأرسلوه إلى الملك المعز الذي نفاه إلى جزيرة دهلك [١١] حيث توفـــي هناك .[١٢]

---

[7] شِبَام كوكبان :مدينة أثرية قديمة تقع على سفح جبل كوكبان (ذخار) غربي صنعاء بمسافة (٣٤ كيلو متراً) ، تنسـب إلـى شبام بن عبد الله بن أسعد بن جشم بن حاشد وتسمى أيضاً شبام أقيان و شبام يعفـر نسبـة إلى الأميـر أسعـد بن أبي يعفر الحوالي . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٤١ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٥٠ .

[1] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٨١ أ .

[2] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

[3] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤٨ .

[4] المصدر نفسه ص ٥١ .

[5] المصدر نفسه والصفحة .

[6] الجدير بالذكر إن الأمير حكو لم يدخل صنعاء مع الامام وظل خارجها يترقب الأحداث . انظر : يحيـى بن الحسيـن ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ؛ محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ١٦٦ .

[7] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٥٢ ؛ محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ١٦٥ .

[8] الكبسي اللطائف السنية ، ص ٦٤ .

[9] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٥٣ .

[10] المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

[11] دَهْلَك : جزيرة يمنية في البحر الأحمر . المقحفي ، معجم ، ص ٢٥١ .

[12] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٥٨ .

وأما ما كان من الأمير حكو فإنه وبعد مدة يسيرة من بقائه في صنعاء ، استأذن الإمام في النزول إلى تهامة [١٣] ، فأذن لــه الإمام ، فخرج من صنعاء على رأس مائة وعشرين فارساً ، تزامن ذلك مع قدوم الشهاب الجزري على رأس ستمائة فارس من أتباعه لإخراج الإمام من صنعاء [١] ، فلما وصلها حاصرها والإمام فيها ، غير أن الأمير حكو عاد مسرعاً حين بلغه الخبر ، وعندئذ لم يجد الشهاب الجزري خياراً سوى فك الحصار والتحصن في براش [٢] ، لكن الإمام ومعه الأمير حكو حاصروا هذا الحصن وضيقوا على من فيه ، حتى طلب الشهاب الجزري الذمــة لــه ولمن معه على أن يعودوا إلى تهامة ، وهو ما وافق عليه الإمام بإلحاح من الأمير حكو [٣] .

ب ــ مقتل الأمير حكو :

حين علم الملك المعز بما حصل لأصحابه ــ وعلى رأسهم الشهاب الجزري ــ راعه ما حدث ، وقرر الطلوع إلى صنعاء بنفسه [٤] ، من غير علم الإمام والأمير حكو ، وفي الوقت نفسه عاد الأمير حكو إلى فكرته الأولى في النزول الى تهامة للاستيلاء عليها ، وخلال طلوع الملك المعز إلى صنعاء ونزول الأمير حكو منها ، راسل ابن المعلم [٥] الملك المعز ليخبره بتحركات الأمير حكو ، وبالقرب من نقيل صيد [٦] تراءى الطرفان ودارت المعركة التي ظهر فيها الملك المعز [٧] على الأمير حكو بعد سيطرته على أعلى النقيل ، وأسفرت المعركة عن مقتل الأمير حكو وجماعة من اتباعه ، وخروج الإمام عبد الله بن حمزة من صنعاء ، بعد أن اضطرب عليه أصحابه وتفرقوا في البلاد خوفاً من الأيوبيين بقيادة المعز [٨] .

ج ــ الأمير وردسار :

---

[13] المصدر نفسه والصفحة .

[1] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٥٩ .

[2] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٨٢ ب .

[3] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٦١ .

[4] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

[5] هو محمد بن علي المعلم أحد قادة الأيوبيين الذين تحصنوا مع الشهاب الجزري في براش ، لكنه مع استسلامهــم بقــي مــع الأمير حكو كمشير له فلم يخلص له وكان وبالاً عليه . انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٦١ .

[6] نقيل صَيْد : هو ما يعرف اليوم بنقيل سمارة ما بين يريم والمخادر ، وفيه طريــق صنعــاء ــ تعز . المقحفــي ، معجــم ، ص ٤٠٠

[7] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

[8] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٦٦ .

كان حال الأمير ورد سار كحال غيره من الأمراء الذين خافوا بطش الملك المعز ، ولم يكن لهم خيار آخر إلا الالتجاء إلى الإمام عبد الله بن حمزة ، فكتب إلى الإمام ليخبره بميله إليه ورغبته في القدوم إلى صعدة [٩] ، وعندها كتب الإمام إلى رجل من أصحابه اسمه مرحب بن سليمان السهلي وهو بثلا [١] ليلقى ورد سار ، لكن الأمر تعذر عليه فندب الإمام جماعة من الأشراف ليلقوا ورد سار وهو بريمة الأشباط [٢] ، وخلال الطريق منعهم القائد هلدري بن أحمد المرواني [٣] المتمركز في الذنائب[٤] ، لكن الأمير وردسار استطاع استمالة الجنود الذين كانوا معه فانقلبوا ضده ، وتركوه وحيداً منكسراً لا يستطيع أن يفعل شيئاً [٥].

وعندما وصل الأمير وردسار إلى الإمام في صعدة ، بالغ في إكرامه وآواه في محنته . وانتدبه إلى صنعاء ووعده ولايتها إن فتحها [٦] ، لكن الأمير وردسار رأى أن الأوضاع تغيرت بعد مقتل المعز ، فقرر العودة إلى الأيوبيين في تهامة ليتخلص من الإمام .

د ــ الأتابك [٧] سنقر :

(9) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(1) ثُلا : مدينة أثرية على بعد (٤٥ كيلو متراً) من صنعاء إلى الشمال الغربي ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى ثلا بن لباخة بن ذي أقيان بن حمير الأصغر زرعة بن حميل الأصغر المازني . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٦٦ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١١٣ .

(2) رَيْمَة الأشْبَاط : يقال لها أيضاً ريمة جبلان ، وهو من أشهر جبال اليمن خصباً ، ويقع إلى الجنوب الشرقي من الحديدة بمسافة (٧٠ كيلو متراً) و يتبع إدارياً محافظة صنعاء . المقحفي ، معجم ، ص ٢٩٢ .

(3) كان ضمن القادة الأيوبيين الذين خالفوا المعز ، وأعلنوا ميلهم إلى الإمام عبد الله بن حمزة ، ولكنه عاد وخالف الإمام دون أن يعود إلى المعز ، حيث تمركز في منطقة الذنائب طامحاً في السيطرة على تهامة ، وعندما حلت به الهزيمة عاد ــ مضطراً ــ إلى خدمة المعز .

(4) الذَّنَائب : بلدة في أسفل جبل ملحان من المهجم من الناحية الشمالية منها . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ص ١٢٤ ، حاشية رقم (٣) .

(5) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٧٨ .

(6) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(7) الأتَابك: كلمة تركية مكونة من مقطعين ، أتا وتعني أب ، وبك وتعني الأمير ، فيصبح معناها أبو الأمير أو مربي الأمير ، وقد تطلق هذه الكلمة أيضاً على أمير أمراء الجيش فيقال أتابك العسكر .انظر :بامفيه ، محمد بن عمر الطيب ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٥٨ ، حاشية رقم (٣) ؛ الباشا ، حسن (الدكتور) ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ١٢٢ ــ ١٢٥ ؛ دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١١ ؛ الخطيب ، مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص ١٧ ؛ الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت ، ص ١٥ ، ؛ ضومط ، أنطوان خليل ، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والإقتصادي والعسكري (١٢٩٠ ــ ١٤٢٢ م) ، ط ١ ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٨١ .

هو قائد رتبة الأيوبيين في مبين [٨] ، وكان يسمى يومها سنقر المعزي [٩] وهو من ضمن من راسلهم الإمام طالباً منهم إتباعه ونصرته ، إلا أنه لم يلب دعوة الإمام حتى جرت له مع المعز عدة حوادث ، منها : أنه جاءه يوماً فقال له المعز : " ما أحسن أضلاعك هذه للشواء " ، ويقال عن المعز أنه كان مولعاً بأكل لحوم البشر [١] ، فخاف الأتابك على نفسه ، ثم تلت هذه الحادثة حادثة قتل الرهائن [٢] الذين سلمهم الأتابك من أهل مبين ونواحيها إلى المعز ، والذي قام بذبحهم ، والتمثيل بهم ، وأكل بعضهم ، وأحرق البعض الآخر [٣] ، فلما حدث ذلك قرر الأتابك الخلاف وتبعه في ذلك كثير من الجند ، فسار بهم إلى المهجم [٤] ومنها إلى الكدراء [٥] ثم راسل الإمام بالميل إليه ، فعاد إليه الرد بالقبول ، وقبل أن يقدم إليه قُتل الملك المعز على يد مجموعة من مماليكه [٦] ، الذين تآمروا عليه نظراً لسوء سيرته فيهم وظلمه لهم ، وعندئذ غير الأتابك سنقر ما كان قد عزم عليه ، وقرر المسير إلى زبيد ، وهناك تسلم زمام الأمور فيها [٧] ، وأصبح وصياً على الملك الناصر أيوب بن طغتكين [٨] الذي كان صغيراً على الحكم ، وهكذا انقطعت العلاقة الودية بين الأتابك سنقر وبين الإمام عبد الله بن حمزة لتبدأ فصول علاقة أخرى يحكمها السيف والقوة .

---

[٨] مَبْيَن : مدينة إلى الشمال من حجة بمسافة (٢٥ كيلو متراً) . المقحفي ، معجم ، ص ٥٨٢ .

[٩] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٧٩ .

[١] الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٨٧ أ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٥ .

[٢] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٧٩ .

[٣] المصدر نفسه والصفحة .

[٤] المَهْجَم : مدينة تهامية خربة في وادي سردد ، ويقال لها أيضاً سردد نسبة إلى واديها .البريهي ، عبدالوهاب بن عبدالرحمن ، طبقات صلحاء اليمن المعروف بـ : تاريخ البريهي ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ٢ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١١٩ ، حاشية رقم (٥) ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٢٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٦٨٠ .

[٥] الكَدْراء : مدينة تهامية خربة في وادي سهام ، والكدراء أيضاً قرية عامرة في وادي سردد بالقرب من الزيدية . الحجري ، مجموع ،مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٥٥٢ .

[٦] المملوك : هو العبد ، وتطلق كلمة مماليك على فئة من الرقيق الأبيض يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة البيضاء لتكوين فرقة عسكرية خاصة في أيام السلم ، ويتم إضافتها إلى الجيش العام أيام الحرب . انظر : عبد الحكيم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ط ٢ ، دار عكاظ ، جدة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٠٨ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٨م ، ص ١١ ؛ البستاني ، بطرس ، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٨٦٢ .

[٧] ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٥ .

[٨] ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٨٥ ؛ الفقي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٢١ .

٥ ــ الصراع السياسي والعسكري بين الإمام والأيوبيين بعد مقتل الملك المعز :

أ ــ الشهاب الجزري :

عندما قتل الملك المعز سنة ٥٩٨ هــ (١) ، كان الشهاب الجزري والياً على صنعاء (٢) ، ونتيجةً لتدهور الأوضاع خاف الشهاب على نفسه من فساد الجند الذين هددوه بالقتل إذا لم يسلمهم الأموال التي تركها المعز عنده (٣) ، وأرسل إلى الإمام ليخبره برغبته في القدوم إليه ومبايعته ، فحدد الإمام اللقاء في بيت مساك (٤) ، وهناك تمت البيعة وأهدى الشهاب للإمام جارية تركية (٥) من أخص ما كان عنده ، كما طلب منه أن يرسل معه إلى صنعاء من يراه مناسباً ليساعده في شؤون الحكم ، فاختار الإمام أخاه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة الذي دخل صنعاء مع الشهاب وخطب للإمام فيها (٦) .

بعد ذلك رغب الإمام في الإستيلاء على تهامة وما يليها ، و لاسيما بعد وصول كتب من تلك الجهات يستدعونه فيها ، فأمر الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة والشهاب الجزري بالقيام بهذه المهمة ، وخلال مسيرهما إلى هناك مرّا بعدد من المناطق منها بلاد الشعر (٧) ،

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ؛ ابن الوردي ، زين الدين عمر ، تتمة المختصر من أخبار البشر المعروف بــ : تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، د . ت ، ص ١٧١ ؛ الملــك الأشــرف ، العسجــد المسبوك والجوهر المحكوك ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ .

(٢) عاد الشهاب الجزري إلى صنعاء والياً عليها من قبل المعز بعد أن تمكن الأخير من قتل الأمير حكو وإخراج الإمام منها .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٨٦ .

(٤) بيت مســاك : مساك هي قرية من عزلة خميس أبو ذيبة ناحية خارف على بعد (ثمانية كيلومترات) شرقي ريدة .المقحفي ، معجم ، ص ٦١٩ .

(٥) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ــ ٤٧ .

(٧) الشِّعر : ناحية تابعة لقضاء النادرة محافظة إب ، وتنسب إلى الشعر بن الحارث بن شرحبيل بن مثوب بن يريم ذو رعيــن . المقحفي ، معجم ، ص ٣٦٧ .

والدملوة ، والجوة (٨) ، ولحج . إلا أن العسكر الذين كانوا معهما أرادوا في أثناء الطريق الميل إلى الأتابك سنقر في زبيد ، وعقدوا النية على ذلك ، ومع ذلك بقوا إلى جوارهما رغبة في المال (٩) ، فلما نفد المال تفرق الجند ، ولم يبق إلا من كان مخلصاً للإمام ، وعندها طلب الشهاب من الأمير عماد الدين العودة الى صنعاء ، وقرر هو مراسلة الاتابك للعودة إلى خدمته ، فرد عليه الأتابك بالرجوع إلى زبيد ، وبعد مدة من الزمن حدث خلاف بين الطرفين

أدى إلى سجن الشهاب الجزري في التعكر (١) ، إلى أن قتله الأمير ورد سار في عهد الملك الناصر أيوب بن طغتكين (٢) .

ب ــ القرابلي :

هو الأمير علي بن أبي بكر القرابلي ، والي المهجم (٣) في عهد المعز ، أرسل الإمام إليه ، الشيخ مرحب بن سليمان السهلي يدعوه لطاعته ، وعندما وصل الشيخ مرحب إلى المهجم ، كان القرابلي في المحالب (٤) ، فلما عاد قابل رسول الإمام بحفاوة بالغة وأكرمه وأظهر الرغبة في الميل إلى الإمام (٥) ، وقال له : " لولا ما مــنّ الله به من قيــام الإمــام عليه السلام في دولة إسماعيل لهلك أكثرهم فآوى طريدهم ، وآمن خائفهم ، وركب راجلهم ، فالله يجزيه خيراً وما بقينا إلا في خدمته وعند أمره " (٦) .

والحق أن هذا الموقف يدعو إلى الاستغراب ، ولا سيما أن الملك المعز قد قُتل ، لكننا قد نجد بعض الإجابة عندما يؤكد ابن دعثم إن هذا الموقف كان نتيجة لعلم القرابلي بقرب قدوم الأتابك سنقر في عسكر عظيم لأخذ زبيد وما يليها ، وللانتقام من قتلة المعز بما فيهم القرابلي ، فأراد أن يجعــل لــه يــداً عند الإمام إن غلب الأتابك سنقر على الأمر (٧) ،

---

(8) الجُوّة : مدينة خربة في جبل الصلو ، تحت قلعة الدملوة محافظة تعز . المقحفي ، معجم ، ص١٤٧.

(9) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٩٠ .

(1) التَعْكُر : قلعة حصينة مكينة من مخلاف جعفر في اليمن مطل على ذي جبلة من الناحية الجنوبيــة . المقحفــي ، معجــم ، ص ١٠٨ ؛ السروري ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة ، ص ٧٩١ .

(2) الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ٧٢ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٩٣ ــ ٩٤ .

(4) المَحَالِب : قرية تهامية خربة ، تقع جنوبي وادي مــور ، ما بين المهجم والذنائب . الحجــري ، مجمــوع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٨٩ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٥٨٨ .

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(6) المصدر نفسه والصفحة .

(7) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

لكن الأتابك لم يمكنه من ذلك فقبض عليه ، ولم يقتله ، بل نفاه إلى بغداد ، مما أغضب الملك العادل في الشام ، الذي وبخ الأتابك سنقر بقوله : " قطعت الذنب وتركت الرأس " [٨] .

ج ـ الدقيق :

هو والي الكدراء في عهد المعز [٩] ، وواحد ممن أرسل إليهم الإمام عبد الله بن حمزة الشيخ مرحب بن سليمان السهلي ، لكنه كان على النقيض من القرابلي فلم يكرم رسول الإمام ولم يرحب به بل تهكم عليه وعلى الإمام بقوله : " وهل بقى أحدٌ في اليمن يدعى بهذا الاسم ؟ [أمير المؤمنين] ، فما قتلنا إسماعيل إلا عليه ! " [١] . فرد عليه الشيخ مرحب إن الإمام ينتسب إلى الرسول (ﷺ) وأنه قد عُقــدت له البيعة ، فلم يزد ذلك الدقيق إلا إصراراً على الخلاف والمباينة ، حتى أنه هدد رسول الإمام بالقتل إن ظل في الكدراء ، فخرج الشيخ مرحب إلى القحمة [٢] قاصداً زبيد ، وبعد هذه الحادثة إستطاع الأتابك سنقر أن يقضي على الدقيق وأن يقتله نظراً لاشتراكه في قتل المعز [٣] .

د ـ المؤيد بن قاسم :

تولى حرض بعد مقتل الملك المعز [٤] ، ولما استقرت الأمور هناك ، كاتب الإمام على أن يظهر الطاعة والولاء لــه مقابــل إبقائه في ولايته على الأعمال التهامية حتى تناضب [٥] شمالاً ، فوافق الإمام على ذلك ، وأرسل إليه في شهر شعبان من سنة ٥٩٩ هـ [٦] ليحدد منطقة الخموس [٧] مكاناً للقاء وعقد البيعة ، وفي شهر رمضان من

---

(8) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٠٤ .

(9) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(2) القَحْمَة : قرية تهامية خربة بالقرب من جبل القحمة على وادي ذؤال إلى الشمال الشرقــي مــن زبيــد ، بيــن بيــت الفقيه والمنصورية . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٤٧ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٥١٦ .

(3) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٠٤ . ويذكر الشيخ فخر الدين مرحب بن سليمان ، أنه وجد عند القرابلي رســولاً من الأمير المؤيد بن قاسم ومن الأمير هلدري بن أحمد المرواني وأنهما سبقاه إلى الكدراء ، فقدما في أمره حديثاً للدقيــق جعلــه يسيء مقابلته ، ويُرجع ذلك إلى الحسد الذي أصابهما لما رأيا إكرام القرابلي له وتعظيمه لحاله . انظر : ابن دعثم ، السيــرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٩٤ ــ ٩٥ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

(5) تَنَاضُب : يتضح من النص أنها في أقصى شمال تهامة اليمن . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ، حاشية رقم (١) .

(6) المصدر نفسه والصفحة .

(7) الخَمُوس : بلد في شمال الأهنوم ما يلي بلاد غشر . ابن دعثم ، السيــرة المنصوريــة ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، حاشيــة رقم (٢) .

السنة نفسها نهض الإمام عبد الله بن حمزة من حوث [٨] حتى وصل إلى الخموس ، بينما قدم المؤيد بن قاسم على رأس تسعين فارس [٩] يرافقه الشريف الفضل بن علي بن مظفر العباسي ، وعندها التقى الطرفان وقررا أن ينهضا إلى صعدة ويكون الإجتماع هناك . وحين وصلا إليها أمضى المؤيد عدة أيام فيها ، وقبل رجوعه إلى حرض طلب من الإمام تجديد الولايـــة لـــه ، فوافق الإمام رغم معارضة بعــض أصحابه له في هذا الأمر ، لكن الإمام أصر على موقفه وعلم أن لا أحد يسد مكانه ولا يقوم مقامه في بلاده [١] ، فكتب له منشوراً بذلك وأرسل معه الفقيه أبا القاسم بن حسين بن شبيب قاضيا لتلك البلاد [٢] .

ومهما يكن من أمر هذه العلاقة ، إلا أن المؤيد بن قاسم أخلص للإمام وساعده كثيراً في حربه ضد الأيوبيين وخاصة في سنة ٦٠٤هـ [٣] عندما أرسل الإمام أصحابه إلى تهامة ونواحيها للاستيلاء عليها ، حيث انضم إلى أصحاب الإمام وقاتل معهم حتى جُرِح في تلك المعركة على يد قوم من أهل وادي سردد [٤] ، الذين أسروه وأرسلوه إلى الأتابك سنقر في زبيد ، وهناك أكرمه واستماله وأبقاه إلى جواره [٥] ، فظل المؤيد بن قاسم إلى جانبه إلى أن توفي الأتابك سنقر ، وبعد ذلك عاد المؤيد مرة أخرى إلى ولائه للإمام عبد الله بن حمزة ، بعد تدهور أوضاع الدولة الأيوبية في اليمن [٦] .

نستخلص مما ذكر أن الإمام لم يكــن له أي سلطة فعلية في تهامة ، وأنه اكتفى فقط بالنفوذ الاسمي عليها ، بعد فشل محاولاته المتكررة للاستيلاء عليها .

هـــ ـ الأمير محمد بن كز اليرقشي :

في سنة ٦٠٠هـــ وصل الأمير محمد بن كز إلى حصن كوكبان بعد أن أظهر الخلاف على الأتابك سنقر [٧] ، وذلك برفقة الشريف هبه الله بن علي بن المظفر العباسي العلوي الذي انتدبه الإمام لهذا الغرض ، فلما قدم إلى الإمام تلقاه بما هو أهله وجعله مقدماً على

---

[8] حُوث : بلدة مشهورة في بلاد حاشد . المقحفي ، معجم ، ص ٢٠٨ .

[9] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .

[3] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٣٩ ــ ١٤١ .

[4] سُرْدُد : من أشهر وديان اليمن ، ينبع من الهضبة الفاصلة بين جبال الحيمة الداخلية وبلاد الطويلة ويصب في البحر الأحمر ، ينسب إلى سردد بن معدي كرب بن شرحبيل بن ينكف بن شمر ذي الجناح . المقحفي ، معجم ، ص ٣١٩ .

[5] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٤٢ .

[6] المصدر نفسه ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

[7] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٧٨ .

أصحابه ، ومنحهم ثمانية أفراس و أبراد حريرية وأعطاه منشوراً (٨) بذلك ، فأخلص في خدمة الإمام (٩) .

٦ ــ الصراع السياسي والعسكري بين الإمام والأيوبيين في عهد الملك الناصر (٥٩٨ ــ ٦١١هــ) :

أولاً : أثناء وصاية الأتابك سنقر (٥٩٨ ــ ٦٠٨ هــ) :

نظراً لصغر سن الناصر أيوب بن طغتكين حين قُتل أخوه المعز ، جُعلت الوصاية عليه للأتابك سنقر (١) ، الذي كان زوج أمه وأبرز القادة العسكريين وقتذاك ، وكان أول ما فعله هذا الأتابك بعد وصايته أن أقطع الأمير وردسار صنعاء من نقيل سرح (٢) إلى البون (٣) ، وعندما حاول هذا الأمير الطلوع إلى صنعاء بمن معه من الجند ، منعه أصحاب الإمام من بني سرحة (٤) من طلوع نقيل سراح ، ولكن الأمير وردسار استمال الشيخ عمران بن زيد بن عمر (٥) ــ شيخ جنب يومئذ ــ الذي كفل له الطلوع ، وذلك بعد أن دخل في معركة مع أصحاب الإمام في ذمار لإشغالهم عن طلوع ورد سار ، وبعدما علم أصحاب الإمام بطلوعه خرجوا من ذمار وصنعاء، وهكذا عادت صنعاء إلى السيطرة الأيوبية مرة أخرى .

---

(8) المصدر نفسه ، ص ٤٧٩ .

(9) يعد الأمير محمد بن كز من الأيوبيين القلائل الذين ظلوا على إخلاصهم للإمام ، يؤكد ذلك بقائــه مع الإمام مدة طويلــة من الزمن ، ناهيك عن مشاركته وطاعته للإمام في كثير من المعارك ضد الأيوبيين ، مما يعنــي عــدم عودتــه إلى صفــوفهم مرة أخرى .

(1) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٨٤ .

(2) نقيل سَرح : لم استدل على هذا الموقع في المعاجم اليمنية ، إلا أنه يتضح من النص أن هذا النقيل نقطة الانتقــال من محافظة إب إلى محافظة ذمار .

(3) البَوْن : هو حقل يقع شمال صنعاء بمسافة (٤٨كيلومتراً) ، وهو في الأصل بونان : البون الأعلى ومن قراه رقاعة وقارن ، والبون الأسفل ومن قراه عمران وريدة ، . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٣٠ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٩٥ .

(4) بنو سرحة : عزلة من ناحية المخادر وأعمال إب ، من قراها منور ، سماوة ، المنزل ، نجد ساهب ، وغيرهــا . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤١٩ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣١٩ .

(5) كان الاتفاق بين الأمير ورد سار والشيخ عمران بن زيد على أن يكفل هذا الشيخ طلوع وردسار نقيل سرح إلى ذمار ، حتى يتمكن من الوصول إلى صنعاء ، مقابل أن يرد الأمير وردسار البلاد التي أخذها الايوبيون من هــذا الشيــخ . انظــر : ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٩٦ .

١ ــ معركة تنعم :

بعد طلوع الأمير وردسار إلى صنعاء ، عقد صلحاً مع سلاطين بني حاتم و الإمام عبد الله بن حمزة ، كما جعل رتبة من الأيوبيين في منطقة الجنات [٦] ، لكن هذه الرتبة بسطت أيديها في بلاد الإمام الداخلة في الصلح ، فأرسل الإمام إلى الأمير وردسار يعلمه بذلك ، فلم يمنعهم ، فما كان من الإمام إلا أن أمر الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بحرب أهل الجنات [٧] ، فامتثل لذلك ، وتوجه بمن معه إلى هناك ، وأخذ الزرع ، وخرب الدور والآبار ، ثم ارتفع عنها ، فلما رأى أهل الجنات ما حل بهم ، أرسلوا إلى الأمير وردسار ليخبروه بما أصابهم ، فخرج على رأس الجند وقصد قرية الضبر [١] ، وهي من بلاد الإمام ، وفعل بها مثل ما فُعل بأهل الجنات ، ثم أرسل قائده سعيد الشنبكي إلى مشارق صنعاء وبلاد بني حي [٢] لقبض المال والحقوق ، غير أن الشنبكي حط بالقرب من قرية تنعم ، وهم من جماعة الإمام ، وعلى رأسهم الشيخ جبير بن سالم المعظمي الذي اتفق مع أصحابه على مهاجمة الأيوبيين وقتالهم ، وحين وقع القتال هُزم الأيوبيون ، وقُتل قائدهم الشنبكي ، ونُهبت أموالهم ، وفي ذلك يقول شاعر الإمام الفقيه سليمان بن محمد العنسي مخاطباً وردسار :

وأراكَ تطلبُ من أسنةِ يعرُبِ ... ما كان يطلُبُهُ سعيدُ الشنبكــي
ظلتْ سُيوفُ الهندِ تنطحُ بطنهُ ... ضَرباً كَأشداقِ الهجانِ المُورك
فتَكَتْ بهِ أيْدي الرجالِ ضَحيةً ... فتكاتِ ضارٍ بالفريســةِ مُفْتِكِ [٣]

ولما بلغ وردسار الخبر جهز عسكراً وخرج لأهل تنعم [٤] ، الذين أرسلوا إلى الإمام طالبين منه المدد ، وعندما وصل مدد الإمام رصــد لــه الأميــر وردسار كميناً قُتل فيه من

---

[6] الجنّات : بلدة عامرة إلى الشمال من مدينة عمران بمسافة (ثلاثة كيلومترات) ، والجنات بلدة في جبل الصلو شمال الدملوة ، والجنات قرية في بلاد الطويلة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٩٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٤٤ .

[7] ابن دعثم السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

[1] الضبْر : قرية في شمال شرق الجنات بمسافة (ثلاثة كيلومترات) ، تتبع عزلة الجنات محافظة عمران .ابن دعثــم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٤٧ حاشية رقم (٢) .

[2] بنو حي : من وصاب ، وبنو حي من قبال آل عمّار من شاكر وشعب حي من بلاد صعدة . الحجري ، مجموع ، مــج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢١٤ .

[3] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ . وعند ابن دعثم تنطح متنه . انظر : السيــرة المنصوريــة ، مــج ١ ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

[4] تَنْعُم : قرية من خولان العالية . المقحفي ، معجم ، ص ١١٠ .

أصحاب الإمام من قُتل ، وتفرق الباقون في البلاد ، فقام وردسار بهدم قرية تنعم وأخرب زرعها ودورها ، وكان أهل القرية قد ارتفعوا عنها بأمر الإمام قبل وصوله [٥] .

٢ ــ معركتا الجنات وضباعين [٦] :

كان الأمير ورد سار قد جعل في الجنات نخبة من جنده عددهم أربعون فارساً ، على رأسهم قائد يدعى أبو العشائر بن بطل الشيباني [٧] ، ولما كانت هذه المنطقة من أعظم المناطق نفعا ، وأكثرها زرعاً ، أراد الإمام قطع أسبابها عن الأيوبيين [٨] ، لذلك أرسل الأمراء : صارم الدين إبراهيم بن حمزة وصفي الدين محمد بن إبراهيم وأسد الدين الحسن ابن حمزة على رأس مائة فارس [١] وعدد كبير من الرجال إلى هناك ، وكانت خيل الأيوبيين يومئذ أربعين فارساً لا يُرى منها سوى حدق العيون [٢] ، وعندها وقعت الحرب واشتد القتال ، ووقعت إصابات بين الطرفين ، فلما توالت الأخبار إلى وردسار ، خــرج من صنعاء على رأس مائة وعشرين فارساً [٣] ، وقصد موضعاً يسمى بركة هياش [٤] ، ثم سار إلى ضباعين ، فحدث بينه وبين أهلها قتال ، وكاد أن يهزمهم ، لولا أن أرسل الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة إليهم ــ بعد أن انضم إلى الأشراف في الجنات ــ سبعين رجلاً من أهل الصيد [٥] ، وبني صاع [٦] ، وأهل ثلا الذين هاجموا الأيوبيين في ضباعين ، وقتلوا منهم أحد عشر رجلاً ، وفي أثناء ذلك بلغ وردسار أنه لم يبقَ في محطته سوى عشرة فرسان ، فخاف عليها من الأشراف [٧] وعاد مهزوماً إلى الجنات .

وبينما كان الجميع يستعدون للحرب في اليوم التالي ، إذ أقبل على الإشراف في محطتهم السلطان أسعد بن علي الهبري وحاشد بن حتروش الهبري وراشد بن مظفر بن

---

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

(6) ضباعين : قرية من عزلة الربع الشرقي ناحية جبل عيال يزيد محافظة عمران على مسافة (خمسة كيلومترات) شمال غرب الجنات . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص١٥٧ ، حاشية رقم (٣) .

(7) المصدر نفسه ، ص١٥٣ .

(8) المصدر نفسه ص١٥٥ .

(1) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٣٧١ .

(2) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(3) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج١ ، ص٣٧١ .

(4) بركة هَيّاش : يتضح من النص أن هذه البركة تقع بين قريتي ضباعين والضبر .

(5) الصَيْد : بطن من خارف من حاشد وبلاد الصيد متصلة بالبون ، ومن قراها كانط وناعط . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، حاشية رقم (٢) ؛ المقحفي ، معجم ، ص٤٠٠ .

(6) بني صاع : فخذ من فخوذ همدان . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٦٢ .

(7) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج٢ ، ص١٦١ .

الهرش السنحاني ، مرسلين من قبل وردسار إلى الأمير عماد الدين طالبين الصلح والهدنة مقابل كف الحرب عن الجنات وأهلها حتى ينصرم الصلح ، فوافق الأمير والأشراف على ذلك مقابل قسمة البلاد والالتزام بالصلح (٨).

٣ ــ خلاف أهل صنعاء على الأمير وردسار :

في سنة ٥٩٩ هــ خرج الأمير وردسار إلى مغارب كوكبان لاستخراج الحقوق ، فخالفه أهل صنعاء وأمسكوا أخــاً لــه يسمى شمس الدين (٩) ، وأقاموا الأذان بــ : (حي على خير العمل) ، وحينما وصل الخبر إلى وردسار عاد أدراجه إلى صنعاء ، فلم يستطع دخولها ، فضرب عليها حصاراً ، وعرض على أهلها الصلح ، فلم يوافقوا (١٠) ، بل أرسلوا إلى الإمام يطلبون المدد والمساعدة . وعلى الرغم من انتداب الأمير عماد الدين ورتبة من العسكر لهذا الغرض ، إلا أنهم لم يتمكنوا من دخول صنعاء(١) ؛ نظراً لحصار الأيوبيين لهــا . وخلال ذلك وصل العلم إلى الأتابك سنقر في زبيد فنهض إلى صنعاء على رأس ستمائة فارس(٢) ، ولما وصل إلى مشارف صنعاء ، ورأى أهلها ما راعهم ، وعلموا أنهم لا طاقة لهم بذلك ، طلبوا الأمان منه ، فقبل ذلك على أن يسلموا للأمير وردسار عشرة آلاف دينار ، وعشرة أفراس(٣) ، عقوبة على ما فعلوا ، فوافقوا ، لكنهم فيما بعد عجزوا عن تنفيذ ما شُرِط عليهم ، فأذاقهم وردسار أصناف العذاب وويلاته تأديباً لهم (٤).

أما الأتابك سنقر فقد أرسل إلى الأمير عماد الدين يعرض عليه تجديد الصلح ، فوقع الصلح على أن البونين الأعلى والأسفل داخلان في حد الأيوبيين ، وأن الظاهرين والجوفين وصعدة في حد الإمام ، وعلى الإمام في كل سنة مائة حمل موقرة حديداً ، وعشرون فرساً (٥). وكانت مدة الصلح سنة أولها شهر شعبان من سنة ٥٩٩ هــ (٦).

ويبدو أن الطرفين كانا مستعدين للصلح وراغبين فيه ، فلدى كل منهما أسبابه التي تدفعه لذلك . أما الأمير عماد الدين فيذكر ابن دعثم أنه خاف فساد الناس (٧) ، ولم يكن

---

(8) المصدر نفسه ، ص١٦١ ــ ١٦٢ .

(9) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٠٠ .

(10) يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

(1) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٠٠ .

(2) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(3) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ج ١ ، ص ٣٧٥ .

(4) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(5) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ .

(6) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(7) المصدر نفسه والصفحة .

واثقاً بهم ، إلا أننا نرى أن الأمير عماد الدين آثر الصلح تجنباً لقتال غير مضمون العواقب ، وخاصة أن الأتابك سنقر كان على رأس ستمائة فارس ، وهي قوة لا يستهان بها ، ولا يستطيع أصحابه الوقوف أمامها . وأما الأتابك سنقر فقد أراد الحفاظ على هذه القوة حتى يتمكن من مواجهة الأكراد [٨] الخارجين على الدولة الأيوبية والمتمردين على سلطته ، إضافة إلى اشتراكهم في قتل الملك المعز .

٤ ــ وقعة الحماير [١] :

عاد الأمير وردسار إلى صنعاء في شهر محرم من سنة ٦٠٠ هـ [٢] ، بعد مشاركته الأتابك سنقر في القضاء على الأكراد المتمردين على الدولة الأيوبية . ثم عزم على الخروج إلى الظاهر وصعدة ، وهما في حد الإمام بناء على الصلح المبرم بين الأمير عماد الدين والأتابك سنقر ، لكن وردسار تعلل بأن الأمام نقض هذا الصلح عندما أرسل إلى القرابلي [٣] والي المهجم يدعوه للانضمام إلى صفه ، مع أن هذه الرسالة ليس فيها ما ينقض الصلح ، ولم ينص الصلح على منعها ، كما أن الأمير وردسار قد نقض هذا الصلح فعلياً بأخذه حصن بيت مساك وعلمان [٤] وهما داخلان في حدود الإمام ، كذلك طالب أهل الرحبة [٥] بدفع الحقوق وهي أيضاً من أوقاف الإمام . ويبدو أن الأمير وردسار كان قد عقد النية على نقض الصلح سلفاً ، واتخذ من هذه الرسالة ذريعة يحتج بها على الإمام ، فلما كان ذلك نهض من صنعاء إلى موضع يسمى الحماير ، وبلغ الخبر أصحاب

---

(8) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(1) الحماير : يفهم من النص أن الحماير في منطقة حضور . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، حاشية رقم (٢) .

(2) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٠٥ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .

(4) عُلمان : بلدة من بني الحارث أسفل وادي ظهر غربي صنعاء بمسافة (٧١ كيلومتراً) ، وبيت علمان قرية من عزلة المصانع الخارجية ناحية ثلا ، وعلمان من قرى شهارة . المقحفي ، معجم ، ص٤٦٦ .

(5) الرحبة : أرض من بلاد بني الحارث قرب صنعاء . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ .

الإمام في تلك المنطقة فهاجموا وردسار والذين معه وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، كما غنموا أموالاً كثيرة ، مما اضطر الأمير وردسار إلى العودة إلى صنعاء مهزوماً (٦) .

٥ ــ إستيلاء الإمام على حصن كوكبان :

كان الوالي عليه من قبل الأيوبيين أميراً يدعى عز الدين ياقوت (٧) ، وكان هذا الحصن كبيراً كثير النفقة مع قلة الموارد من البلاد التي حوله ، ولذلك عرض هذا الوالي على الإمام تسليم الحصن مقابل خمسة آلاف دينار شموسية (٨) ، لكن الإمام رأى أن سقوط الحصن مسألة وقت ، ولهذا لم يستجب لذلك العرض . ومع مرور الأيام ، وانقطاع الاتصال بين الوالي والأيوبيين ، أضطر الوالي إلى تسليم الحصن (٩)، بعد لقاء في شبام (١٠) ضم الأمير عماد الدين والوالي . وفي هذا اللقاء تم الاتفاق على تسليم الحصن للإمام في شهر جمادى الأولى من سنة ٦٠٠ هـ (١) ، وبالمقابل قَدَّمَ الأمير عماد الدين للوالي حصاناً وسلــم لـــه ثلاثة آلاف ومائتي دينار مرضاة لـــه ، وهكذا أصبح حصن كوكبان من جملة حصون الإمام ، وهي سيطرة لم تدم طويلاً إذ سرعان ما عاد هذا الحصن إلى حوزة الأيوبيين ، بعد إصرار كبير منهم على استرجاعه (٢) .

٦ ــ وقعة شبام :

بعد عودة الأمير وردسار إلى صنعاء ، قرر الخروج مرة أخرى إلى شوابة ، لكن الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة سبقه إليها على رأس ثلاثين فارساً (٣) ، وعندئذ عدل وردسار عن المسير إلى شوابة وأراد الوصول إلى شبام (٤) ، فأرسل الإمام إلى الأمير صارم الدين بأن يقصد شبام لعله يسبق ورد سار إلى هناك ، إلا أنه تأخر في القدوم إليها ، فوصل ورد سار قبله ، وحينها حاول الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة تدارك الموقف

---

(6) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(7) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .

(8) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(9) المصدر نفسه والصفحة .

(10) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ،ج ٢ ، ص ٣٧٢ . وشبام المقصودة هنا هي شبام كوكبان الواقعة بسفح جبل كوكبان غربي مدينة صنعاء بمسافة (٣٤ كيلو متراً) . المقحفي ، معجم ، ص٣٥٠ .

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

(2) انظر فيما سيأتي ، ص ٦٦ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

(4) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٠٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .

ومنعه من دخول المدينة ساعده في ذلك أهل مسور ، وأهل الضلع [٥] ، وثلا ، وآل الزواحي [٦] ، وكل من تصادف وجوده في المدينة ولكنهم لم يستطيعوا ذلك .

وفي اليوم التالي نهض ورد سار بنفسه ليقود القتال ، فدارت رحى المعركة ، واشتد القتال ، وافترق الجانبان دون نصر يذكر لأحدهما على الآخر ، وفي هذه الوقعة قتل من الأيوبيين أربعة وعشرون قتيلاً [٧] ، ومن أصحاب الإمام جماعة ، أبرزهم الشيخ مرحب بن سليمان السهلي رسول الإمام، فحزن الإمام لذلك حزناً شديداً [٨] .

٧ ــ معركة وادي لصف "يوم شوابة":

بعد شبام أراد ورد سار الاتجاه إلى مطرة [١] وبلاد عذر [٢] ، أما الإمام فقد جهز الأمراء صارم الدين إبراهيم بن حمزة ، وصفي الدين محمد بن إبراهيم إلى هناك ، على رأس سرية من ستين فارساً ومائتي رجل [٣] ، وخلال طريقهم مروا على درب الجبوب [٤] والعشة [٥] ، ثم قدموا إلى وادي لصف ، وهناك اجتمع أصحاب الإمام مع الأيوبيين الذين تجاوز عددهم ثمانين فارساً بدون الأمير وردسار ــ الذي كان ما يزال في صنعاء ــ ولما تواجه الطرفان كاد الأشراف أن ينتصروا في بادئ الأمر ، لولا قدوم المدد والغارة من صنعاء ، وعلى رأسهم الأمير ورد سار ، وفي أثناء ذلك حمي الوطيس وأحاط الأيوبيون بالأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة الذي قاتل ببسالة حتى قتل في ذلك اليوم الموافق

---

(5) الضلَع : جبل في مخلاف الأعماس ببلاد الحداء ، والضلع أيضاً جبل متصل بشبام كوكبان ، وهو المقصود هنا ، والضلع قرية من ناحية الحداء . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٥٣ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٠٧ .

(6) بيت الزواحي : قرية من عزلة متوح شرقي صنعاء من أعمال حراز . المقحفي ، معجم ، ص ٣٠٢ .

(7) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ؛ وعند يحيى بن الحسين أربعة عشر قتيل . انظر : غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .

(8) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .

(1) مَطَرة : بلدة بين نهم وأرحب . المقحفي ، معجم ، ص ٦٣٤ .

(2) عُذَر : بطن من همدان تقع مساكنهم إلى الشمال من حاشد ، وهم من ولد عذر بن سعد بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٩٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٤٢ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(4) الجَبُوب : عزلة من ناحية كسمة وأعمال ريمة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(5) العَشّة : بلدة من عزلة الأبقور ناحية سحار ، محافظة صعدة . المقحفي ، معجم ، ص ٤٥٥ .

الثامن من شعبان في سنة ٦٠٠ هـ [٦] ، ومعه مجموعة من أصحابه ، بينما إنهزم البقية وتفرقوا لا يعول أحدٌ على أحد ، وأجتز رأس الأمير صارم الدين ومُثّل بجثته ، فلما بلغ الخبر الإمام حزن لذلك وقال قصيدته المشهورة التي يرثي فيها أخاه والتي مطلعها :

لنعِمَ الفتى ودعتُ يَومَ شوابةٍ وَداعاً تَلاقينا لهُ صيحةُ الحشرِ
رَأى الموتَ خيراً مِن فرارٍ عن الوَغى وسنَّ لأرباب العُلا سُنن الصبرِ
وقد كانَ لي ناباً وظُفراً على العدا فاضحَوا لا يخشون نابي ولا ظُفرِي
فلو كانَ في غيرِ الإلهِ مُصابهُ لَما جَمَدَتْ عيني عليهِ مَدى عُمرِي
وللناسِ آجالٌ وللعيشِ غايةٌ يُرَدُّ إليها الأمرُ مِن صاحبِ الأمرِ [٧]

إلى آخر هذه القصيدة ، وهي قصيدة من أروع ما قاله الإمام عبد الله بن حمزة الذي يُعد شاعر الأئمة والأشراف الزيدية دون منازع .

٨ ـ استيلاء الإمام على حصن بكر :

كان الأمير وردسار قد نقض الصلح الذي عقده مع الإمام ، وبذلك وجد الإمام نفسه مضطراً لقتاله ، وكان حصن بكر تابعاً للأيوبيين ، فحاصره الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة حصاراً شديداً [١] ، حتى أن من فيه أكلوا الخرصة [٢] لقلة الطعام . ومع اشتداد الحصار عليه لم يجد والي الحصن بُدأ من تسليمه ، فعرض الصلح على الأمير عماد الدين ليسلم بموجبه الحصن مقابل ثمانية آلاف دينار شموسية [٣] ، فوافق الأمير على ذلك وأصبح الحصن تابعاً للإمام عبد الله بن حمزة . ويبدو أن الأمير عماد الدين خاف من وصول نجدة من قبَل وردسار لمن في الحصن ، فآثر الصلح .

٩ ـ تسليم حصن كوكبان للأيوبيين :

---

(6) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٠٦ .
(7) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ ـ ٤٣١ .
(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .
(2) الخرص : كل قضيب من شجرة رطب أو يابس . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : خرص .
(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .

في شهر محرم من سنة ٦٠١هـ [٤] عُقد صلح بين الإمام والأيوبيين ، يُرد بموجبه حصن كوكبان للأيوبيين ، وكان الإمام قد تسلمه من واليه السابق عزالدين ياقوت مقابل مبلغٍ من المال ، مما أغضب الأيوبيين الذين لم يهدأ لهم بال لذلك ، فأثاروا الحروب والغارات حتى يرد الإمام لهم هذا الحصن ، ونظرا لعدد من الأسباب قرر الإمام التخلي عنه رغبة في الصلح ، ومن هذه الأسباب [٥] :

١. أن الإمام لا يستطيع الإنفاق عليه نظراً لكبره وسعة مساحته وقلة الإنتفاع به .
٢. أن الإمام لا يستطيع خرابه نظراً لقرب العدو منه .

ولهذا تقرر الصلح على يد الشريف علي بن موسى العباسي العلوي ، والشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح ، اللذين قدما على الأتابك سنقر ــ وهو يومئذ بذمار ــ وعرضا عليه الصلح ، فطلب لإتمامه تسليم حصن كوكبان وحصن بكر ، لكن الإمام رفض ذلك [٦] ، فقرروا إتمام الصلح مع وردسار لعله يوافق عليه ، وبالفعل وافق ورد سار على إتمام الصلح ، الذي نص على أن يتخلى الإمام عن حصن كوكبان مقابل أن يسلم له الأيوبيون خمسة آلاف دينار سبئية [٧] ، ومن البلاد مطرة وجانب من قرى الخشب [٨] وبلاد حاشد ، وبلاد بني زهير [١] ، وبلاد حصن ثلا ، وبلاد حصن بكر ، ونصف ما يحصل من مغارب كوكبان ، وفي هذا الصلح ظهرت اليمين المنصورية [٢] التي لا يتسع المقام لذكرها ، لكنها يمين على عظمتها كثيراً ما نقضها الأمير وردسار متناسياً ما أقسم عليه ، أما مدة الصلح فهي سنتان وعشرة أيام أولها منتصف شهر محرم من سنة ٦٠١ هـ [٣] .

وبعد هذا الصلح عاد الأتابك سنقر من ذمار ، وكان يومها قاصداً صنعاء ، فلما عاد جاءته الكتب إلى زبيد من أهل الظاهر ، والجوف ، وصعدة ، يستحثونه على النهوض إليهم

---

(4) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٩٣ .
(5) المصدر نفسه ، ص٤٩٣ ــ ٤٩٤ .
(6) المصدر نفسه ، ص ٤٩٦ .
(7) عن الدنانير السبئية ، انظر فيما سيأتي ، ص ١٢٢ .
(8) الخَشَب : بلد من أرحب شمال صنعاء . الحجري ، مجموع ، مج١ ، ج٢ ، ص٣٠٨ ؛ المقحفي ، معجم ، ص٢٢٢ .
(1) زُهَير : اسم قبيلتين : إحداهما حميرية في الكلاع ، والأخرى همدانية في أرحب والأخيرة هي المقصودة من النص .الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٠٤ .
(2) اليمين المنصورية : هي قَسَم ابتدعه الإمام عبد الله بن حمزة يتخلى فيه من يقسم عليه عن حول الله وقوته ، وكل أزواجه ومماليكه وماله إذا نقضه ، نجده كاملاً عند : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٩٨ ــ٥٠٠ .
(3) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١١٧ .

ويعرضون عليه رهن أولادهم دليلاً على الطاعة (٤) ، كما اجتهد السلطان بشر بن حاتم في اقناع الأتابك سنقر للقدوم إلى صعدة ، وأنه لا يجد من يرده دونها (٥) .

ونظراً لذلك ؛ نهض الأتابك سنقر من زبيد إلى صنعاء ـــ في طريقه إلى صعدة ـــ في شهر رجب من سنة ٦٠١هـــ (٦) ، وعند وصوله جاءته القبائل من كل حدب وصوب (٧) رهبة منه ورغبة في ماله يعرضون عليه الطاعة . وجدير بالذكر ، أن الأتابك سنقر لم يكن راضياً عن الصلح الذي تم بين الأمير وردسار والإمام ، لأنه لم ينص على تسليم حصن بكر للأيوبيين إلى جانب حصن كوكبان ، ولهذا قرر الأتابك سنقر أن يدير ظهره لهذا الصلح وأن يُغير على كل المناطق التي يكون ولاؤها للإمام و أولها حصن ظفار .

١٠ ـــ الحرب على ظفـــــار :

كان الإمام عبد الله بن حمزة قد بنى هذا الحصن على أنقاض القلعة التي بناها سابقاً الإمام أبو الفتح الديلمي (٨) وذلك لما دعت الحاجة إليه ، ولاسيما أن الناس في تلك الجهات لا تجد ملاذاً لها عندما يُغير الأيوبيون عليها (٩) ، حيث اجتهد الإمام عبد الله بن حمزة في بنائه وحصنه وأمده بالديوان والمادة ، ثم إن الأتابك سنقر لما عزم على الخروج إلى صعدة ، جعل أول طريقه إلى ظفار ، وخلال طريقه إليه مر بريدة فحط بموضع يسمى ظلة (١) بالقرب من شطب (٢) ، ثم سار بعسكره إلى بهمان (٣) ، وخرفان(٤) ، والسبيع (٥) ، والمنقل (٦) ، وذلك في شهر شعبان من سنة ٦٠١هـــ (٧) ، ثم زحف على حصن ظفار وفيه يومئذ الشيخ دحروج بن مقبل والياً عليه (٨) من قِبَل الإمام ، والذي نظم

---

(4) المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

(5) المصدر نفسه والصفحة ، للمزيد حول هذا الموضوع انظر فيما سيأتي ص ٨٨ .

(6) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٨٨ ؛يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

(7) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٢٠ .

(8) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ .

(9) المصدر نفسه والصفحة .

(1) ظُلّة : يتضح من النص أنها بالقرب من شطب .

(2) شَظب : جبل واسع يطل على مركز السودة ، وإليه تنسب سودة شظب . الحجري ، مجمـــوع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣٦٥ .

(3) بَهْمان : موضع يقع في خيار من حاشد ، جنوب مدينة حوث . المقحفي ، معجم ، ص ٩٣ .

(4) خَرْفان : جبل عال يقع في الشرق الشمالي من جبل ناعط ، ثم من بكيل . المقحفي ، معجم ، ص٢٢١ .

(5) السَّبيع : قرية من ناحية خمر ، تنسب إلى السبيع بن صعب بن معاوية بن كثيـــر بن مالك بن جُشَـم بن حاشد . الحجـــري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤١٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٣١٢.

(6) المَنْقل : قرية بالقرب من السبيع . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ ، حاشية رقم (٢) .

(7) المصدر نفسه ، ص ٥٩١ .

(8) المصدر نفسه ، ص ٥٨٨ .

أصحابه المدافعين عن الحصن ، كما كانت لديه عرادتين [٩] منعت الأيوبيين بحجارتها الثقيلة من التقدم واقتحام الحصن ، فعادوا مهزومين عادلين عن فكرة اقتحام ظفار [١٠] .

١١ــ إستيلاء الأيوبيين على صعدة :

كان هدف الأتابك سنقر من خروجه الإستيلاء على صعدة فنهض إليها في السابع من شهر شعبان من سنة ٦٠١هــ [١١] ، ونظراً لقوته خافته القبائل ، فلم يقف دونها أحد فدخلها في السادس عشر من الشهر نفسه [١٢] ، وأقام بها تسعة أيام هدم خلالها هجرة درب معين ودرب الإمــام ، و أعاد إعمــار حصن تلمص [١٣] ، ثم أراد التوسع أكثر فخــرج إلى موضــع يسمى رغافة [١٤] ، فحط بدرب يسمى الصلالتين [١٥] وكان فيه ستون رجلاً من

آل نصر من قبيلة خولان [١] ، فدار القتال بين الطرفين وانفلت المحاصرون من آل نصر في الوادي ، ثم عادوا لقتال الأيوبيين [٢] ، وساعدهم في ذلك جماعة من أهل هجرة قطابر [٣] ، فقُتل يومها من الأيوبيين خمسون رجلاً وأصيب الأمير وردسار الذي كان برفقة الأتابك سنقر في راحة يده بسهم [٤] ، وانهزم الباقون إلى صعدة التي لم يلبثوا فيها طويلاً ، بل رحلوا عنها تاركين فيها رتبة من الجند مكونة من مائة وعشرين فارساً [٥]

---

(9) العرادة : آلة تشبه المنجنيق وأصغر منه وجمعها عرادات .انظر : عبد الغني محمود عبد العاطي ؛ أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، ص ٢٦٢ ، حاشية رقم (١٠٥) .

(10) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٩٥ .

(11) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٢٠ .

(12) المصدر نفسه والصفحة .

(13) تَلَمُص : حصن مشهور في بلاد سحار ، محافظة صعدة يقع إلى الشمال من وادي عرار . الحجري ، مجمــوع ، مــج١ ، ج١ ، ص ١٥٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ .

(14) رُغَافة : بلدة من أرض بني جماعة إلى الغرب الشمالي من مدينة صعدة بمسافة (٣٧ كيلو متراً) . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢٧٩ .

(15) الصلالتين : يتضح من النص أنه بالقرب من بلدة رغافة .

(1) خَولان : وتنسب إلى عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وتنقسم إلى خولان العالية ، وخولان صعدة ، وهم من نسب واحد وإنمــا ذلك للفرق بين البلاد وليس للفرق بين النسب . انظر : الهمداني ، الإكليل ، ج١ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٦م ، ص ١٣٠ ؛ ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله ، الأنباه على قبائل الرواة ، حققــه وقدم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري ، ط ١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هــ / ١٩٨٥م ، ص ١١٧ .

(2) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦١٥ .

(3) قَطَابِر : ناحية من قضاء جماعة محافظة صعدة . الحجري ، مجمــوع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٥٥ ؛ المقحفــي ، معجــم ، ص ٥٣٠ .

(4) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦١٦ .

(5) المصدر نفسه والصفحة ، وعند ابن حاتم مائة وستة وعشرين فارساً ، السمط الغالي الثمن ، ص١٢٢.

على رأسهم رجل من الترك يدعى قرا سنقر (أسد) [٦] ، وقد أمره الأتابك سنقر بعمارة حصن تلمص ، ليكون مـــركزاً له ، أما الأتابك فسار إلى الخموس قاصدا تهامة ، ورجع الأمير وردسار إلى صنعاء عن طريق الجوف [٧] .

وبينما هذه الرتبة في صعدة ، قام الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بجمع عدد كبير من الرجال لحربها ، وكانت محطته في البطنة [٨] ، وفي أثناء ذلك حط الأمير مجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد بمن معه من الأشراف في موضع يسمى الصعيد [٩] ، وكان هدف الاثنين الإجتماع معا لمحاربة الأيوبيين بقيـــادة أســـد الذي لم يمكنهما من ذلك ، فهاجم البطنة ومن فيها [١٠] وقُتل منهم جماعة ، وتفرق الباقون في كل الجهات ، ولم يصل الأمير مجد الدين من الصعيد إلا والأمر قد قُضي ، والهزيمة قد حلت بأصحاب الإمام ، أما الأيوبيون فعادوا إلى صعدة فرحين بهذا النصر [١١] .

١٢ ــ الحرب على أثافت من قبل الإمام :

بعد استيلاء الأيوبيين على صعدة ، يئس الناس من دولة الإمام ، وانحازوا إلى الأيوبيين ، وأظهروا الخلاف عليه [١] ، ومنهم قوم من بني حي من ذبيان وقوم من بني أسد [٢] ، فما كان من الإمام إلا أن أرسل الأمراء والقادة لتأديبهم وزجرهم ، وأمر الأمير علم الدين سليمان بن موسى ، والقائد محمد بن كز اليرقشي بحرب أهل أثافت [٣] ، وهم يومئذ منحازون إلى الأيوبيين وعلى رأسهم القاضي حنظلة بن قاسم بن محفوظ . فامتثل

---

(6) انظـــر : ابن دعثم ، السيرة المنصوريـــة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦١٦ ؛ ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص١٢٢ .

(7) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦١٧ ــ ٦١٨ .

(8) البَطْنَة : قرية من ناحية العشة محافظة صعدة تقع بالقرب من صحار . المقحفي ، معجم ، ص٨٣.

(9) الصّعِيد : اسم مشترك بين عدد من الأماكن في اليمن . المقحفي ، معجم ، ص ٣٩١ . وبالطبع منهـــا هذه القريـــة التي تقع بالقرب من البطنة محافظة صعدة .

(10) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٦٣ .

(11) المصدر نفسه ، ص ٦٦٤ .

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٣٠ .

(2) بنو أسد : من قبائل بكيل . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ ــ ٦٣٤ .

الجميع لأمره كلٌ من جهته ، ووقعت الحرب على أثافت أياماً لكن المعركة لم تحسم ، بل إن أصحاب الإمام هزموا هزيمة غير مؤثرة [٤] .

ومع ذلك لم ييأس الإمام من أثافت ، فأمر الأمراء بإعادة الكرة مرة أخرى وفي هذه المرة حاصروها وضيقوا الخناق على أهلها ، حتى أرسلوا إلى الأمير وردسار في صنعاء يستنجدون به [٥] ، والذي نهض بدوره دون تأخير لإنقاذهم فجعل محطته في ريدة ، وبعث قائده السنبكي في ستين فارسٍ ومائتي راجل إلى أثافت [٦] .

وبالمقابل نهض الإمام من حصن ذمرمر في الرابع والعشرين من رمضان من سنة ٦٠١ هـ [٧] إلى محصم [٨] في يوم سوقهم ، فخطب فيهم وحضهم على قتال الأيوبيين ، فأجابوا وساروا معه إلى ظفار ، وهناك قدمت إليه القبائل من كل جهة رغبة ورهبة ، وكذلك بعث الإمام إلى قبائل بني صريم [٩] ، ووادعة وغيرهم من القبائل يحثهم على قتال الأيوبيين في أثافت ويأمرهم بطاعته [١٠] .

وبينما كان الحال كذلك علم الأيوبيون في أثافت بوصول الإمام إلى ظفار وإجتماع القبائل إليه ، فرحلوا عنها في جُنح الظلام ، ولما فطن أهل أثافت [١] برحيلهم ، أيقنوا بالهزيمة وتفرقوا في البلاد خوفاً على أنفسهم .

وفي الخامس والعشرين من رمضان من السنة نفسها ركب الإمام بمن معه قاصداً أثافت فدخلها ودخلت معه القبائل من كل صوب [٢] ، فاستسلم أهلها وطلبوا الأمان لأنفسهم ولأموالهم فأمنهم على أنفسهم دون أموالهم وبلادهم فقبلوا ذلك [٣] .

١٣ ــ استعادة الإمام لصعدة :

---

(4) المصدر نفسه ، ص ٦٣٤ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٦٣٥ .

(6) المصدر نفسه ، ص ٦٣٦ .

(7) المصدر نفسه ، ص ٦٣٧ .

(8) مِحْصَم : بلد وواد من أرض أرحب . المقحفي ، معجم ، ص ٥٩٠ .

(9) بنو صريم : من ولد مالك بن حرب بن وادعة بن عمرو بن عامر بن كاشح بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد ، ومن بطونها : الظاهر وغشم والسنتين والجراف وأهلاب الصين وبنو غثيمة وبنو مالك وبنو قيس وخيار . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ــ ٢١٧ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٥٨ .

(10) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٣٩ .

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٤١ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٦٤٢ .

(3) المصدر نفسه والصفحة .

بعدما حل بأثافت وأهلها ضاقت الأرض على الأيوبيين في صعدة ، وفكروا في الرحيل عنها [٤] ، لكن ذلك لم يتسن لهم ، فعادوا إلى حصن تلمص وتحصنوا فيه وشحنوه بالماء والطعام ، وخلال ذلك وصل إلى الإمام في حوث مشائخ صعدة وزعماؤها ، وعلى رأسهم علي بن قاسم من الحدادين [٥] يطلبون منه الأمان على أنفسهم وأموالهم وبلادهم ، فأجابهم إلى ما سألوه وأعطاهم سيفه لتسكن أنفسهم به . فلما عادوا إلى صعدة بسيف الإمام اضطرب الأيوبيون الذين بها فوق اضطرابهم ، وضاعف من ذلك وصول الشيخ دحروج بن مقبل على رأس قوة إلى الحناجر [٦] ، وتلته الأخبار بقدوم الإمام في أثره . لكن الإمام لم يصل إلى صعدة ، بل بعث إلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى ــ وهو في الجوف ــ يأمره بالنهوض إلى صعدة ، فذهب إليها على رأس ستين فارس [٧] ، وحط بالمربط أسفل وادي الخانق [٨] . ولما علم الأيوبيون بذلك نزل أسد بمن معه للقاء الأمير علم الدين ، فوقع القتال لكن الأيوبيين عادوا إلى الحصن مرة أخرى ليتحصنوا به . فحاصرهم الأمير علم الدين وضيق عليهم ، وأعقب ذلك وصول الأمير بدر الدين محمد بن أحمد في جمع كبير من قبائل خولان ، ثم وصل القائد محمد بن كز فأحاط الكل بالحصن سبعة أيام [٩] ، حتى نفد الماء والطعام عمن فيه ، كما أنهم يئسوا من قدوم النجدة من وردسار ، ولذلك كله أرسلوا إلى الأمير بدر الدين يلتمسون الصلح على سلامة أنفسهم وخيلهم مقابل التخلي عن الحصن ، فوافق الأمير بدر الدين [١] على ذلك خوفاً من قدوم النجدة من قبل ورد سار [٢] . ومن هنا هبط أسد بمن معه من الحصن وتسلمه الإمام ، ولو صبر الأيوبيون ليلتين أُخريين في الحصن لاختلف الوضع كثيراً ، وخاصة أن وردسار كان في طريقه إليهم ، وذلك ما حمله البريد إلى أسد لكن بعد فوات الأوان [٣] .

---

(4) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٢٤ .

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٦١ .

(6) الحَنَاجر : وطن وقبيل من حاشد ثم من وادعة ، والحناجر أيضاً وطن وقبيل من همدان الدنيا من ملحقات صنعاء . المقحفي ، معجم ، ص ٢٠٥ .

(7) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٦٧ .

(8) الخَانِق : وطن مشهور إلى الجنوب من صعدة بمسافة (خمسة كيلومترات) فيما بين الصمع والسنارة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢١٦ .

(9) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٢٥ .

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٧١ .

(2) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٢٦ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٧٢ .

١٤ ـــ غارة الأيوبيين على ذيبين [٤] :

أراد الأيوبيون من الغارة على ذيبين الانتقام بما حل بأثافت وأهلها ؛ لذلك نهض الأمير ورد سار من صنعاء قاصداً ذيبين ، فلما علم الإمام بذلك نهض هو الآخر من حوث إلى ذيبين في العشرين من شوال سنة ٦٠١هـــ [٥] . ودون مقدمات التحم الجانبان ، ودارت المعركة ، ووقعت جراحات كثيرة ، واستطاع الأيوبيون هدم جانب من القرية ، بينما تمكن أتباع الإمام من إنقاذ الباقي ، وحينها عاد وردسار إلى صنعاء ولم يحقق ما كان يرجوه من الغارة [٦] .

وبينما هو في صنعاء جاءه البريد من قبل الأيوبيين في صعدة يطلبون النجدة والمدد ، فخرج مرة أخرى في الحادي عشر من ذي القعدة من السنة نفسها [٧] وفي طريقه مر بالبون وظاهر بني صريم ، فهدم درب كحل [٨] ودرب الميقاع [٩] ، ثم عرج على بلد

بني مالك [١] فهدم دوراً في مشوط [٢] ، كما مر بحوث وأخربها ، وهدم دار الإمام [٣] فيها ، كذلك مر بقرية مسلت [٤] وأخرب جانباً منها . وبعد علمه أن لا فائدة ترجى من الخروج إلى صعدة بعد استسلام الأيوبيين فيها ، عدل عن صعدة ، وزحف على ذيبين لهدمها ، وهناك تلقاه أصحاب الإمام وجموع القبائل وعلى رأسهم الأمير أسد الدين الحسن

---

(4) ذِيْبِيْن : وتكتب ذي بين مدينة الى الشمال الغربي من صنعاء بمسافة (٩٤ كيلو متر اً) ، تتبع حالياً محافظة عمران ، ومن أعمالها مرهبة وبني جبر وسفيان ، المقحفي ، معجم ، ص ٢٦٢ ـــ ٢٦٣ .

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٥٦ .

(6) المصدر نفسه ، ص ٦٥٧ .

(7) المصدر نفسه ، ص ٦٧٣ .

(8) كحل : قرية من عزلة مرهبة ، ناحية ذيبين على بعد (ثلاثة كيلو مترات) شمال غرب ذيبين . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٧٣ ، حاشية رقم (٥) .

(9) الميقاع : قرية من حاشد من بني صريم غربي خمر . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٧٤ ، حاشية رقم (٦) .

(1) بنو مالك : بلدة من ناحية كشر وأعمال وشحة ، وبنو مالك أيضاً بطن من سحار بن خولان بن عمرو بن لحاف في بلاد صعدة ، وبنو مالك أيضاً تسيع من بني صريم في بلاد حاشد . المقحفي ، معجم ، ص٥٨٠ .

(2) مَشْوط : من بلاد بني مالك بالقرب من دماج . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، حاشية رقم (٤) .

(3) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٢٨ .

(4) مَسلت : قرية من عزلة بني قيس . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٤٠ ، حاشية رقم (٣) .

ابن حمزة ، لكن ورد سار استطاع الانتصار عليهم وهدم ذيبين وقطع زرعها وأعنابها [٥] واستقصى في ذلك انتقاماً لأثافت ، وكان الأمير أسد الدين قد أرسل إلى الإمام يريد المدد ، لكن هذا المدد وصل متأخراً بعد نهوض وردسار إلى صنعاء [٦] .

١٥ ــ الهدنة بين الطرفين :

بعد الحرب التي خاضها الطرفان في ذيبين و أثافت وصعدة ، رغب الطرفان في عقد صلحٍ لمدة معينة من الزمن ، حتى يستريحا من أعباء الحروب ويتفرغا لجمع الحقوق ، وقد نص هذا الصلح على ما يلي [٧] :

١. إقرار حدود البلاد التي جاءت في الصلح الأول .
٢. خلاص الرهائن التي سلمها بنو صريم وبنو شاور والأقهوم [٨] ووادعة وبكيل للأيوبيين مقابل الطاعة لهم وهم ثلاثون ونيفٌ ، وبالمقابل يسلم الإمام لوردسار خمسة عشر فارساً وخمسة عشرة بعيراً كل سنة لمدة عشر سنين وعشرة أيام .
٣. أن يحل أحد الأشراف بنفسه وحريمه في بيت مساك كرهينة ، حتى يؤدي الإمام ما عليه من الخيول والجمال . وتم اختيار الأمير حسام الدين القاسم بن إبراهيم لهذه المهمة .

١٦ ــ وقعة عقار :

كان السبب في هذه الوقعة إصرار الأمير وردسار على الخروج إلى مصانع حمير [١] وهي كما يدعي الإمام من البلاد الداخلة في حدوده كما نص الصلح ، لكن الأمير وردسار صمم على موقفه ، فلم يجد الإمام بداً من النهوض إلى صعدة في الحادي والعشرين من

---

[5] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٢٩ .

[6] المصدر نفسه والصفحة .

[7] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٣٢ ــ ٧٣٤ .

[8] الأقْهوم : ويكتب أيضاً الأكهوم وهي عزلة من ناحية جبل عيال يزيد محافظة عمران . المقحفي ، معجم ، ص ٥٢ .

[1] مصانع حِمْيَر : جبال مرتفعة إلى الشمال الغربي من صنعاء ترتفع عن سطح البحر بـ (٣٢٠٠ متراً) ، وهي من أشهر جبال ناحية ثلا . المقحفي ، معجم ، ص ٦٣٠ .

جمادى الأولى من سنة ٦٠٣ هـ [٢] ، للإجتماع مع الأمراء الأشراف الذين قدم كلٌ من جهته لمنع وردسار من الوصول إلى المصانع . وفي موضع يسمى الهجر [٣] اجتمعت خيل الإمام التي زادت على مائة وستين فارساً ، ومن الراجل ما لا يحصى عدده ، وسارت إلى بركة الأشمور [٤] من بلاد الطرف وأوطان بني شاور . وفي الوقت نفسه خرج وردسار من صنعاء على رأس أربعمائة فارس[٥] قاصداً مصانع حمير ، وبالقرب من موضع يسمى عقار التحم الجانبان ودارت الموقعة التي استطاع الإمام والأشراف فيها إلحاق هزيمة [٦] كبيرة بالأيوبيين ، الذي آثروا تجديد الصلح مرة أخرى على مواصلة القتال ، فلم يمانع الإمام من ذلك خوفاً من تغير الأحوال .

١٧ ــ هزيمة الأيوبيين في وصاب [٧] :

تُعد هذه الهزيمة حلقة في سلسلة هزائم مُني الأيوبيون بها في فترات متقاربة ، إذ لم يكد الأيوبيون يفيقوا من هزيمة عقار ، التي جعلت الإمام يستولي على مغارب كوكبان [٨] ومعظم أجزاء البلاد العليا ، حتى انتكسوا في وصاب ، والتي أرادوا منها أن تكون أول كسرهم لشوكة الإمام ، فزادتهم كسرة إلى كسرتهم ، وهزيمة إلى هزائمهم ، وكان السبب فيها أن الأمير وردسار بعد هزيمته في عقار لم يستطع أن يفعل شيئاً للإمام ، فأرسل إلى الأتابك سنقر يستنجد به [١] ، فرد عليه الأتابك أن يصل إليه ، وأن يكون أول خروجهم إلى وصاب ، ثم يأخذون البلاد جزءاً ، جزءاً ، حتى يستأصلوا الأشراف ، وعندئذ وصل الأمير وردسار إلى زبيد وخرج مع الأتابك إلى وصاب ، وبدلاً من الانتصار في أول معاركهم التي

---

[2] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٤٢ .

[3] الهَجَر : قرية من عزلة وادي زُبيد ، ناحية حيدان ، محافظة صعدة . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، حاشية رقم (٣) .

[4] الأشْمور : جبل مشهور إلى الغرب من مدينة عمران بمسافة (٢٢كيلومتراً) ويرتفع عن سطح البحر بنحو (٣٠٠٠متراً) . المقحفي ، معجم ، ص ٣٧ .

[5] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٤٩ .

[6] المصدر نفسه والصفحة ، حاشية رقم (٢) .

[7] وُصَاب : بلد واسع إلى الغرب الجنوبي من صنعاء بمسافة (١٨٢ كيلو متراً) ، وجبلها يحاذي زبيد ، وفيه عدة قرى وحصون ، وينقسم إلى وصاب العالي ووصاب السافل ، وهو منسوب إلى وصاب بن السهل بن زيد بن الجمهور ... بن حمير الأكبر وقيل من ولد سبا الأصغر .انظر : الوصابي ، وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي ، تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار ، تح :عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمانية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٨١ ــ ٨٣ ؛ الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٦٧ ــ ٧٦٨ ؛ المقحفي معجم ، ص ٧٤٥ ــ ٧٤٦ .

[8] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٣٣.

[1] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٣٣.

خرجوا من أجلها ، استطاع الشريف محمد بن عيسى القراظي [٢] صاحب حصن وصاب أن يلقنهم درساً عظيماً في عدم الاستهانة بالعدو ، حيث قتل منهم مائة وسبعين رجلاً [٣] ، وفر الباقون كلٌ إلى منطقته ، وبذلك لم تنجح الخطة الأيوبية التي وضعها الأتابك سنقر من أجل استعادة النفوذ الأيوبي مرة أخرى على اليمن [٤] .

١٨ ــ هزيمة الأشراف في تهامة (٦٠٤ هــ) :

أراد الأتابك سنقر الثأر لهزيمة الأيوبيين في وقعتي عقار ووصاب ، فعزم على المسير إلى صعدة [٥] ، في الوقت نفسه أراد الإمام تحقيق المزيد من الانتصارات على الأيوبيين ومن أجل ذلك أرسل الأمراء عماد الدين بن حمزة ، وصفي الدين محمد بن إبراهيم ، ومجد الدين يحيى بن محمد إلى تهامة [٦] ، للغارة عليها وإجبار الأيوبيين على العودة مرة أخرى إلى زبيد والعدول عن المسير إلى صعدة . لكن الأمور لم تسر كما أراد ، فقد استطاع الأيوبيون المتمركزون في المهجم بقيادة بكتمر السيفي ، وعددهم مائة فارس ، بمساعدة أهالي وادي سردد ، من إنزال الهزيمة بالأشراف وأسر حليفهم المؤيد بن قاسم صاحب المخلاف السليماني [٧] ، الذي ساعد الأشراف في هجومهم على تهامة .

١٩ ــ محاولة الإمام الثانية للاستيلاء على تهامة :

كانت هذه المحاولة في شهر صفر من سنة ٦٠٨هــ [٨] عندما أمر الإمام الأمراء أسد الدين الحسن بن حمزة ، وصفي الدين محمد بن إبراهيم ، وعلم الدين سليمان بن موسى ، ومجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد بالتوجه إلى المحالب والمهجم [٩] في تهامة ، وفي طريقهم إلى هناك حطوا في موضع يسمى : الحما [١] . وكان القائد الأيوبي في تلك الجهات بكتمر السيفي على علم بهم ، فترصد لهم وباغتهم [٢] على حين غفلة منهم في ذلك الموضع ، وهزمهم كما فعل في سنة ٦٠٤ هــ ، فقُتل الأمير مجد الدين وجُرح الأمير

---

(2) المصدر نفسه والصفحة .

(3) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

(4) محمد عبد العال ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٢١٢ .

(5) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٤٠ .

(6) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ .

(7) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(8) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

(9) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٩٤.

(1) يتضح من النص أن هذا الموقع بالقرب من المهجم في تهامة .

(2) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٤٦

أسد الدين ، وانسحب الباقون إلى بلادهم عن طريق الخموس ، وكان لهذه الهزيمة أثر كبير على الإمام عبد الله بن حمزة [٣] .

ثانياً : أثناء وصاية الاتابك غازي بن جبريل (٦٠٨ ـــ ٦١١ هـــ) :

في سنة ٦٠٨ هـــ توفى الأتابك سنقر [٤] ، وعندئذ استقل الملك الناصر بالملك على الرغم من صغر سنه البالغ ثلاثة عشر عاماً [٥] ، وأقام الأتابك الجديد غازي بن جبريل أستاذ داره [٦] وصاحب بابه [٧] ، ونتيجة لسياسة الفتك والقتل بالسم [٨] التي اتبعها الملك الناصر وأتابكه الجديد ، توسعت الدولة المنصورية توسعاً لم تشهده من قبل ، حيث استفاد الإمام عبد الله بن حمزة من حالة التشرذم والضعف التي عانت منها الدولة الأيوبية على أكمل وجه .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بعض القادة الأيوبيين الذين اغتالهم الملك الناصر وأتابكه أو حاولوا اغتيالهم ، أولهم : الشهاب الجزري [٩] الذي سلمه الملك الناصر إلى الأمير وردسار وهو يعلم بأنه سوف يقتله ، وثانيهم : القائد بكتمر السيفي [١٠] الذي تم الاتفاق بين الملك الناصر والأمير وردسار على قتله بعد رجوعه من حجة ، ولولا معرفته بذلك الاتفاق لقُتل . وأخيراً تجرع الأمير وردسار كأس المنية التي سقاها الجزري بعد أن دس الملك الناصر له السم ، فتوفي في حصن السمدان [١] سنة ٦١٠ هـــ [٢] .

---

[3] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٩٥.

[4] ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٩ .

[5] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٥٢ .

[6] الأستاذ دار : من أكبر موظفي البلاط السلطاني ، وهو المسؤول عن بيوت السلطان كلهـا من المطابـخ إلى الشـراب خاناه والحاشية والغلمان ، وله الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء ما يحتاج إليه بيت السلطان من النفقـات والكسـوات وغيرها ، كـل ذلك بعد موافقة السلطان . انظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ ؛ المقريـزي ، تقي الديـن أحمد بن علي بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تح : أيمن فؤاد سيـد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٢٦٣ ، حاشية رقم (٢) .

[7] صاحب الباب : هو من يقف بباب السلطان يبلغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الإذن منه بالدخول . الباشا ، الألقاب الإسلاميـة ، ص ٢٥١ .

[8] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٤٨ .

[9] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

[10] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٤٩ .

[1] السَمَدَان : حصن في بلد الرجاعية من بلاد المعافر إلى الغرب من تربة ذبحان بمسافة (١٥ كيلومتراً) . المقحفي ، معجم ، ص ٣٣١ .

[2] الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٩٠ أ ، ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٨٩ .

وفي السنـــة نفسها التي توفـــي فيها الأميـــر وردسار خرج الملك الناصـــر إلى صنعـــاء [٣] ، ودخلها وأقام بها مدة من الزمن ، ثم نهض منهـــا لحرب الإمام في مستهل شهر محرم من سنة ٦١١ هــ [٤] . ثم تذكر المصادر التاريخية أن الأتابك غازي سقاه السم في منطقة الجراف [٥] خفية ، وعلى أثر هذا السم قرر الملك الناصر العودة إلى صنعاء والتي ما إن وصلها حتى توفي فيها [٦] . وبعد وفاته نهض الأتابك غازي إلى تعز ، وفي أثناء الطريق تعرضت له جموع القبائل الذين نهبوا ماله ورحاله ، ولم ينته به الأمر على ذلك ، فما إن وصل إلى إب حتى قتله الأيوبيون الموجودون فيها ، بتحريض من أم الملك الناصر التي كانت في حصن حب .

أما الإمام عبد الله بن حمزة فقد ظل يترقب الأحداث ، وحين رآها مناسبة أرسل الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة إلى صنعاء لطرد الأيوبيين منها ، فلما تم ذلك لحقهم إليها في مستهل ربيع الاول سنة ٦١١ هــ [٧] . وبعد الانتهاء من أمر صنعاء توجه الإمام إلى ذمار [٨] ، وفيها من الأيوبيين الأمير محمد بن موسى البرقشي (الذي تحصن في حصن بهران) [٩] والأمير حسين بن محمد الكنكاري (الذي تحصن في دار خولان) [١٠] ، واللذين أرسل الإمام إليهما المقدم الرسول بن موسى البرقشي أخا الأمير محمد بن موسى يعرض عليهما الاستسلام ، لكنهما رفضا فحاصرهما الإمام وقطع الماء والطعام عنهما ، حتى طلبا الأمان منه ، فقبل ذلك على الأنفس دون المال والدواب . بعد ذلك عاد الإمام إلى صنعاء وترك الأمر في ذمار للأمير علم الدين سليمان بن موسى [١١] .

٧ ــ الصراع السياسي والعسكري بين الإمـــام والأيوبييـــن في عهـــد المـــلك المعظم[١] سليمان بن تقي الدين شاهنشاه (٦١١ ــ ٦١٢ هــ) :

---

(3) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٩٨ .

(4) ابن حاتم السمط الغالي ، الثمن ، ص ١٥٢ .

(5) الجِرَاف : قرية ملاصقة لصنعاء من ناحية الشمال . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٨٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٣٠ .

(6) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٠ .

(7) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .

(8) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٥٥ .

(9) بَهْران : اسم مشترك بين عدد من الأماكن في اليمن ، منها قرية خولان العالية ، لكن المؤكـد أنه في ذمـــار . المقحفـــي ، معجم ، ص ٩٢.

(10) لم استدل على هذا الحصن في المعاجم اليمنية لكن الواضح أنه في ذمار ولا يبعد كثيراً عن حصن بهران .

(11) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .

(1) هو الملك المعظم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه بن نجم الدين أيوب ، تولى الملك في اليمن عام ٦١١ هــ ، لكنه انتهج سياسة سيئة فملأ البلاد ظلماً وجوراً ، وغفل عن أمور دولته ، وانغمس في الملذات والشهوات ، مما أدى إلى تصدع الوجود الأيوبي في اليمن .انظر: ابن الديبـــع ، قرة العيـــون ، ص ٢٩١ ؛ محمد عبد العال ، الأيوبيـــون في اليمـــن ، ص ٣٤٠ .

بعد وفاة الملك الناصر مسموماً في سنة ٦١١ هـ ، ومقتل الأتابك غازي ، لم يبقَ من بني أيوب في اليمن إلا أم الملك الناصر والخواتين[٢] من بنات المعز إسماعيل وغيرهن . وعندئذ قامت أم الملك الناصر بإدارة شؤون الدولة لمدة ستة أشهر ، ثم انتقلت مقاليد الحكم إلى الملك المعظم تقي الدين شاهنشاه ، الذي تختلف الروايات حول كيفية قدومه إلى اليمن ومن ثم وصوله إلى الحكم [٣] . لكن الشيء المسلم به أنه وبعد مقدمه إلى اليمن تسلم مقاليد الملك بناء على رغبة بنات الملك المعز إسماعيل ، بل إنه تزوج واحدة منهن وتدعى زينب ، كذلك تزوج من أم الناصر أيوب [٤] . كل ذلك بعد أن تأكد الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول من انتسابه إلى بني أيوب [٥] .

أما الإمام عبد الله بن حمزة فقد استمر في ما كان بدأه في عهد الملك الناصر من التوسعات والمراسلات مع الأمراء والقادة الأيوبيين المتمردين على الدولة الأيوبية ، في محاولة منه لضمهم إلى صفه ، وكان من أبرزهم : القائد أطنبا سنقر [٦] ، الذي كان على خلاف مع الملك المعظم [٧] ، بل وقاتله في النعجية [٨] بالقرب من حدود الجثة . وعلى الرغم من أن الإمام أرسل إليه الشريف عزيز الدين محمد بن حاتم بن حسين العباسي [٩] الذي أخذ منه البيعة للإمام ، إلا أنه عدل عن هذه البيعة وقرر مع الأمير عز الدين بن الأمير وردسار الخلاف على الملك المعظم سليمان شاهنشاه دون الانضمام إلى الإمام عبد الله ابن حمزة [١] .

وفي شوال من سنة ٦١١ هـ [٢] أمر الإمام الأشراف بمهاجمة المهجم ، و أمر الأمير علم الدين سليمان بن موسى بمهاجمة لحج وأبين [٣] ، وقام هو بمحاصرة حصن

---

[2] الخاتون : كلمة تركية تعني المرأة الشريفة ، وقد لقب بها العرب نساء الملوك . انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، د . ت ، ص ٢١٣ ؛ لويس معلوف ، المنجد في اللغة ، ط ١٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت ، ص ١٦٩ .

[3] انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٥٨ ــ ١٥٩ .

[4] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

[5] ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩ . والجدير ذكره أن هذا الأمير كان والياً لحرض والهلية في عهد الملك الناصر . ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٥٨ .

[6] المصدر نفسه ، ص ١٦٢ .

[7] كان سبب هذا الخلاف أن رجلاً استجار بالقائد أطنبا سنقر فأجاره ، ولكن الملك المعظم لم يراع هذا الجوار ، وأخذ هذا الرجل عنوة من هذا القائد . أنظر: ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٢ .

[8] لم استدل على هذا الموقع في المعاجم اليمنية ، إلا أنه يتضح من النص أن النعجية والجثة في تهامة ، وعلى مقربة من المحالب ، وليست بعيدة عن زبيد .

[9] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٣ .

[1] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

[2] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٤ .

[3] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

كوكبان [٤] حتى استسلم أهله . وفي ذي الحجة من السنة نفسها جاءت الأخبار إلى اليمن بقدوم الملك المسعود [٥] بن الملك الكامل من مصر إلى الحجاز قاصداً اليمن ، والذي أرسله والده بعد ما بلغه التدهور والانهيار الذي حل بالدولة الأيوبية في اليمن .

٨ ــ الحملة الأيوبية الثالثة على اليمن (٦١٢ هـ) :

كان أول دخول الملك المسعود إلى اليمن إلى الهلية [٦] ، وهناك سار إليه الأيوبيون لاستقباله والانضمام إليه ، وكان يومئذٍ صغيراً وصاحب الوصاية عليه الأتابك جمال الدين ابن فليت [٧] . وبعد استقباله سار الجميع إلى زبيد في محــرم من سنـــة ٦١٢ هـ [٨] ، بعد أن خرج منها الملك المعظم سليمان بن شاهنشاه الذي تحصن في تعز . ويمكننا هنا أن نسمي هذه الحملة بالحملة الأيوبية الثالثة على اليمن ، بعد حملة الملك المعظم توران شاه ، والملك العزيز طغتكين بن أيوب . وكما هي العادة في بداية كل حملة أنها تكون قوية تعيد الأمور إلى نصابها وتحاول أن تستعيد هيبة الدولة وقوتها ، فقد استطاع الملك المسعود ــ على هذا الأساس ــ القبض على الملك المعظم سليمان بن شاهنشاه وإرساله إلى مصر [٩] ، ثــم بــدأ يستعيد البلاد قطعة قطعة ، بدءاً بذمار التي انسحب منها أصحاب الإمام ، ومــروراً بصنعاء التي خرج منها الإمام ، بعد أن أدرك أنه لا طاقة لــه بقتــال الأيوبييــن القادمين ، والذين قدر عددهم بستمائة فارس عدا الراجل منهم ، حيث توجه إلى بيت أنعم ومنه إلى حصن كوكبان [١] .

وبعودة السيطرة الأيوبية على صنعاء تعود العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين في اليمن إلى سيرتها الأولى ، فبقي الإمام يسيطر على المناطق التقليدية للزيدية ، وظلت تهامة وصنعاء وذمار وتعز بأيدي الأيوبيين ، كما حرص الجانبان كلما سنحت الأحوال على عقد الصلح والهدنة ، وكان آخرها الصلح الذي تم بين الإمام عبد الله بن حمزة

---

[4] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٥ .

[5] اسمه ، يوسف ، ويعرف بأطسيس أو أسيس ، وهي كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم ، ويقال أنه سمي كذلك لأن الملك الكامل محمد بن أيوب ما كان يعيش له ولد ، فلما ولد له المسعود سماه كذلك حتى يعيش ظناً منه ذلك ، وصل إلى اليمن في السابع عشر من رمضان سنة ٦١١ هـ وهو يناهز سن البلوغ ، وعليه الأتابك جمال الدين بن فليــت ، توفـــي فـــي سنـــة ٦٢٦ هـ ، وبوفاته ينتهي حكم الدولة الأيوبية في اليمن . انظر : ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٢ ، حاشية رقم (١) .

[6] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٦ .

[7] المصدر نفسه ، ص ١٦٥ ــ ١٦٦ .

[8] المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .

[9] الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٩١ أ ؛ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن عبد القادر ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة ، ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ١٨١ .

[1] ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٩٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

والأتابك جمال الدين بن فليت ، والذي نص على أن يطلق ابن فليت الرهائن التي قبضها من القبائل ، مقابل أن يسلمه الإمام عشرين حصاناً وعشرين جملاً ، وكانت مدة الصلح ثلاثة عشر شهراً (٢) ، لكن هذا الصلح لم يستمر طويلاً وعاد الصراع مرة أخرى بين الزيدية والأيوبيين ، بعد أن نشب قتال بين الطرفين بسبب قيام بعض أصحاب الإمام بقطع الطريق المار بالقرب من جبل كنن (٣) على الأيوبيين . إلا أن أياً من الطرفين لم يحرز انتصاراً في هذا القتال ، فحاصر الأيوبيون كنن مدة وأصحاب الإمام صامدون فيه بقيادة ولده عز الدين محمد الناصر ، وأثناء ذلك جاء الخبر إلى كنن بوفاة الإمام عبد الله بن حمزة (٤) وهو ما يزال في صراعه مع الأيوبيين ؛ ذلك الصراع الذي حاول ابنه محمد الناصر أن يواصله ، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً ، بل استطاع الأيوبيون ــ في مدة إحتسابه ــ أن يستولوا على حصن الريشة (٥) وجبل كنن وحصن كوكبان وغيرها من الحصون . حتى عندما تهيأت له الأحوال لإستعادة صنعاء في سنة ٦٢٣هـ (٦) ، لم يتمكن من ذلك وأصيب في عينه ، وقُتل جماعة من عسكره ، فرجع مهزوماً إلى ظفار ، حيث لم تطل به الإقامة هناك فتوفي في السنة نفسها (٧) .

(2) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .
(3) كَنن : من حصون خولان العالية وسنحان . المقحفي ، معجم ، ص ٥٦٢ .
(4) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٧١ .
(5) الريشة : لم استدل على هذا الموقع في المعاجم اليمنية .
(6) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤١٥ .
(7) المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .

الفصل الثالث

العلاقات السياسية للإمام عبد الله بن حمزة .

أولاً : العلاقـــــات الداخليـــة :

١ ـــ العلاقة مع القبائل [١] :

تناولنا في الفصل الثاني الصراع السياسي والعسكري بين الإمام عبد الله بن حمـــزة والأيوبيين في اليمن ، وخلال ذلك لاحظنا دور القبائل في هذا الصراع ، وانقـــسامها إلـــى ثلاث فرق : إنحازت الأولى إلى الدولة الأيوبية منذ الوهلة الأولى ، واستمرت على ذلـــك ، ومالت الثانية إلى الإمام عبد الله بن حمزة . بينما تأرجح موقف الثالثة بين الطرفين فتارة مع الأيوبيين ، وتارة أخرى مع الإمام ، يحكمها في ذلك انتصار طرف على الآخر ، والرغبـــة في المال مهما كان مصدره .

والحق أن العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والقبائل علاقة يحكمها السيف أحياناً ، والمال أحياناً أخرى ، والأعراف القبلية في أحيانٍ كثيرة . ونحن لا ندري أمِنْ حسن حـــظ الإمام عبد الله بن حمزة ، أم من سوء حظه ، عدم انتسابه إلـــى إحـــدى القبائـــل اليمنيـــة ، أما حسن حظه فلأنه ينتسب إلى الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) وهـــو بـــلا شـــك نـــسب شريف ، وأما عن سوء حظه فلعله لو انتسب إلى إحدى القبائل المشهورة في الـــيمن لمـــا تعرض لكثير من الصعوبات التي تعرض لها من قبل تلك القبائل ، والتي كان السبب فيهـــا عائد إلى نظرتها إليه على أن أصله غير يمني وقام ليحكم اليمن وأهلها [٢] ، وهو مـــا لـــم تألفه بعض هذه القبائل ، ولو كان ذلك باسم الدين والشريعة [٣] .

ونظراً لتشعب القبائل ، وكثرتها ، وتعدد مواقفها من الإمام ، كان علينا أن نقسم هذه القبائل على أساس هذه المواقف [٤] .

---

[1] ورد لفظ القبيلة في القران الكريم في قوله تعالى : " **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** " الحجرات : الآية (١٣) . فالقبيلة تنظيم إجتماعي وإقتصادي وسياسي مستقل بذاته ، وتعيش في مناطق شبه مستقلة ، وتشكل مجتمعاً خاصاً داخـــل المجتمـــع العام ، وترتبط بعلاقات إجتماعية داخلية وخارجية ، ولكل قبيلة أراضيها ومراعيها ، ومصادر مياهها المعروفة عنـــد كـــل أفراد القبيلة . انظر : الشرجبي ، قائد نعمان ، الشرائح الإجتماعية التقليدية في المجتمـــع اليمنـــي ، ط ١ ، دار الحداثـــة ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٧ . كما لا تزال القبيلة في اليمن محتفظة بعاداتها ، وتقاليدها ، وأعرافها ، ومن أبرزها ميلهـــا إلى الاستقلال الضمني عن الدولـــة ، والتمرد عليها إذا ما تعارضت المصالح بين الطرفين . انظر : أبو غانـــم ، فضـــل علي أحمـــد ، البنيـــة القبليـــة في اليمن بين الاستمرار والتغيير ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥ هـــ / ١٩٨٥ م ، ص ٩ .

[2] كثيراً ما استغل أعداء الإمام هذه المسالة لإثارة القبائل اليمنية ضده ودفعها للتمرد عليـــه ، ولاسيمـــا آل نشـــوان بن سعيـــد الحميري .

[3] لعل في القضاء على الإمامة الزيدية فـــي اليمـــن عام ١٩٦٢ م خيـــر دليـــل علـــى هـــذا القـــول وإن بقـــي المذهـــب .

[4] لابد من الإشارة قبل ذلك إلى أن كثيراً من هذه القبائل لم تثبت على موقف واحد تجاه الإمام ، ولكننا سنتناول ما كـــان مألوفاً عن هذه القبائل دون إطلاق .

أ ــ القبائل المؤيدة للإمام عبد الله بن حمزة :

ــ قبائل صعدة :

لم يكن مستغرباً أن تقوم القبائل في المناطق الشمالية ولاسيما القبائل الخولانية في صعدة ونواحيها بمبايعة ومناصرة الإمام عبد الله بن حمزة ، فمعلومٌ عن هذه القبائل ميلها إلى المذهب الزيدي منذ استدعت الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين من الحجاز إلى اليمن عام ٢٨٤هـ [١] ، ومن يومها أصبحت صعدة مركزاً للإمامة الزيدية ومعقلها التقليدي الحصين .

ومع أن موقف هذه القبائل يمكن أن يوصف بالثابت والمتين مقارنة ببقية القبائل ، إلا أن ذلك لم يمنعها من خذلان الإمام والوقوف مع أعدائه ، إذا ما تعارضت المصالح بين الطرفين ، وأبرز مثال على ذلك هو تلك المراسلات التي تمت بين شيوخ هذه القبائل والأتابك سنقر [٢] ، والتي تضمنت طلباً منهم له بالقدوم إلى صعدة ، عارضين عليه الطاعة ورهن أولادهم لديه ، وهو الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى استيلاء الأيوبيين على صعدة مدة شهرين وعشرين يوماً [٣] ، وبعدها عاود هذه القبائل الحنين إلى الإمام فأرسلت إليه وهو في الجوف تعتذر منه وتطلب العفو عما بدر منها من خذلان ، وتتعهد له بعدم تكرار ما قد سلف ، بل وتعرض عليه الرهائن وتطلب الذمة منه على ما فرطت فيه من حقه ، ولم تهدأ نفسها وتطيب وتأمن مكر الإمام إلا بعد أن أعطاها سيفه الأثير على نفسه [٤] ، دليل وعهد منه على رضاه وعفوه .

والسؤال هنا ، لماذا لم يستمر الوئام بين هذه القبائل والأيوبيين كما كان عليه الحال مع كثير من القبائل في صنعاء وذمار وغيرها من المناطق ؟ ولماذا عادت هذه القبائل إلى ولائها للإمام بعد مدة وجيزة من الزمن ؟ وهي التي بالأمس استقدمت الأيوبيين وبذلت لهم الرهائن من أولادها على الطاعة ! وللإجابة على هذا السؤال ، نوضح بعض الملامح العامة في العلاقة بين الزيدية والقبائل في صعدة ومن هذه الملامح :

أولاً : حب هذه القبائل لآل بيت الرسول (ﷺ) ولهذا فإن الزيدية متأصلة الجذور في صعدة ، منذ عهد الإمام الهادي إلى الحق ومن الصعوبة استئصالها منها . وكان خروج

---

(1) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(2) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٧٩ .

(3) المصدر نفسه ص ٦٥٨ .

(4) المصدر نفسه ص ٦٦٢ .

بعض هذه القبائل على الإمام عبد الله بن حمزة خطأً ندمت عليه ، وأيقنت بعده أن الإمام عائد إلى صعدة لا محالة ؛ لذلك قررت الاعتذار منه قبل أن يعود إليها بقوة السيف [١] .

ثانياً : أن منطقة صعدة ذات طبيعة جبلية وعرة يصعب معها التنقل من مكان إلى آخر، بالإضافة إلى أنها بعيدة عن السلطة المركزية في صنعاء ، وبالتالي يسهل التمرد فيها ، ويصعب بالمقابل السيطرة عليها ؛ لبعد المسافة وتأخر المدد من العتاد والرجال [٢] .

ثالثاً : رغبة هذه القبائل في المكاسب المادية والغنائم والابتعاد عن التناحر والاقتتال القبلي ، ولاسيما أن هذه المنطقة تفتقر إلى الأراضي الزراعية الخصبة . ولن يتسنى لها ذلك إلا بالانضمام إلى راية الإمامة الزيدية ، التي توفر لها بعض ما تطمح إليه [٣] .

ــ قبائل الجوف :

لم يختلف موقف قبائل الجوف عن الموقف الذي اتخذته قبائل صعدة المؤيد لدعوة الإمام ، وذلك بصورة عامة ولكنها ــ وحالها في ذلك كحال بقية القبائل في مختلف المناطق ــ تفضل المصلحة العليا للقبيلة على أي مصلحة أخرى ، وخاصة في النوائب ، ففي الوقت الذي أرسلت فيه القبائل في صعدة إلى الاتابك سنقر تحثه على القدوم إليها ، بعثت العديد من القبائل في الجوف إليه أيضاً تشجعه على النهوض إليها [٤] ، ويبدو أن ذلك كان بعد علم تلك القبائل بنوايا الأيوبيين في السير نحو المناطق الشمالية ، فآثرت أن تكون لها المبادرة في الاتصال بالأيوبيين قبل أن يصلوا إليهم ، رغبة في المال وتجنباً لسخطهم ولا سيما أن أي مواجهة معهم ستكون غير محمودة العواقب .

ولعلمنا بتقاطع المصالح بين هذه القبائل في المنطقة الواحدة ، فيمكننا أن نعلل موقفها هذا بثلاثة أوجه [٥] :

- **الوجه الأول:** أن هذه القبائل كانت على عداء مستمر مع الإمام فهي راغبة ــ حقاً ــ في التخلص منه ، وهذه القبائل لاتمثل إلا أقلية في الجوف ، يترأسها السلطان جحاف

---

(١) الجدير ذكره أن الحديث عن هذه القبائل لا يعني العموم ، فكما بقيت قبائل كثيرة على ولائها للإمام في صعدة ، تخلت قبائل أخرى عن هذا الولاء ثم عادت إليه ، بينما بقيت قبائل عديدة على عدائها المستمر للإمام ، وإن أخفت ذلك .

(٢) من الملفت للنظر أن الأسباب التي ساعدت على قيام دولة زيدية خلال عهد الخلافة العباسية ، هي نفسها التي ساعدت أيضاً على بقاء هذه الدولة واستمرارها مدة طويلة من الزمن في تلك المناطق .

(٣) أبو غانم ، فضل علي أحمد ، القبيلة والدولة في اليمن ، ط ١ ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م ، ص ١٦٠ .

(٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٠٤ .

(٥) يؤكد ابن دعثم هذا المعنى بقوله : " واختلف أهل الجوف في ذات بينهم وافترقوا ". انظر : السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٠٦

ابن حميدان ، الذي كان يكره الإمام ويبغض دعوته [١] .

- **الوجه الثاني** : مثلته بعض هذه القبائل والتي وإن كانت تدين بالولاء للإمام عبد الله ابن حمزة ، إلا أنها لم ترَ في المواجهة أي فائدة تُذكر سوى الخراب والقتل والدمار والتشرد ؛ ففضلت مسايرة الوضع آنذاك المتمثل في التحالف مع الأيوبيين [٢] ، وهذا هو حال معظم قبائل الجوف التي آثرت الحكمة على القتال وعلى رأسهم السلطان عزان بن فليته وولده مبارك اللذان تحالفا مع الأيوبيين ظاهراً وباطنهما مع الإمام .
- **الوجه الثالث** : أن بعض هذه القبائل تمسكت بموقفها الثابت مع الإمام مهما كانت النتائج ، رافضة بذلك أساليب التهديد والترغيب التي مارسها الأيوبيون عليها من أجل إقصائها عن موقفها هذا ، وكان آل الدعام [٣] على رأس هذه القبائل والسلطان جحاف بن ربيع الدعامي على رأس آل الدعام [٤] .

أما الإمام عبد الله بن حمزة ، فقد كان يتعامل مع هذه القبائل حسب موقفها منه ، فإن أطاعت وانقادت تركها وشأنها ، وأمدها بالمال والرجال [٥] كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وإن خالفت فلن تجد من يحميها أو ينصرها على الإمام ، نظراً لعدم استقرار رتبة الجند من الأيوبيين في تلك المناطق ، وعندها تبدأ الحملة التأديبية للإمام [٦] ، فيعفو عن بعضها ــ إن رأى المصلحة في ذلك ــ ويأخذ الرهائن ممن لا يأمن مكرهم ، كما فعل مع السلطان جحاف بن حميدان الذي سلم ابنه بشراً رهينة على الطاعة [٧] . وإن لم تكن العقوبة رهائن ، كانت رسوماً من الأموال تسلمها هذه القبائل عقوبة على مخالفتها ، ويختلف المبلغ باختلاف المخالفة . فبينما فرض الإمام على أهل غيل مراد[٨] خمسة آلاف دينار [٩] ،

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٠٥ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٧٠٦ .

[3] آل الدعام : أهل درب ظالم بالجوف ، وهم بطن من بكيل الهمدانية في ولد آل الدعام بن عبد بن عليان بن أرحب بن الدعام الأصغر بن مالك بن ربيعة بن الدعام الأكبر بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١٢٣ ــ ١٢٤ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢٤٢ .

[4] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٠٥ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٧٠٦ .

[6] لعل ابرز مثال على ذلك ما فعله الإمام مع أهل درب مقعد في غيل مراد وكبيرهم فلاح بن أحمد . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص٧٠٨.

[7] المصدر نفسه ، ص ٧٠٩ .

[8] غيل مراد : نهر من أنهار الجوف سمي باسم قبيلة مراد التي تسكن في مناطق كثيرة من اليمن ، وقرية الغيل من ناحية الغيل بالجوف على بعد (١٨ كيلو متراً) شمال غرب براقش . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج٢ ، ج ٣ ، ص٦١٨ ، حاشية رقم (١) ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٩٣ .

[9] ابن دعثم السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٠٨ .

فرض كذلك على درب الخلق [١] تسعة آلاف دينار [٢] ، تُسلم فيها الرهائن حتى تــؤدى . وفي أحوال كثيرة كان الإمام يضطر إلى حرب هذه القبائل لإخضاعها بقوة السيف ، إذا لــم يرضوا بالعقوبة أو تسليم الرهائن ، وحينئذ يهدم دورهم ، ويعقر زرعهم ، ويأخذ أنعــامهم ، ويشردهم من أوطانهم ، حتى ينقادوا لطاعته .

وفي الأخير لابد من التنويه إلى أن الجوفين الأعلى والأسفل ظلا من مناطق النفــوذ الخاصة بالإمام عبد الله بن حمزة ودولته المنصورية ، وأن السمة العامة للقبائل فــي هــذه المناطق هي التأييد له والوقوف إلى جانبه .

ب ــ القبائل المعارضة للإمام :

وهي معظم القبائل في تهامة وصنعاء وذمار وتعز ، ودافعها في ذلــك أحــد هــذه الأسباب :ــ

١ ــ خوف هذه القبائل من مواجهة الأيوبيين ، والتعرض لعقابهم وسطوتهم ، نظراً للقــرب الجغرافي بين هذه القبائل ومراكز قوة ونفوذ الأيوبيين في المناطق نفسها ، ولذلك فهم تحت تهديد سيوفهم ، وكلما أرادوهم قصدوهم دون أي مشقة ، وأبرز مثال على ذلك ما حل بأهل ذيبين وحوث [٣] بسبب ولائهم للإمام ورفضهم الانضمام إلى الأيوبيين .

٢ ــ الرغبة في أموال الأيوبيين ، التي كانوا يمنحونها لكل قبيلة تظل على ولائهــا لهــم ، وتتثبت بهذا الولاء مهما كانت الأحوال .

٣ ــ خوف بعض القبائل كبني شهاب [٤] وسنحان [٥] من سيطرة الإمام علــى أراضــيهم الزراعية الخصبة ، ومقدراتهم المالية التي كان (الإمام) في أمس الحاجة إليها ، على عكس الأيوبيين الذين لا يطمعون في مثل هذه الأمور إلا عند الضرورة وانقطاع المدد [٦] .

---

(1) الخلق : قرية ومركز ناحية الخلق بالجوف . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ ، حاشية رقم (١) .

(2) هذا هو المبلغ الذي رُهن عليه بشر بن جحاف بن حميدان . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٠٩ .

(3) المصدر نفسه ، ص ٦٥٦ ــ ٦٥٨ .

(4) بنو شهاب بن العاقل بن ربيعة بن وهب بن ظالم بن الحارث بن معاوية بن كندة ، تقع بلادهم في ناحية بني مطــر ، وتضم عزلتي شهاب الأسفل وشهاب الأعلى ، ومن قراهم بيت بوس ، وحدّة ، وحَمِل ، وأرتل ، وغيرهــا . ابن دعثــم ، السيــرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، حاشية رقم (٤) ؛ الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(5) سنحان : بلاد تقع بالقرب من صنعاء وتمتد مساكنهم من قاع صنعاء الجنوبي إلى ما يحاذي خــولان العاليــة . الحجــري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٣٢ ــ ٤٣٣ ؛ المقحفي ، معجــم ، ص ٣٣٣ ؛ مجهــول ، صفحات مجهولة من تاريــخ اليمن ، تح : حسين بن أحمد السياغــي ، ط ١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمنــي ، صنعــاء ، ١٤٠٤هــ / ١٩٨٤م ، ص ٤٠ ، حاشية رقم (٨٩) .

(6) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

٤ ــ ضعف الروابط الدينية والإجتماعية بين هذه القبائل والإمامة الزيدية ، إذ ظلت هذه القبائل ومناطقها لمدة زمنية طويلة بعيدة عن نفوذ الدولة الزيدية ، وإن حدث ووصل النفوذ الزيدي إليها فهو لا يستمر طويلاً ، وسرعان ما تخرج هذه المناطق عن هذا النفوذ [١] .

٢ ــ العلاقة مع سلاطين بني حاتم :

أ ــ السلطان علي بن حاتم [٢] وأولاده :

في معرض الحديث عن بيعة الإمام عبد الله بن حمزة ، أشرنا إلى أن تلك البيعة جاءت بعد أن أرسل السلطان علي بن حاتم أخاه بشراً إلى الإمام ، وهو في دار معين طالباً منه القيام بأمر الإمامة الزيدية ، واعداً إياه بالنصرة والتأييد ، وكان ذلك بعد الخلاف الذي صار بين السلطان علي بن حاتم والملك العزيز طغتكين بن أيوب [٣] ، وهذا يعني أن هذه العلاقة بدأت مع قيام الدولة الزيدية في عهد الإمام عبد الله بن حمزة ، وأنها توطدت مع مرور الزمن وتتالي الأحداث .

فمن خلال قراءتنا لهذه الأحداث التي مرت بها دولة الإمام ، اتضح لنا أن حصن ذمرمر وهو مركز سلاطين بني حاتم كان دائماً الملاذ الآمن للإمام وأنصاره حتى في أشد الأحوال ، ولم يكن ذلك هو موقف السلطان علي بن حاتم فقط ، فقد نهج معظم أبنائه [٤] الطريق نفسه في مساندة ومؤازرة الإمام وذلك بعد وفاته سنة ٥٩٧ هـ ، حتى أن السلطان الفضل بن علي بن حاتم زوج ابنته (منعة) للإمام ؛ دليلاً على المودة والوفاء بين الطرفين ، بل إن العديد من زعماء القبائل وشيوخها كانوا يتشفعون بهذا السلطان وإخوته عند الإمام ، الذي كان كثيراً ما يقبل شفاعتهم تقديراً وإجلالاً لهم [٥] .

وتأسيساً على ما تقدم فقد كان لسلاطين بني حاتم ــ وخاصة أبناء السلطان علي بن حاتم ــ دور كبير في الصراع الذي دار بين الإمام والأيوبيين ، فكانوا حلفاء يعتمد عليهم وكان يشاورهم في أموره [٦] ، ويسمع رأيهم في السلم والحرب وذلك إذا حل عندهم ، وهم

---

[١] المقصود من هذا المعنى تلك المدة التاريخية موضوع البحث .

[٢] السلطان علي بن حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني ، شاعر فصيح ، ولي صنعاء بعد وفاة والده في رمضان من سنة ٥٥٦ هـ . انظر : الأكوع ، هجر ، ج ٢ ، ص ٧٩٣ ــ ٧٩٦ .

[٣] انظر فيما سبق ، ص ٤٩ .

[٤] لا بد من الإشارة إلى أن السلطان مسعود بن علي بن حاتم كان يتحالف مع الأيوبيين ضد الإمام . انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ ، ولكننا نعده استثناء على القاعدة .

[٥] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

[٦] المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٨ .

بالمقابل يمتثلون لأمره إذا عزم على شيء مهما كانت عواقبه ، فهم كما قال ابن دعثم : " من أشد [الناس] محبــة له وأعظمهم اجتهاداً في قوة أمره " (١) .

ب ــ السلطان بشر بن حاتم (٢) :

كان السلطان بشر بن حاتم من أشد المتحمسين لقيام الإمام عبد الله بن حمزة بالإمامة لــيس رغبة في ذلك ، لكن بسبب الخلاف الذي حدث بين سلاطين بن حاتم والأيوبيين في عهــد الملك العزيز طغتكين بن أيوب ، فلما انتهى هذا الخلاف بوفاة الملــك العزيــز ، تغيــرت الأمور بالنسبة لهذا السلطان ، وقرر معاودة الاتصال بالأيوبيين ، والتحالف معهــم علـــى حساب علاقته بالإمام ، وهو الأمر الذي لم يكن ليخفيه بل تظاهر به جهرة ، حتـــى أنـــه أعرض عن استقبال الإمام عندما زارهم في حصن ذمرمر (٣) .

ومنذ ذلك الحين والسلطان بشر يعمل جاهداً من أجل القضاء علـــى دولـــة الإمـــام عبد الله بن حمزة ، ويسعى حثيثاً للتفريق بين الإمام والقبائل ، كل ذلك من أجــل المـــال ، ولا أدل على ذلك ما ذكره ابن دعثم : من أن هذا السلطان جاء إلى الإمام وهـــو بـــالجوف وطلب منه مالاً فلم يستطع الإمام إعطائه ما طلب ، وكان قد أعطاه أربعاً من الخيــل أيـــام قدومه إلى ذمرمر تألفاً له ، كما كتب له بمائتي مد طعام بعد رجوعه من الجوف ، لكنه لم يرض بذلك ، وراح غاضباً من عنده بعد اجتهاد في المباعدة بين بني منبه (٤) ونهــم (٥) وبين الإمام (٦) . وكان ذلك آخر عهد المودة بين الإمام والسلطان بــشر ، الــذي راســل الأمير وردسار في صنعاء على أن يتم الصلح بينهما مقابل أن يعطيه جانباً من البلاد التـــي صارت بيد الأيوبيين (٧) ، فوافق وردسار رغبة منه في قطع الطريق بينه وبين العودة إلى الإمام . وبعد هذا الصلح وقف السلطان بشر حائلاً بين عقد أي صلح بين الإمـــام والأميــر وردسار (٨) ، وصار عوناً للأيوبيين في المناطق التي يسيطر عليها الإمام ، فمثــل بــذلك

---

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٣٧ .

(٢) أحد قادة أخيــه السلطان علي بن حاتــم ، كان جليلاً ، عظيــم الشـــان ، له انتساب إلى المذهب الزيدي ، والظاهــر عنــد النـــاس أنـــه غيـــر زيدي . انظر : الأكوع ، هجر ، ج ٢ ، ص ٧٩٦ .

(٣) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٨٤ .

(٤) بنو منبه : عزلة من ناحية يريم في حقل قتاب ، وبنو منبه من قبائل خولان بن عمرو بن الحاف في الشمـــال الغربـــي مـــن صعدة . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٢٠ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٦٦٣ .

(٥) نهم : قبيلة من بكيل الهمدانية ، من ولد نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل ، تقع مساكنهـــا فـــي الشرق الشمالي من صنعاء بمسافة (٥٨ كيلو متراً) . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٤٦ ؛ المقحفي ، معجــم ، ص ٧١٠ .

(٦) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ، ٤٠٣ .

(٨) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٣٣ .

دور الوسيط بين الأيوبيين والقبائل [١] ولم يكتف بذلك ، بل أقنع أبناءه بالوقوف مع الأيوبيين ، ومباينة الإمام رغبة منه في القضاء على دولته [٢] .

٣ ــ العلاقة مع الأشراف :

أ ــ الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان .

قبل الحديث عن أبعاد العلاقة التي ربطت الإمام عبد الله بن حمزة بالأمير يحيى بن أحمد بن سليمان ، علينا أن ننوه إلى أن الاختلاف بين الأشراف الزيدية حول الإمامة ، كان شيئا مألوفاً ظهر بعد وفاه الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق . ولكن الملفت للنظر أن تصل هذه الخلافات إلى حد التحالف مع ألد أعداء الدولة الزيدية في تلك المرحلة ، من أجل أن ينتصر طرف على الآخر في هذا الصراع ، وفي ذلك تصبح الزيدية شأنها شأن بقية القبائل ، التي كانت تغير ولاءها ومبادئها رغبة منها في الترأس والغنائم . وهذا ليس بغريب على هذه القبائل ولكنه أغرب بالنسبة للزيدية ، التي اعتمدت في دعواها على الخروج على أئمة الجور ، ودولة الظلم ، وبدلاً من ذلك صار بعضهم يطلب ودهم ورضاهم للاستعانة بهم في القضاء على منافسيهم ، ولعل ذلك أهم ما يؤخذ على بعض الأشراف وعلى رأسهم الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان ، الذي اتصل بالأيوبيين في صنعاء وطلب منهم العون في حربه ضد الإمام عبد الله بن حمزة ، بعد أن بايعه ووعده بالنصرة [٣] .

ولتوضيح أبعاد الخلاف بين هذا الأمير والإمام عبد الله بن حمزة علينا أن نذكر أهم أسبابه ، المتمثل في اعتقاد الأمير يحيى بأحقيته في الإمامة بدلاً من الإمام عبد الله بن حمزة ، على اعتبار أنه نجل الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان ، وهذا يأخذنا إلى مفهوم آخر ، طالما ناضلت الزيدية قديماً من أجل القضاء عليه عند الآخرين ، وبدلاً من أن تتجنبه نراها تقع فيه ، ذلك المفهوم هو الوراثة في الإمامة [٤] ، بغض النظر عن استيفاء شروطها من عدمها . فنحن نعلم أن الإمامة الزيدية محصورة في آل بيت الرسول (ﷺ) من نسل علي بن أبي طالب (ﷺ) إلا أن هناك شروط يجب استيفاءها في الشخص الطالب لها ، وإذا لم يستوفها فليس أهلاً لها وإن كان من آل الرسول (ﷺ) .

---

[١] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

[٢] المصدر نفسه والصفحة .

[٣] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤٩ .

[٤] يعد هذا المفهوم من أهم الأسباب التي دعت العلويين للقيام بالثورات العديدة ضد الأمويين والعباسيين ، الذين استحوذوا على الحكم وانفردوا به دون الآخرين ، ثم نرى الزيدية تقع في الخطأ نفسه .

ولما كانت شروط الإمامة الزيدية مستوفاة في الإمام عبد الله بن حمزة ، كان لابد من مبايعته للإمامة في سنة ٥٩٤ هـ ، وكانت صعدة يومئذ بيد الأمير يحيى بن أحمد ، فقام الإمام بإرسال الشريف الحسين بن إبراهيم الحمزي ، يدعوه إلى البيعة [١] والدخول في الطاعة وجمع الكلمة ، وطلب منه أن يلقاه . فلما تخلف عن اللقاء بعث إليه أخاه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة ليصحبه في المجيء إليه ، وعندها لم يجد بداً في المسير إلى الإمام الذي بالغ في إكرامه ، واستمالته [٢] ، وكانت تلك عادة الإمام مع خصومه إذا قدموا إليه ، ويبدو أن الأمير يحيى وجد نفسه مضطراً لمبايعة الإمام مقابل أن يوليه صعدة وأعمالها .

وما نستطيع أن نؤكده في هذا الصدد ، أن الأمير يحيى لم يبايع الإمام مقتنعاً ، وربما كان يناور حتى تأتيه الفرصة التي يتخلص فيها من الإمام ؛ وبذلك يستعيد الإمامة التي كان على قناعة تامة بأنها من حقه وحده ، وأن الإمام مغتصباً لها . والذي يدلل على ذلك ، أنه وبعد رحيله من عند الإمام في أثافت سار إلى بيت مساك ، وراسل الشهاب الجزري ــ والي الأيوبيين على صنعاء حينها ــ طالباً منه النصرة على الإمام مقابل الولاء للأيوبيين [٣] ، بل وأخذ يدعو الناس إلى موالاة الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ، ثم أرسل إلى الإمام رسالة تضمنت سباً فاحشاً ، ولقبه فيها بـ : مسيلمة الكذاب [٤] ؛ وعندئذ لم يجد الإمام بداً من قتاله فنهض إليه سنة ٥٩٥ هـ وحاصر هجرة الهرائم [٥] التي تحصن فيها الأمير يحيى من جميع الجهات ، ثم دخلها قهراً وأسر هذا الأمير وعاد به إلى أثافت ، حيث سجنه هناك ووكل به من يحفظه خوفاً من مكره [٦] ، ثم تفاجئنا المصادر التاريخية بوفاته في الرابع من شهر شعبان من السنة نفسها [٧]. وقد اختلفت هذه المصادر حول سبب الوفاة فالبعض منها ولاسيما الزيدية تذكر أنه مات وحسب [٨] ، والبعض الآخر تؤكد أنه اغتيل [٩]

---

(1) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩.

(3) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٦٧ ــ ٦٨ ؛ الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

(4) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٦٨ ؛ الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٥٣ .

(5) الهرائم : كانت هجرة قديمة مشهورة من وادعة حاشد ، وتقع في الشمال من خمر بالقرب من هجرة وادعة ، أخربها الإمام عبد الله بن حمزة حينما تحصن بها الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان . الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٣٢٣.

(6) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٦٨ .

(7) المصدر نفسه والصفحة .

(8) انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(9) انظر : ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٦٨ . وتؤكد هذا الرأي بعض المصادر الزيدية التي تذكر أن أصحاب الإمام عبد الله بن حمزة قتلوا الأمير يحيى خنقاً بالعمائم ، ولكنها تؤكد أيضاً أن الإمام ماأمر بذلك ولا علم . انظر : ابن فند الزحيف ، محمد بن علي بن يونس ، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى أيضاً اللواحق الندية بالحدائق الوردية (شرح بسامة السيد صارم الدين الوزير) ، ج ٢ ، تح : عبد السلام بن عباس الوجيه وخالد قاسم محمد المتوكل ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ٨٣٩ .

ونحن إلى هذا القول أقرب ولاسيما بعد محاولة الأمير يحيى الهرب من السجن بعد أن وضع البنج (١) في طعام الموكلين بحراسته ولولا تنبه الشيخ سليمان بن مرحـب الـسهلي لهـذا الأمر (٢) لنجحت الخطة ، ولاستطاع الهرب مع ما يعنيه ذلك من المشاكل والاضـطرابات للإمام وهو في غنى عنها ، إذ كان مشغولاً بالأهم فكان من مصلحته التخلص من هذا الأمير العنيد ، وبوفاة هذا الأمير يسدل الستار على العلاقة بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة .

ب ــ العلاقة مع أحفاد الإمام الهادي إلى الحق :

ذكرنا فيما سبق انقسام سلاطين بني حاتم حول الإمام، وكيف وقف الـبعض مـنهم معه ، ووقف البعض الآخر ضده ، أما علاقة الامام عبد الله بن حمزة مع الأشراف مـن آل الهادي فلم تختلف كثيراً عن ذلك حيث انقسموا فريقين : فريق أحب الإمـام ورغـب فـي دولته ، وفريق بغضه وتمنى زوالها .

أما الفريق الأول : فكان على رأسه الأميران شمس الدين يحيى بن أحمـد ، وبـدر الدين محمد بن أحمد اللذان وقفا مع الامام عندما أعلن إمامته ، بـل وشـجعاه علـى ذلـك ووعداه ، بأن يكونا سنـداً لـه في كل الأحوال ، وهو موقف ظل ثابتاً لم يتزحـزح طيلـة حياة الإمام ؛ ولهذا كانا يتمتعان بمكانة مرموقة عنده فكان يستشيرهما في كل أمـوره (٣) ، ويأخذ رأيهما بعين الاعتبار ، وهما مع كبر سنهما لم يألوا جهداً في سـبيل إقامـة الدولـة المنصورية وتعزيزها (٤) .

ويبدو أن الأيوبيين فطنوا إلى متانة هذه العلاقة وتأثيرها في دولة الإمام ، فحـاولوا إغراء هذين الشريفين بالمال والإمارة ، فلم يغترا بذلك كما كان الحال مع كثير من أمراء آل الهادي ، ومن هذه المحاولات أن الأتابك سنقر أرسل إليهما بكتاب يعرض عليهمـا ولايـة صعدة وأعمالها باسم الدولة الأيوبية ، شريطة أن يخلعا بيعة الإمام ويعلنـا الخـروج عـن طاعته ، إلا أنهما أخبرا الإمام بهذا الأمر ؛ ليثبتا إخلاصـهما ووفائهمـا وصـدقهما فـي نصرته (٥) .

---

(1) البَنــج : نبات مخدر . يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٥٠ ، حاشية رقم (١) .

(2) المصدر نفسه والصفحة .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

(4) المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٩٨ أ .

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٩٤.

ولم يختلف موقف أولاد هذين الأميرين عن موقف والديهما ، حتى أن الإمام عبد الله بن حمزة كان يرى أن الأمير مجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد يصلح للإمامة من بعده [١] ، لولا مقتله في تهامة سنة ٦٠٧ هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة [٢] .

وعلى النقيض منهما ، هناك من فَضَّل الأيوبيين على الإمام ، ليس هذا فحسب بل وعمل على القضاء على الدولة المنصورية من الداخل ، والأمثلة على هؤلاء كثيرة فمنهم الشريف سليمان بن محمد بن القاضي ، من أولاد الامام الهادي إلى الحق ، الذي اشترك مع الإمام في عدة معارك ، أشهرها حرب براش بالقرب من صنعاء [٣] وكان إحسان الإمام عليه كبيراً ، ومع ذلك خالف وانضم إلى الأمير وردسار الأيوبي ألد أعداء الإمام [٤] . ومهما يكن من أمر عودته إلى الإمام مرة أخرى [٥] ، لكن ذلك لا يخفي مباينته للإمام وأمانيه في زوال دولته . بالإضافة إلى هذا الشريف تعهد الشريف علي بن يحيى بن الحسين من آل الهادي [٦] للأيوبيين بأخذ نجران وأعمالها من عمال الإمام هناك ، وضمها للدولة الأيوبية ، كما سبب للإمام مشكلات لا حصر لها ؛ اضطر معها الإمام إلى قتاله ، ولما ظفر به ، طلب العفو والذمة ، وهذا هو دأب الأشراف إذا ظفر الإمام بهم . أما أسباب هذا الخلاف فهي عديدة ولعل أبرزها :

١. إحساس هؤلاء الأشراف من آل الهادي بأن الإمامة الزيدية قد نزعت من أيديهم وانتقلت إلى الحمزيين دون رجعة ، فتمنوا فشل الإمام في إتمام دعوته وإقامة دولته ، بل إنهم فعلوا ما بوسعهم من أجل هذا الأمل ، وبذلوا كل جهد ليتمكنوا من إعادة الإمامة الزيدية إليهم مرة أخرى [٧] .
٢. عزل الإمام لبعض هؤلاء الأشراف عن الولاية ، بسبب الأخطاء التي ارتكبوها ؛ ولذلك اضمروا الخلاف ، كرد فعل على عزلهم ، فقد ذكر يحيى بن الحسين في أحداث سنة ٥٩٧هـ أن الإمام استقر في براقش ، وأنه وصل إليه جماعة من الأشراف القاسميين يشكون من ولاية ابن جعفر بن القاسم [٨] على

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ ، حاشية رقم (٢) .
[2] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٤٦ .
[3] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، حاشية رقم (٣)
[4] المصدر نفسه ، ص ٤٠٦ .
[5] المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٠٦ ـ ٨٠٧ .
[6] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .
[7] لعل ذلك يذكرنا بالصراع الذي دار بين الإمام القاسم العياني ، والداعي يوسف بن الإمام الناصر أحمد بن يحيى بن الحسين ، عندما انتقلت الإمامة الزيدية من آل الهادي إلى العيانيين ، وهو ما لم يرغب فيه الأشراف من آل الهادي .
[8] لم استدل على اسمه تحديداً في المصادر التاريخية .

بني عبد [١] وظليمة [٢] وحجور [٣] ، فعزله الإمام عنها ، فغضب وكتب إلى الشهاب الجزري وحسن له أخذ مواضع من بلاد الإمام [٤] .

وفضلاً عن ذلك هناك أمور أخرى اتخذها الأشراف سبباً في الخلاف مع أنها لا تبرره ، من ذلك ما ذكره ابن دعثم من أن الشريف حاتم بن علي القاسمي جاء إلى الإمام وهو بحوث ليقابله ، وكان الإمام مشغولاً فطلب منه الانتظار حتى ينتهي من عمله ، مما أثار سخط هذا الشريف الذي رحل عن حوث وعزم على المباينة والخلاف [٥] .

نستنتج مما سبق أن صُور مخالفة الإمام تتضح في الآتي :

١. التحالف مع الأيوبيين كما أسلفنا عند الحديث عن الشريف سليمان بن محمد بن القاضي والشريف علي بن يحيى بن الهادي وغيرهما كثير ممن لم نذكرهم ، كالشريف قاسم بن يحيى بن الحسين بن الهادي [٦] ، والشريف يحيى بن علي من آل القاسم [٧] والشريف جعفر بن القاسم [٨] .
٢. إيواء الأشراف للمفسدين في دروبهم وحمايتهم ، فصار المفسد يسرق أموال الناس وعبيدهم وأمتعتهم ، ثم يلجأ إلى هؤلاء الأشراف لحمايته من الإمام [٩] ، وهذا يُعد إخلالاً بالأمن ، وإفساداً لحياة الناس ومخالفة للدولة ، فكان الإمام يبني وهم يهدمون ، وذلك تعبير واضح وصريح عن حقدهم وكرههم للإمام ودولته .

٤ ـ العلاقة مع آل نشوان بن سعيد الحميري :

استكمالاً لأوجه العلاقات الداخلية التي ربطت الإمام عبد الله بن حمزة بمختلف الأطراف ، نتطرق إلى العلاقة التي كانت بين الإمام وآل نشوان بن سعيد الحميري ، والأصل في هذه العلاقة أن الإمام قد عهد بولاية القضاء في خولان صعدة للقاضي

---

(1) بنو عبد : بطن من عليان ، كانت مساكنهم في المراشي من برط ولهم بقية ، وبنو عبد أيضاً عزلة من ناحية عيال سريح ، والعبديون من قبائل خولان بن عمر بن الحاف في بلاد صعدة ثم من ناحية سحار . المقحفي ، معجم ، ص ٤٣٣ .

(2) ظُلَيْمة : ناحية من قضاء شهارة في الشمال الشرقي من حجة ، منها مدينة حبور ولذلك يقال لها ظليمة حبور ، وظليمة أيضاً مخلاف من بني خالد وأعمال آنس . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤٢٦ .

(3) حَجُور : بطن من همدان ، ينسب إلى حجور بن أسلم بن عليان بن عُريب بن جشم بن جُبران بن نوف بن همدان ، وحجور بلد من سراة قُدم حجة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٤٠.

(4) غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(5) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(6) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٨١ .

(7) المصدر نفسه ، ص ٥٨٣ .

(8) المصدر نفسه ، ص ٦١١ ـ ٦١٢ .

(9) المصدر نفسه ، ص ٧٧٦ .

محمد بن نشوان [١] سنة ٥٩٩ هـ وذلك بطلب منه ، ولكنه لم يستمر مدة طويلة فيها ، فعزل نفسه عنها ، وعلل ذلك بالآتي :

١. أن الإمام زاد الأعشار المفروضة على أهل الظاهر .
٢. أن الإمام ولى رجلاً باطنياً هناك .
٣. أن المساكين والفقراء ممنوعون من أموال الزكاة .

فهذه هي الأسباب التي أوردها القاضي محمد بن نشوان في رسالته التي أسماها : " رسالة الإيضاح إلى الإخوة النصاح " [٢] ، وكانت هذه الرسالة أول مواجهة معلنة بين الإمام وهذا القاضي ، الذي لم يترك مجالاً للتفاوض ، وأخذ يصعد الخلاف مع الإمام ويحرض أهل خولان عليه ، ولم يكتف بذلك ، إذ يذكر ابن دعثم [٣] أن شعراً انتشر في بلاد خولان يُسب فيه الإمام والأميران شمس الدين يحيى بن أحمد وبدر الدين محمد بن أحمد ، ثم يعقب ابن دعثم على ذلك بقوله : " وغلب الظن أنه من جهة القضاة " (يقصد القاضي محمد بن نشوان الحميري) .

ومع ذلك كان الإمام متعقلاً في خلافه مع آل نشوان ، وظلت علاقته قائمة مع القاضي علي بن نشوان [٤] ، الذي أكد للإمام مراراً وتكراراً في أشعاره ورسائله أنه مغلوب على أمره ، وأنه باق على الطاعة ، معترف بالإمامة [٥] ، بينما رد الإمام على رسالة القاضي محمد بن نشوان برسالة أسماها : " الإيضاح بعجمة الإفصاح " [٦] أوضح فيها كل ما أورده القاضي محمد في رسالته ، فبين أنه لم يزد الأعشار على أهل الظاهر إلا بعد أن امتنعوا عن القتال إلى جانبه ، وأنه لو علم فيهم الكفاية والحماية لما زاد هذه الأعشار ، وأما عن الرجل الباطني الذي ولاه هناك ، فقد تاب وأناب قبل ولايته ، والله يقبل التوبة فكيف لا يقبلها من هو دونه ، وأما عن حال المساكين والفقراء ، فتشهد حالهم ، وحال بلادهم على كذب ما يزعم [٧] . ولم يكتف الإمام بذلك ، فوجه رسالة إلى أهل خولان ، يحرضهم فيها على

---

[1] القاضي محمد بن نشوان بن سعيد الحميري ، عالم محقق في علوم العربية والفقه و الأصول ، مبرز في اللغة ، أديب وشاعر ، وله مؤلفات أشهرها ضياء العلوم ، وهو مختصر لكتاب والده المعروف بشمس العلوم ، توفي بحيران سنة ٦١٠هـ ودفن إلى جوار والده . انظر : الأكوع ، هجر ، ج ١ ، ص ٥٤٩ ــ ٥٥٢ .

[2] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

[3] المصدر نفسه ، ص ١٩٣ .

[4] القاضي علي بن نشوان الحميري ، علامة محقق من أجلاء وقته ، يقال أنه جمع سيرة حافلة عظيمة للإمام عبد الله بن حمزة ، وله شعر كثير في وصف المشاهد المنصورية والحروب الإمامية ، بينما يشكك البعض في ذلك . انظر : الأكوع ، هجر ، ج ١ ، ص٥٥٢ ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي ، " أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية " ، ص ٢٢٥ ــ ٢٣٠ .

[5] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

[6] المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ .

[7] المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

القاضي محمد ويعاتبهم على سماحهم لتلك الأشعار التي تهجو آل البيت في بلادهم ، ويذكرهم بأنهم سند دولته وعمادها [١] .

كذلك أرسل الامام رسالة إلى القاضي علي بن نشوان ، يوضح فيها موقفه من آل نشوان ، وأنه لو قبل الوشاية فيهم لأخذهم على مآخذ كثيرة منها : استحواذهم على أموال الأعشار الواجبة لدولة الإمام [٢] في بلاد خولان دون إرسالها إليه ، وقيام القاضي محمد بقتل الأبرياء في حجة دون وجه حق ، ولكنه مع ذلك لم يؤاخذهم على أفعالهم ، بل تأولها على وجه حسن رغبة منه في عدم الخلاف وتجنباً لإثارته [٣] .

لكن الخلاف حدث ، وتبادل الرسائل والاتهامات أجج الفتنة ، حتى أن الحملة الإعلانية التي قادها الإمام عبد الله بن حمزة ضد القاضي محمد بن نشوان أتت أُكلها سريعاً ، فقد قام رجل من خولان يُدعى حسن بن يحيى [٤] من قرية الهجر ، بالترصد للقاضي محمد [٥] ــ بعد أن سمع من الإمام كلاماً يفهم منه استباحة دمه وماله ــ وذلك لقتله ، ولكنه لم يستطع ذلك ، بعد أن منعه الناس من إتمام مهمته [٦] ، وبدلاً من التخلص من القاضي زاد الأمر تعقيداً وتعصبت قبائل خولان للقاضي وخاصة أنه في حماهم ، وبالمقابل لم يترك القاضي محمد هذا الموقف يمر دون أن يستغله لإثارة الناس على الإمام ، مع أن الإمام أكد للناس أنه ما أمر بقتل القاضي ، ولا دفع مالاً في سبيل ذلك [٧] ، ونحن نجزم بهذا القول ، لأن الإمام لم يتبع في أي وقت من الأوقات هذا السبيل للتخلص من خصومه [٨] .

بعد هذه الحادثة وما تلاها أراد الطرفان تهدئة الأمور كلٌ من جانبه ، إلا أن الأوضاع لم تعد كما كانت عليه من قبل الطرفين ، فظل القاضي محمد بن نشوان يمارس مهمة القضاء الشرعي في خولان دون ولاية من الإمام ، بينما غض الإمام الطرف عنه ووجه نظره لحرب الأيوبيين في الجنوب [٩] .

---

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(2) المصدر نفسه ، ص١٩٤ .

(3) المصدر نفسه والصفحة .

(4) هو رجل من زُبيد وتحديداً من خولان أهل القد اليماني بحيدان . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج٢ ، ص ٢٥٧ .

(5) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

(6) المصدر نفسه والصفحة .

(7) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ . مع أن البعض يشكك في ذلك ، ويذكر أنه تم بإيعاز من الإمام . انظر : الأكوع ، هجر ، ج ١ ، ص ٥٥١ ، حاشية رقم (١) .

(8) حتى في حادثة اغتيال الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان والذي كان من مصلحة الإمام قتله . لكننا لانميل إلى أن الإمام هو من أمر بقتله وإن رغب في ذلك ولم يعترض عليه ، انظر : ابن فند الزحيف ، مآثر الأبرار ، ج ٢ ، ص ٨٣٩ .

(9) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٢٨ .

ولا يفوتنا بهذا الصدد أن نشير إلى أمر مهم يتعلق بهذا الخلاف ، وهو رأي القضاة من آل نشوان (ولاسيما القاضي محمد بن نشوان) في مسألة الإمامة عند الزيدية ، ويتضح ذلك في رسالة الإمام إلى أهل خولان ، حين قال : " ... وأما الإمامة فقد صحت قبل حضور القضاة ، وقد دخلوا وخرجوا ، ومن انعقدت به الإمامة مستقيم ... "(١) نستنتج من ذلك أن القضاة ــ أو أحدهم ــ قد طعنوا في شرعية الإمامة الزيدية القائمة على شرط النسب كما كان يعتقد والدهم نشوان بن سعيد الحميري (٢) ، وأنها كما زعموا حق لكل مسلم تتوافر فيه مؤهلات القيام بها ، دون شرط الانتساب إلى الإمام علي بن أبي طالب حسنياً أو حسينياً ، وذلك حتى يتسنى لأحدهم أن يتولاها وألا تكون حكراً على فئة معينة ، وهذا ما لا يراه الزيدية (٣) .

ثانياً : العلاقات الخارجية :

١ ــ العلاقة مع الزيدية في بلاد الجيل والديلم وطبرستان :

على الرغم من أن الإمام عبد الله بن حمزة قد انشغل بالعلاقات الداخلية مع مختلف الأطراف ، إلا أنه لم يهمل علاقاته مع الخارج ، وخاصة الزيدية في بلاد الجيل والديلم وطبرستان التي تمتد العلاقة معها إلى العهد الأول للإمامة الزيدية في اليمن ، وتحديداً إلى عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، الذي كان يأمل في تقلد الإمامة الزيدية في تلك المناطق ، ولكنه لم ينجح (٤) .

وبعد خروج الإمام الهادي من طبرستان ، لم تنقطع العلاقة بينه وبين الطبريين الذين اقتنعوا بإمامته ، وكانوا عوناً له في إقامة دولته ، حتى أن بعض المراجع تصفهم بأنهم أكثر حماساً من اليمنيين في ترسيخ المذهب الزيدي (٥) .

أما علاقة الإمام عبد الله بن حمزة بالزيدية في تلك البلاد ، فلم تصل إلى الحد الذي وصلت إليه مع الإمام الهادي ، إذ توقف الأمر فيه على إرسال الدعاة وأخذ البيعة للإمام . وحقيقة فإن المصادر بخلت علينا بذكر معلومات مفصلة عن هذه العلاقة بما فيها المصادر الزيدية ، وبخاصة السيرة المنصورية ، التي لم تتناول في متونها أي أخبار عن هذه العلاقة

---

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٢) انظر : علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١١١ .

(٣) ربما طمع القاضي محمد بن نشوان في تولي الإمامة وخاصة بعد أن تمكن في بلاد خولان .

(٤) حسن خضيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، ص ٥٦ .

(٥) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٥٩ ؛ الشجاع ، تاريخ اليمن في الإسلام ، ص ٥٣ .

لا من قريب ولا من بعيد ، ويبدو أن هذه العلاقة موجودة في الأجزاء المفقودة من هذه السيرة وهذا على الأرجح [١] .

وعلى الرغم من هذا النقص في تفاصيل تلك العلاقة ، إلا أننا نجد إشارات وجيزة تدل على أن الإمام بعث الدعاة إلى نواحي الجيل والديلم ، وأن الزيدية في تلك المناطق بايعت الإمام ، وخطبت له في المساجد [٢] ، وجمعت له الحقوق الواجبة وأرسلتها في كثير من السنين إليه وهو في اليمن ، حتى أن المحلي يؤكد أنه لم يُعلم أنه اجتمع لأحد من الأئمة ما اجتمع للإمام المنصور من انتظام أمور اليمن والحجاز وجيلان وديلمان [٣] .

ولا شك أن في ذلك كثيراً من المبالغة ، فالأمور لم تنتظم للإمام في اليمن ، فكيف يكون الحال في تلك المناطق البعيدة ، مع أن ذلك لا يمنع من وجود بعض الجماعات في تلك النواحي التي اعتقدت إمامة الإمام عبد الله بن حمزة ، وحاولت ـ قدر ما تستطيع ـ أن تساعده بالمال ، وبمعنى آخر نستطيع القول أن الامام تمتع ببعض النفوذ الاسمي في تلك المناطق .

٢ ـ العلاقة مع الأشراف في الحجاز :

بينما لاحظنا انقسام الأشراف في اليمن حول الإمام عبد الله بن حمزة ، كان الأمر على النقيض من ذلك في الحجاز ، فقد كانوا ـ سواء في مكة أو المدينة ـ على موقف واحد من إمامته ، وإن كان بدرجات متفاوتة . ولحسن الحظ ، فقد تمكنا من الحصول على الكثير من المعطيات عن هذه العلاقة ، من ذلك على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ الحفاوة والكرم البالغان اللذان تلقاهما رسول الإمام [٤] من قبل الشريف أبي قتادة بن إدريس[٥] شريف مكة ، كذلك ما ذكره ابن دعثم من قيام الفقيه شهاب الدين أبي القاسم بن حسين بن شبيب بتولية الولاة في الحجاز عن أمر الإمام عبد الله بن حمزة [٦] ، وقيام

---

[١] لم نجد في الجزئين الثاني والثالث من السيرة المنصورية ما يدل على هذه العلاقة ، التي ربما تكون موجودة في الجزء الرابع من هذه السيرة ، ولكنه جزء مفقود إلى جانب الجزء الأول .

[٢] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٨٤ ب ، الحكمي ، تاريخ اليمن المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، تح : حسن سليمان محمود (الدكتور) ، دار الثناء للطباعة ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧ م ، ص ١٦١ .

[٣] الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٨٤ ب .

[٤] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

[٥] هو أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني ، أمير مكة ، وفي زمانه أذن المؤذنون في الحرم بحي على خير العمل . توفي في جمادى الأولى سنة ٦١٧هـ .انظر : عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ج ٢ ، تح : عبد السلام بن عباس الوجيه ، ط١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ٢٥٥ ، حاشية رقم (١) ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٥٤ ، حاشية رقم (٤) .

[٦] السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

الفقيه بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع بقبض الحقوق الواجبة [١] من قبائـــل الحجـــاز مثل : بلـــي [٢] وعـــدوان[٣] وجهينـــة [٤] ومزينـــــة [٥] وهذيـــــل [٦] وســـليم [٧] وحرب [٨] وسايل الرس [٩] وعرض السيالة [١٠] .

لقد كان للقرب الجغرافي دور كبير في هذا التواصل ، فلم تنحصر العلاقة بين الإمام والأشراف في الحجاز على النفوذ الاسمي فقط ، كما كان الحال مع الزيدية في بلاد الجيـــل والديلم وطبرستان ، ولكنه تعدى إلى إرسال الولاة وقبض الحقـــوق ، حتـــى أن الـــشريف أبا عزيز قتادة بن إدريس ، يعتذر في إحدى رسائله عن تأخره في إمـــداد الإمـــام بالخيـــل والرجال [١١] . كما يذكر ابن دعثم أن أربعة من الخيل وصلـــت إلى الإمـــام مـــع الحـــاج

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

[2] بَلِيّ : قبيلة عظيمة من قضاعة من القحطانية ، تنسب إلى بلي بن عمر بن قضاعة وتقع مساكنها بين المدينة ووادي القرى . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٤٤ ــ ٢٨٣ ؛ الحمـــوي ، معجم البلدان ، ج ٢ ،ص ٢٠٤ ؛ الوائلي ، عبد الحكيم ، موسوعة قبائل العـــرب ، ج ١ ، ط ١ ، دار أسامـــة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٤٤ .

[3] عَدْوان : بطن من بني عمر من زهران ، إحدى قبائل عسير الكبيرة وغورهم الليث ومركوب ويلملم ونجدهم عـــدوان . ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن ، الاشتقـــاق ، تح : عبد السلام محمـــد هارون ، ط ٢ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٩٩ هـــ / ١٩٧٩ م ، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٩ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصـــورية مج ١ ، ج ٢ ، ٦٢ ، حاشية رقم (٤) ؛ ؛ الوائلي ، موسوعة قبائل العرب ، ج ٣ ، ص ١٣٠٩ .

[4] جُهينة : من قبائل الحجاز العظيمة ، تمتد منازلها على الساحل من جنوبي دير بلي حتى ينبع ، وتنقسم إلى بطنين كبيريـــن : مالك وموسى ، ومن كل بطن العديد من الأفخاذ والعشائر . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٤٤ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصوريـــة ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، حاشية رقم (٥) ؛ الوائلي ، موسوعـــة قبائل العـــرب ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

[5] مُزَينة :من قبائل تهامـــة ، وتنسب إلى مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضـــر ، كانت مساكنها ما بين المدينـــة ووادي القـــرى . الهمدانـــي ، صفـــة جزيرة العـــرب ، ص ٢٤٤ ؛ ابن دعثـــم ، السيرة المنصوريـــة ، مج ١ ، ج ٢ ، ص٦٣ ، حاشية رقم (٦) .

[6] هذيل : من قبائل الحجاز ، وتنقسم إلى قسمين شمالي وجنوبي ، وتقع ديار هذيل الشمالية في أطـــراف مكة من جهـــة الشرق والجنوب ، وأما القسم الجنوبي فيدعى هذيل اليمن . ابن دعثم السيـــرة المنصوريـــة ، مـــج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، حاشيـــة رقم (٧) ؛ الوائلـــي ، موسوعـــة قبائل العـــرب ، ج ٦ ، ص ٢٥٠٦ .

[7] سليم بن منصور : قبيلة عظيمة من قبيلة قيس بن عيلان من العدنانية ، منازلهم كانت في عالية نجد بالقرب من خيبر ، وسليم بطن من زهران إحدى قبائل عسير ، وسليم عشيرة تعرف بذوي سليم من بني إبراهيم من بني مالك من جهينة إحدى قبائـــل الحجاز . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، حاشية رقـــم (٨) ؛ الوائلـــي ، موسوعـــة قبائـــل العرب ، ج ٢ ، ص ٨٣٦ .

[8] حَرْب :قبيلة أكثرها من العدنانية ، تقع أماكنها في نجد وفي الحجاز ، أما في الحجاز فتمتد ديارهـــا من جنوبـــي ينبـــع إلى القنفذة . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، حاشية رقم (١)

[9] الرَسّ : وادي بنجد والرس واد لبني منقذ بن اعيا . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مـــج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، حاشيـــة رقم (٢) .

[10] السَيالة : قرية بسفح جبل ورقان ، بينها وبين المدينة تسعة وعشرون ميلاً ، ومسجدها أحـــد ثلاثـــة مساجـــد بنيـــت علـــى عهد (ﷺ) . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، حاشية رقم (٣) .

[11] المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

الوافدين من الحجاز ، فيها حصان أرسله علي بن عطية بن يعقوب والي حلي ، ذكر أنه من الحقوق الواجبة للإمام [١] ، وهذا دليل آخر على أن الإمام كان يقبض الحقوق من الحجاز .

أما الدعاة والولاة الذين ولاهم الإمام أمر الحجاز ، فمنهم الشريف عقبة بن يحيى بن الإمام الحراني ، والشريف أبو علي يوسف بن علي بن أحمد بن القاضي ، والقاضي أبو الفضل عباس بن أحمد المغربي ، والفقيه عرفطة بن المبارك [٢] ، والشريف الحسن بن طامي الحراني [٣] ، كما يذكر ابن دعثم أن سفيراً من قبل أبي راشد حنظلة بن قتادة بن إدريس ، يُقال له الريحاني ، قدم إلى الإمام وهو في حوث حاملاً إليه عرضاً من الشريف حنظلة ، ينص على قدوم الأشراف من بني حسن [٤] من الحجاز إلى اليمن للجهاد معه ، مقابل تمكينه من الإمارة على بعض مناطق اليمن ، وقد حددها بأسمائها وهو ما وافق عليه الإمام عبد الله بن حمزة [٥] .

ومهما يكن أمر هذه العلاقة فأساسها قائم على تبادل المصالح بين الطرفين ، والوقوف صفاً واحداً ضد عدوين مشتركين ؛ ألا وهما : الخلافة العباسية في بغداد ، التي كانت راغبة في استعادة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة من أيدي الأشراف (بني الحسن) ، فضلاً عن بغضها للإمام ، والدولة الأيوبية في مصر العازمة على القضاء على الدولة الزيدية في اليمن ، وضم الحجاز إلى كنفها ؛ وذلك لما يتمتع به من مكانة دينية وروحية بالنسبة للمسلمين في كل مكان . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يرتبط الأشراف في اليمن والأشراف في الحجاز باعتقاد مذهبي واحد حصر الإمامة في آل بيت الرسول (ﷺ) من نسل علي بن أبي طالب (ﷺ) ، وهو ما يتعارض مع المذهب السني ، الذي تدين به كلٌ من الخلافة العباسية في بغداد ، والدولة الأيوبية في مصر واليمن .

---

(١) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .وحلي : يعرف بحلي بن يعقوب ، وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر في آخر حدود تهامة باليمن . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ــ ٢٨١ ؛ الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .

(٤) بنو حسن هم أشراف مكة ، ويقال لهم أيضاً القتادات نسبة إلى قتادة بن إدريس ويتصل نسبهم بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كما يتواجدون في اليمن وتحديداً في المخلاف السليماني ، ويعرفوا بالسليمانيين ، الذين يلتقون مع القتاديين في النسب عند موسى بن عبد الله ... بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١١١ ــ ١١٥ .

(٥) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

٣ ـ العلاقة مع الخلافة العباسية في بغداد :

كانت العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والخلافة العباسية في بغداد لا تكاد تذكر، والتطرق لمثل هذه العلاقة لا بد أن يعيدنا إلى العلاقة التاريخية بين الأئمة الزيدية في اليمن منذ قيام دولتهم على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، والخلافة العباسية . فمعلوم أن أساس الدعوة والإمامة الزيدية إنما يقوم على الخروج على أئمة الجور ، لإعادة الحق المغتصب ــ كما يعتقدون ــ ولهذا لم يجد العلويون سبيلاً إلى تحقيق هدفهم هذا إلا القيام بالثورات المتكررة ، وقد كان حال الإمام عبد الله بن حمزة في هذا الشان كحال هؤلاء ، فقد ورث ذلك عن أجداده الذين تعاقبوا على الإمامة الزيدية ، ولم يستطع أياً منهم أن يمد نفوذه إلى خارج اليمن ، وهذا يدل على البون الشاسع بين حلمهم في إعادة الخلافة الإسلامية إليهم ، وعجزهم عن تحقيق الجزء اليسير من هذا الحلم . ومع ذلك حافظ الأئمة الزيدية على هذا الهدف ، لأنه يضفي عليهم صبغة شرعية لإقامة دعوتهم .

وقد احتفظت لنا المصادر التاريخية ببعض الأخبار عن هذه العلاقة ومنها تلك الأبيات الشعرية التي نظمها الإمام مخاطباً أهل بغداد والخليفة العباسي ــ آنذاك ــ الناصر أحمد بن المستظهر والتي يقول في مطلعها :

يا أهلَ بغدادَ إن اللهَ سائلُكُم — عَن ملَّةِ الدينِ إذ غَيرتُمُو فيها
أنتُم عُيونُ بَنِي الأيامِ قاطِبةً — في النَّائِباتِ ، ولَكنَّ القَذا فيها (١)

ويتضح من هذه القصيدة أن الإمام شعر بعجزه عن استعادة الخلافة الإسلامية من بني العباس بقوة السيف ، فاستخدم بلاغته وإتقانه الشعر للتأثير في نفوس أهل بغداد (والذي ربما توهم أنهم قد يخلعون الخليفة العباسي ، ويرسلون إليه كتب الولاء) . ومهما قيل عن هذه القصيدة وجمالها ، إلا أن ذلك لا يجعلنا نبالغ في تأثيرها كما حاولت المؤلفات الزيدية إبراز ذلك ، فقد ذكر المؤيدي (٢) : أنه لما وصلت قصيدة الإمام إلى بغداد أمر الخليفة العباسي بإغلاق أبوابها ثلاثة أيام لانخلاع قلبه من الفزع ، وفي ذلك نظر ، فالخليفة العباسي كان على علم بحال الإمام وقوته في اليمن ، وهذا ما يؤكده ابن حاتم (٣)

---

(١) وردت هذه القصيدة كاملة عند : المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٨٧ ب ــ ٨٨ أ ؛ الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

(٢) التحف شرح الزلف ، ص ٢٤٨ .

(٣) السمط الغالي الثمن ، ص٧٦ . ويعقب على ذلك أيضاً بقوله : "فكان مما قوى عزم هلدري على الخلاف ، فصار كلما

عندما يذكر أن طاشتكين ـ وهو من أمراء الخليفة العباسي ـ أرسل إلى المبارز هلدري [١] بكتاب يعده فيه بتمليكه اليمن ، باسم الخلافة العباسية ، بشرط الخلاف على الإمام والإفساد عليه .

وفضلاً عن ذلك ، فقد وردت معلومات أخرى عن هذه العلاقة في بعض المصادر التاريخية ، من ذلك : أن الخليفة العباسي أرسل فرقة من الحشيشية [٢] مكونة من أربعة رجال ، منهم رجلان لقتل الشريف أبي عزيز قتادة بن إدريس شريف مكة ، ورجلان آخران لقتل الإمام عبد الله بن حمزة ، وأن الإمام لما بلغه الخبر من أحد أتباعه ، أخذ يتحرز ويقبض على كل من يقدم مع الحاج إلى صعدة ، ولا سيما من هم على هيئة غريبة تثير الريبة أو من هم من العجم الذي لا يتكلمون العربية ؛ ليتأكد من أمرهم ، فإذا لم يظهر له شيء ، أمرهم بالرحيل إلى تهامة ، وحذرهم من البقاء في صعدة [٣] .

ونحن لا نستطيع الجزم بمثل هذه الأخبار ؛ لأن الإمام لم يكن يمثل تهديداً حقيقياً للخلافة العباسية ، ولكن هذا لا يعفينا من التحقق منها ، وخاصة أن ذلك يذكرنا بما فعله الخليفة العباسي الهادي بن المهدي ، عندما أرسل من يقتل إدريس بن عبد الله النفس الزكية، بدس السم له في المسواك [٤] ، وذلك لأنه استطاع تأسيس دولة علوية في أقصى المغرب الإسلامي ، مع أنه لم يمثل تهديداً حقيقياً لدولة الخلافة في ذلك الحين . وبناءً عليه لا نستبعد أن يقوم الخليفة العباسي الناصر أحمد بالفعل نفسه إذا سنحت له الفرصة للقيام بذلك [٥] .

٤ ـ العلاقة مع الكرد والترك في بلاد الشام :

من الإشارات التاريخية في موضوع العلاقات الخارجية للإمام عبد الله بن حمزة ، ما ذكره ابن دعثم [٦] : أن الإمام وصله رسول يقال له يعقوب بن الوالي وهو شريف

استدعاه الإمام تثاقل عن المجيء إليه وأبدى الاعتذار " .

(١) هو أحد الأمراء الأيوبيين في اليمن وكان آنذاك مخالفاً لهم ومتحالفاً مع الإمام .

(٢) الحشيشية : قوم يرمون أنفسهم على الملوك فيقتلونهم ويُقتلون ، ويرون ذلك من الدين . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٥) سبق وأن أوضحنا أن الخلافة العباسية كانت على اتصال مع الأمراء الأيوبيين في اليمن ، وكانت تعدهم بتمليكهم اليمن باسم الخلافة ، وهذا لن يتسن إلا بمقتل الإمام عبد الله بن حمزة وسقوط الدولة الزيدية التي أحياها .

(٦) السيرة المنصورية ، مج٢ ، ج٣ ، ص ٥٣٣ . ثم يضيف أن سبب هذه المراسلة هو ما ظهر من الأيوبيين القادمين من اليمن إلى تلك المناطق ، من المدح والثناء الجميل على الإمام والأخلاق الحميدة التي اتصف بها ، بالإضافة إلى كرم الضيافة وحسن المعاملة والاستقبال ، والتي استطاع الإمام من خلالها التأثير على كثير من الأمراء الأيوبيين وأبرزهم : الأمير حكو ، والشهاب الجزري ، ومحمد بن كز البرقشي ، وغيرهم من الذين كانوا عماد دولة الإمام ورموز قوته في تلك المرحلة .

حسني قدم من قلعة أعزار [٧] وأعمال حلب ، سفيراً من قبل السلطان نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكذلك من ميمون القصري ، والأخير رجل من كبار الترك ، وقد ضمت هاتان الرسالتان الرغبة الأكيدة في مراسلة الإمام ، والتواصل معه والجهاد بين يديه ــ كما زعما ــ بالخيل والعدة والمال ، على أن يجعل لهما الولاية على مدن مذكورة من أرض اليمن ، وهو ما وافق عليه الإمام في معرض رده على هاتين الرسالتين .

ولعل أبرز ما يلفت النظر في هذا الرد ، ما اشترطه الإمام في العسكر القادمين لنصرته والجهاد بين يديه وذلك أن يكونوا من أهل العفاف عن المعاصي ، والورع عن المسكرات [١] . فهذه الصفات ــ كما يعتقد ــ هي من أسباب النصر ، وهي نفسها جوهر الخلاف بينه وبين الأيوبيين في اليمن ، ويختم الإمام رسالته ، بوصفه انتظاره لهم كأنه انتظار الحبيب الغائب أو الشقيق الآيب [٢] ، وهو انتظار طالما تأخر فلم يأتِ الحبيب ، ولا عاد الشقيق ، لأننا ــ من خلال بحثنا ــ لم نستدل على ما يؤكد قدوم هؤلاء إلى اليمن أو توليتهم على بعض مناطقها .

---

[٧] أعزار : بُليدة فيها قلعة شمالي حلب . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١١٨ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ ، حاشية رقم (٣) .

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٣٥ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٣٦ .

الفصل الرابع

المظاهر الحضارية في عهد الإمام المنصور بالله

عبد الله بن حمزة .

أولاً : المظاهر السياسية والإدارية :

١ــ الولاية :

إن من أهم الدوافع التي تجعلنا نطلق كلمة " دولة " على الرقعة الجغرافية التي كان يسيطر عليها الإمام عبد الله بن حمزة ، ومن قبله بعض الأئمة الزيدية ، هي تلك المظاهر السياسية والإدارية والإقتصادية التي تمتعت بها تلك الرقعة ، على الرغم من بساطتها بالنسبة لتلك الحقبة من التاريخ ، ففي حين أصبحنا اليوم ننادي بالبعد عن المركزية في السلطة ، وإعطاء صلاحيات واسعة للمناطق والأقاليم ، كان ذلك متعارفاً عليه منذ صدر الإسلام ، وما تلا ذلك من قيام دول إسلامية منفصلة عن الخلافة العباسية في بغداد ، بما في ذلك الدولة الزيدية في اليمن ، لا سيما دولة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، ودولة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، الذي سار على النهج الذي سلكه ــ قبله ــ آبائه وأجداده في إدارة شؤون الدولة الزيدية في اليمن ؛ إذ قسم البلاد الخاضعة له إلى عدة أقاليم (وحدات إدارية كبيرة) ، يتولى هو بنفسه تعيين الولاة عليها ، و تكون في معظم الأحيان من نصيب إخوته ، و أقاربه ، ومن يثق فيهم ؛ نظراً لحساسية مثل هذه المناصب ، التي تعد أساس الدولة وحجر الزاوية بالنسبة لها ، ثم يقوم ولاة الأقاليم بتعيين من يرونه مناسباً على الحصون والهجر والدروب والبلدان الصغيرة (وحدات إدارية صغيرة) . وقد وثق الإمام مثل هذا الإجراء بقوله : " ويجوز للوالي أن يولي غيره فيما هو ولي فيه على سبيل التفصيل دون الجملة ، لأن ولايته تتيح لـه ذلك إذ لا يمكنه استيعاب أعمال الولاية بنفسه " [١] . وعادة ما يحظى بهذه المناصب شيوخ القبائل والأعيان في تلك البلاد ؛ لما يتمتعون به من نفوذ وقوة تأثير على الناس في مناطقهم . ومع ما أسلفنا ، يحتفظ الإمام لنفسه بالسلطة المطلقة ، التي تمكنه من فرض ما يراه مناسباً في أنحاء البلاد التي يسيطر عليها ، أو أن يعزل من لا يراه أهلاً للولاية ــ إن اقتضت المصلحة ذلك ــ دون أن يترك الأمر مطلقاً للوالي ، لكن ذلك لا يعني التدخل المستمر في شؤون الوالي وتخصصاته ، بقدر ما يعكس حرص الإمام وإشرافه المباشر على شؤون دولته وأحوالها .

وعموماً يمكننا توضيح ذلك ، بذكر عدد من الولاة الذين اعتمد عليهم الإمام في إدارة شؤون دولته ، وعلى رأس هؤلاء إخوته ، الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة الذي كانت له ولاية الجوف ، والتي تعد من الأقاليم الرئيسة في دولة الإمام ، وبعد مقتله في معركة وادي لصف ، خلفه عليها أخوه أسد الدين الحسن بن حمزة الذي رغب عن الولاية ، فتنازل عنها ليحل محله الأمير علم الدين سليمان بن موسى ، والذي ظل فيها حتى وفاة الإمام . أما الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة ، فكانت لـه الولاية على ظاهر بني صريم إلى بلاد

---

[١] المهذب ، ص ٤٥٩ .

الطرف [١] ، والولاية على حصن ظفار ، وقد كان لهذا الأمير الدور الأكبر في إرساء دعائم الدولة المنصورية وتوسعها ، وكانت له صلاحيات واسعة جداً مكنته من القيام بدور الإمام في أحيان كثيرة ــ إذا لزم الأمر ذلك ــ لكن ذلك لم يعفه من العقوبة والعزل إذا قصر في أداء واجباته ، كما كان الأمر عندما عزله الإمام عن ولاية حصن ظفار بعد أن تثاقل عن تجهيز الحصن ، وعين خلفاً له الشيخ دحروج بن مقبل ، الذي قام بالمهمة على أكمل وجه .

إلى جانب إخوة الإمام اعتمد الإمام على أولاد إخوته ، وأبرزهم : الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم ، الذي ولاه الإمام مغارب حوث من شعب عذر إلى بلاد الأهنوم [٢] ، وظليمة وحجور وما يتصل بها إلى حيث تمتد يده [٣] ، وهذا يلفت انتباهنا إلى أن الولاية على الأقاليم والمناطق الكبيرة ، كانت تتسع أو تنحصر حسب قدرة وكفاءة الوالي في إدارة الإقليم ، فإذا نجح في ذلك استطاع ــ سلماً أو حرباً ــ ضم العديد من المناطق والقرى والدروب المحيطة بالإقليم إلى ولايته ، وإذا كان على العكس من ذلك ، ظلت مناطق ولايته عرضة للتمرد والخروج عن الطاعة والانضمام إلى الدولة الأيوبية .

ولعل أبرز من استعان الإمام بهم في إدارة الحكم والسياسة إلى جانب أقاربه ، الأميران شمس الدين يحيى بن أحمد ، وبدر الدين محمد بن أحمد . فأما الأمير شمس الدين فقد ولاه الإمام شام خولان وبني جماعة [٤] والأهنوم ، بينما كانت بلاد نجران من نصيب الأمير بدر الدين .

وعدا هؤلاء تحفل السيرة المنصورية بعدد كبير من الولاة الذين تم تعيينهم من قبل الإمام مباشرة أو من قبل حكام الأقاليم ؛ البعض منهم ظل على ولايته ، والبعض الآخر عُزل عنها لأسباب عديدة أهمها :

١. إهمال الوالي وتقصيره في أداء المهام الموكلة إليه من قِبل الإمام [٥] .
٢. التهاون في تحصيل الأموال المستحقة للدولة ، أو الأخذ منها بغير إذن الإمام [١] .

---

(1) الطَرَف : عزلتان من ناحية بيت الفقيه : الطرف اليماني والطرف الشامي وجهة الطرف من ناحية صعفان من بلاد حراز وجبل الطرف من جبال بني جبر الطيال ، وعزلة جبل الطرف من أعمال المحويت .الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٥٨ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٤١١ ــ ٤١٢ .

(2) الاهنوم : بطن من همدان من ولد الاهنوم بن شاحذ ــ وعند الحجري بن الحارث ــ بن حنيق بن عبد الله بن قادم بن زيد بن عُريب بن جشم بن حاشد وديارها في الشمال من حجة في نواحي شهارة ، وظليمة حبور والمدان والعصيمات وعذر . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٩٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٦٠ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٢٥ .

(4) بنو جُماعة : بطن من خولان بن عمرو بن الحاف ، لهم بلاد واسعة من أعمال صعدة تعرف ببلاد بني جماعة ، وبنو جماعة أيضاً من قبائل مغرب عنس وأعمال ذمار ، وبنو جماعة عزلة من ناحية القفر وأعمال يريم ، والأولى هي المقصودة من الرواية . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٩١ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٨٨ .

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

٣. سوء السيرة والجور على الرعية [٢] .
٤. رغبة الوالي نفسه في التنحي عن الولاية طواعية [٣] .

خلاصة القول أنه لم يخل حصن أو درب أو هجرة أو قرية أو قبيلة في دولة الإمام من وال يقوم بأمرها ، فإلى جانب الجوف ونجران والظاهر وشام خولان ومغارب حـوث ، كانت الولاية في صعدة للشيخ أحمد بن حجلان الذي عزله الإمام عن ولايتها وولاها الأمير مجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد [٤] ، لكن والده الأمير بدر الدين عزلـه عنهـا وعهـد بالولاية إلى الشيخ صالح بن سليمان [٥] . وهنا نلحظ مقدار السلطة التي تمتع بها الأميران شمس الدين وبدر الدين في عزل وتعيين الولاة ، فقد كانت لهما بعض الامتيازات في هـذا المجال ولاسيما في المناطق القريبة من ولايتيهما ، إلا أننا نعتقد إن ذلك عـادة مـايتم بعـد مشاورة الإمام في الأمر ، وأن دورهما يقتصر على تحديد وترشيح من يرونه مناسباً لـشغل منصب الولاية ، هذا إذا كانت الولاية على منطقة كبيرة مثل صعدة وغيرها . أما إذا تعلـق الأمر بدرب من الدروب ، أو ما شابه ذلك فإن الإمام يترك هذا الأمر لمن يثق فيهم .

وأما صنعاء وذمار ــ ونظراً لتركيز الأيوبيين عليهما ، واعتبارهمـا مـن منـاطق نفوذهم ــ فقد كانت الولاية فيها متقطعـة حسب الأحوال السياسية التي تمـر بهـا الدولـة الأيوبية . فهاتان المنطقتان لم تخضعا لسلطة الإمام إلا في مرحلة متأخرة من تاريخ دولته ، وقبل ذلك لم يكن الأمر يستقر للإمام فيهما ؛ نتيجة لإصرار الأيوبيين على الاحتفاظ بهمـا ، فلما ضعفت الدولة الأيوبية وانتظم الأمر للإمام عليهما ، وكّل الولاية على صنعاء للـشريف محمد بن علي بن موسى العلوي العباسي [٦] ، الذي ظل فيها حتى تم إخراجه منها من قبل الأيوبيين ، وأما ذمار فقد كانت الولاية فيها للشريف علي بن موسى العلوي العباسـي [٧] ، ثم انتقلت إلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى [٨] ، الذي كان يتمتع بمكانة مرموقة لدى الإمام ، جعلته يجمـع لـه ولايتي الجوف وذمار معاً .

أما الوحدات الصغيرة ، فهي الأخرى لم تخلُ من الولاة ، أو مـن يقـوم مقـامهم ، حيث كان في كل حصن والٍ يقوم بأمره ويحافظ عليه من الأعداء ، وكثيراً ما ظلـت هـذه

---

[2] يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .
[3] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٧٨ .
[4] المصدر نفسه والصفحة . كان الإمام يرى أنه يصلح للإمامة لما بلغه من العلم ، لكنه توفي في شهر صفر من سنة ٦٠٧هـ وعمره ثمان وعشرون سنة وقبره في الخموس من بلاد عذر . انظر : ابن دعثم ، السيـرة المنصوريـة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ ، حاشية رقم (٢)
[5] المصدر نفسه ، ص ٧٨٠ .
[6] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٥٥ .
[7] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
[8] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٥٦ .

الحصون بيد أصحابها بمجرد أن يعلنوا ولائهم للإمام ، و إخلاصهم له ، ولعل أبرز مثال على ذلك ، حصن ذمرمر ، الذي ظل بيد بني حاتم مقابل نصرتهم للإمام . أما باقي الحصون التي تفتح قسراً ، فيقوم ولاة الإمام بتعيين من يقوم بأمرها ، مثل حصن الحقل ، الذي كانت الولاية فيه للشيخ ركن الدين يحيى بن جعفر بن أحمد (١) ، وحصن سيد (٢) ، الذي تولاه رجل من بني حبيش ، اسمه فليتة بن أحمد الطريد ، وحصن العادي (٣) الذي تولاه الشريف حمزة بن حمزة بن الناصر الحمزي (٤) .

وغنيٌ عن القول هنا ، أن الولاية على الحصن لا تعني قط الرقعة الجغرافية المقام عليها الحصن ، بل تعني أيضاً الحدود الجغرافية المحاذية له من جميع الاتجاهات وإنما حددت الولاية باسمه على اعتباره نقطة الدفاع عن هذه المساحة ، ورمز صمودها والعامل العسكري الأول في بقائها بيد طرف دون آخر . كما لابد من الإشارة إلى أن الحصون المهمة إستراتيجياً وعسكرياً ظلت بيد الأشخاص المقربين من الإمام ، والذين يثق فيهم ؛ وذلك حتى لا يتم تسليمها لأعداء الإمام من الأيوبيين ، طمعاً في مال أو رغبة في السلامة . وقد سبق أن أوضحنا أن حصن ظفار ، كان تحت ولاية الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة قبل أن يُعزل عنه (٥) ، كما جمع الإمام له الولاية على حصن كوكبان وبكر (٦) والظفر ، فكان كثير التنقل بين هذه الحصون ؛ نظراً لأهميتها العسكرية بالنسبة للمناطق المجاورة لها ، وخوفاً عليها من الأيوبيين الذين طالما حاولوا استعادتها من الإمام والسيطرة عليها .

وفي السياق نفسه اتبع الإمام عبد الله بن حمزة سياسة الترغيب في اختيار الولاة ، فجعل كبير القوم والياً عليهم ، ليس عن اقتناع منه بذلك ، ولكن لاستمالتهم إلى صفه ، والأمثلة على ما ذكرنا كثيرة ؛ فقد ولى الإمام السلطان بشر بن حاتم على حضور (٧) وأعمالها والجحادب (١) والأغمور (٢) وما يتصل بها من كرار (٣) وحراز (٤)

---

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٧٧ ــ ٩٧٨ .

(2) سيد : قرية وجبل من عزلة بني منصور ، ناحية السودة على مسافة (أربعة كيلومترات) جنوب السودة ، محافظة صنعاء . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٨٢ ، حاشية رقم (١) .

(3) العادي : قرية من عزلة بلاد جنب العمري ناحية السودة ، محافظة عمران . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، حاشية رقم (٣) .

(4) المصدر نفسه والصفحة .

(5) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٨٨ .

(6) المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣ ، ٤٣٦ .

(7) حَضُوْر : جبل شامخ غربي صنعاء بمسافة (١٨ كيلومتراً) ينسب إلى حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سُدد بن زرعة بن حمير بن سبأ الأصغر . وهو أعلى جبل في اليمن ، ويدعى أيضاً جبل النبي شعيب لوجود مسجد وقبر النبي شعيب عليه السلام . السويدي ، أبو الفوز محمد أمين البغدادي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩ م ، ص ٦٥ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

(1) الجَحَادِب : وطن وقبيل من عزلة شهاب الأسفل ناحية بني مطر وينسب إلى جحدب بن ذي يزي . المقحفي ، معجم ،

وما يواليهما ، وهو يعلم ما يضمــره لـــه هــذا السلطان من بغض وكره ، كما عين الأمير المؤيد بن قاسم على حرض (٥) ، رغم معارضة الكثيرون لـــه ؛ وذلك لعلمـــه أن أحــداً لا يسد مكانه ، وكذلك فعل مع زعماء المطرفية في بادئ الأمر ، إذ ولى السلطان محمـــد بـــن إسماعيل البلاد المتصلة بوقش (٦) من البرويات (٧) وبلاد بني مطر وبني شهاب ، وولـــى الشيخ ناصر بن علي العرشي مشارق بلاد خولان وما يتصل بها ، وولى محمد بـــن أحمـــد مداعس الجنبي بلاد بني حبيب (٨) ، وولى الأمير أبا الفتح بن محمد العباســي مقـــري (٩) والهان وبلاد بكيل وما يتصل بها ، وهو محيط بحال هؤلاء وعالمٌ بكذب زعمهم ، ويبدو أنه فعل ذلك نظراً لمكانتهم في بلدانهم ، وما يتمتعوا به من نفوذ ، لكن ذلك لم يستمر طـــويلاً ، فما لبث هؤلاء وغيرهم من شيوخ القبائل أن ارتموا في أحضان الأيوبيين ، رغبة فيما عندهم وبغضاً للإمام ودولته .

وعلى الطرف الآخر كان مع الإمام مجموعة كبيرة من الولاة الذين أخلصـــوا لـــــه ونفذوا أوامره في تلك البلاد التي تولوها ، منهم : الشريف أحمـــد بن محمد السراجي (١٠) ،

ص ١٢٥

(2) الأغْمور :عزلة بناحية مناخة وأعمال حراز ، محافظة صنعاء . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مـــج ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨ ، حاشية رقم (٤) .

(3) كَرَار : في بلاد حراز ، وتمثل أحد أسباع مخلاف حراز وهوزن . الهمداني ، صفة جزيـــرة العـــرب ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨ ، حاشية رقم (٥)

(4) حَرَازٌ : لحدى نواحي محافظة صنعاء إلى الغر ب منها بمسافة (٨١ كيلومتراً) ، كانت وما تزال مركز الباطنية في اليمن ، وهي تنسب إلى حراز بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد ... بن حمير بن سبا . الحجري ، مجمـــوع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٧٧ ــ ١٧٨ .

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

(6) وَقَش : قرية عامرة من مخلاف (بني قيس) ، من أعمال بني مطر (بلاد البستان) ، ثم من أعمال صنعاء ، تقـــع علـــى السفح الشمالي لجبل عرب ، كانت هجرة مشهورة زاخرة بالعلماء مقصودة لطلب العلم ، قبل أن يدمرها الإمام عبد الله بـــن حمزة لأنها من هجر الفرقة المطرفية التي كانت تناصبه العداء . انظر : الأكوع ، هجـــر ، ج ٤ ، ص ٢٣٤٣ ــ ٢٣٤٧ .

(7) البَرَوِيَة : تمثل هي وبني مطر وبلاد بني شهاب الجهات التي تتكون منها ناحية البستان سابقاً ، وتعرف حالياً بناحيـــة بنـــي مطر ، غربي صنعاء . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨ ، حاشية رقم (٧) ؛ المقحفـــي ، معجـــم ص ٨٠ .

(8) حبيب : من قبائل اليمن التي كانت تقطن شبام عند ذمرمر ، وبنو حبيب من قبائل ربيعة .ابن دعثم ، السيـــرة المنصوريـــة ، مج١ ، ج ٢ ، ص١٢٧ ، حاشية رقم (٤) ؛ الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٣ .

(9) مُقْرَي : هو الاسم القديم لما يدعى اليوم مخلاف المنار من آنس ومغرب عنس من بلاد ذمار . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧١٧ ، حاشية رقم (٢) ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٦٥٢ .

(10) يُنسب الشرفـــاء السراجيين إلى سراج بن الحسن ... بن الحسن بن علـــي بن أبي طالب ، وسمـــي سراجـــاً لحسن وجهـــه ونظارته ، وقيل سمي سراجاً لأن أباه رأى في المنام من يقول له سمي هذا الولد سراج الديـــن .الملك الأشـــرف ، طرفـــة الأصحـــاب ، ص١١٠ ــ ١١١ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، حاشية رقم (٥) .

والي بلاد المعدن [١] وخولان الشرق وحريب [٢] والأعبل [٣] وحبـــاب [٤]، والقاضـــي إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسد والي شظب ، والشيخ علي بن سليمان الحرازي السهلي والي بلاد الطرف وبني شاور ، كذلك الشيخ عيسى بن ذعفان والي شوابة، والشريف علـــي بـــن يحيى الأشل الذي تولى بلاد وائلة ودهمة ، أيضاً الشريف محسن بن الحسن القاسمي والـــي الظاهر الأعلى وبني صريم ، ومنهم الشيخ سليمان بن ناصر الدين السحامي الـــذي كانـــت الولاية لـــه علـــى بلاد مذحج [٥] ، والشريف أبو هاشم بن محمد والي ذيبان [٦] في بلاد أرحب ، ثم خلفه عليها ابن أخيه القاسم بن إبراهيم بن محمد ، ومنهم أيضاً الشريف حاتم بن علي بن القاسم الذي ولاه الإمام بلاد سفيان [٧] ، والشيخ جبير بن ســـالم المعظمـــي كبيـــر تنعم ، والسلطان محمد بن مؤمل المكرماني [٨] الذي كان على بيحان [٩] ، ثم خلفه بدر بن عامر من آل مؤمل وغيرهم ممن يصعب حصرهم إذا أخذنا بعين الاعتبار المناطق الشاسعة في الجوف وصعدة والمناطق الشمالية الأخرى حيث كانت السلطة الفعلية للإمام .

وجدير بالذكر ، أن نظام الإنابة ، كان موجوداً في دولة الإمام ، وهذا يعلل لنا تولي الشخص الواحد الولاية على أكثر من منطقة ، والتي تكون في العادة متباعـــدة المـــسافات ، فكان لابد من وجود هذا النظام لتسير الأمور في تلك النواحي بالشكل المطلوب ، ودون أدنى ارتباك ، إلى أن يعود الوالي إلى منطقة ولايته ، فتسقط الإنابة بمجرد وصوله . وبمعنى آخر يكون نظام الإنابة قصير الأجل ، ولا يستخدم إلا عند الحاجة الملحة إليه ، فينتهي بانتهاء هذه

---

(1) المعدن : سميت بذلك لاستخراج معدن الفضة منها وهي بوادي الرضراض ، وكانت حداً بين نهم من همدان ومرهبـــة ومراد وبلحارث وخولان العالية . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٥٤ ؛ ابن دعثـــم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٥٦ ــ ٧٥٧ ، حاشية رقم (٥) .

(2) حَرِيب : قرية وناحية بمحافظة مأرب . ابن دعثم ، السيـــرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ ، حاشيـــة رقم (٣) ؛ المقحفي ، معجم ، ص ١٨٢ .

(3) الأعبُل : قرية من عزلة صرواح ، ناحية صرواح محافظة مـــأرب .ابن ، دعثـــم السيـــرة المنصوريـــة ، مـــج ١ ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، حاشية رقم (١) .

(4) حُبَاب : عزلة بناحية صرواح بمحافظة مأرب . ابن ، دعثم السيرة المنصورية ، مج١ ، ج٢ ، ص ١٣٨ ، حاشية رقم (٢) .

(5) مَذْحج : قبيلة تنسب إلى عريب بن زيد بن كهلان . ابن حزم ، أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيـــد ، جمهـــرة أنســـاب العرب ، راجع النسخة : لجنة من العلماء بإشراف الناشـــر محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميـــة ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ٣٩٧ ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثـــة ، ج ٣ ، ط ٧ ، مؤسســـة الرسالـــة ، بيـــروت ، ١٤١٤ هـــ / ١٩٩٤ م ، ص ١٠٦٢ .

(6) ذَيْبان : قبيلة معروفة في بلاد أرحب ، وذيبان أيضاً قرية في حوث من عزلة ذو عيـــد . المقحفـــي ، معجـــم ، ص ٢٦٢ .

(7) بلاد سفيان : ناحية من بكيل بمحافظة عمران . المقحفي ، معجم ، ص ١٨٠ .

(8) آل مكرمان :هم رؤساء مراد بيحان . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٣ ؛ ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، حاشية رقم (٣) .

(9) بيحَان : عزلة واسعة من ناحية مسورة محافظة البيضاء ، وبيحان أيضاً مديريـــة في محافظـــة شبوة . ابن دعثم ، السيـــرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ، حاشية رقم (٥) ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٩٧ .

الحاجة ، وقد لخص لنا الإمام عبد الله بن حمزة مثل هذا النظام بكلمات يسيرة عندما قال في باب الولاة [١] : " ... وليستخلف من يقوم مقامه ... " [٢] أي من ينوبه في عمله إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك .

أما مهام الولاة [٣] ، فهي كثيرة ، ولكن أبرزها :

١. أخذ البيعة للإمام من أعيان ووجهاء البلاد التي هو واليها .
٢. تجهيز المقاتلين من البلاد نفسها للقتال مع الإمام ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك .
٣. بناء المساجد ، وتمهيد الطرق ، والمحافظة على الأمن ، والمصالح العامة للناس في المنطقة التي هو يتولاها .
٤. تنفيذ الأوامر الإمامية ، في حال وصلت إليه .
٥. إذا كانت منطقة الولاية صغيرة تضاف الى مهام الوالي أمور القضاء و الحسبة و جمع الأموال الواجبة والتدريس ، إلى جانب الولاية العامة ، إذا ما رأى الإمام فيه القدرة على ذلك والإخلاص ، وإلا عين من يساعده في كل مجال من المجالات المذكورة [٤] .

٢ ــ القضاء :

للقضاء أهمية في تاريخ الدول والشعوب ، وفي بقاء هذه الدول وازدهارها أو انقضائها ، ومن المُسلم به أن العدل من الدعائم المهمة التي تقوم عليها الدول ، فإن كان الأساس متيناً ، استمر البناء بنجاح ، وإذا كان العكس ، فسرعان ما ينقض البناء على صاحبه ، ويبدو أن الإمام عبد الله بن حمزة ، كان مدركاً لهذه الحقيقة ؛ فعمل بمقتضاها ، وحاول جاهداً أن يكون العدل سنته في دولته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فعمل على اختيار من يراه مناسباً للقضاء ، ومن تتوافر فيه الصفات التي تؤهله لذلك المنصب ؛ حتى يحسن الأداء والعمل ، فتستقر له الأمور في كل المناطق التي يسيطر عليها .

والمتتبع للنظام الإداري الذي اتبعه الإمام في دولته ، يلحظ بوضوح دقة هذا التنظيم ، فالإمام لم يكتف بتعيين محتسب لكل منطقة ، وقد كان في حقيقة الأمر قاضياً ميدانياً

---

[1] للإمام عبد الله بن حمزة باب في كتابه المهذب عنوانه : " باب الولاة ومن تجوز توليته ومن لا تجوز ومالهم فعله وليس لهم فعله "فيه العديد من النصائح والتوجيهات لهؤلاء الولاة . انظر : المهذب ، ص ٤٥٧ ــ ٤٦٢ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٤٥٨ .

[3] الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد ، النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة ، ط١، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٤٦ ــ ٥٠ .

[4] سنشير إلى مثل هذا الأمر عندما نتحدث عن بقية المظاهر السياسية والحضارية في دولة الإمام .

ـــ إن جاز التعبير ـــ ينفذ ما يراه مناسباً وصحيحاً في أسرع وقت ممكن ، فينصر المظلوم ، ويأخذ بيد الظالم ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر [١] ، بل عين إلى جانبــه قاضــياً يلتجئ إليه الخصوم في فض منازعاتهم ، ولا سيما في القضايا الكبيرة كالقتل ، والــسرقة ، واغتصاب الأرض ، والنزاعات على الأملاك وغير ذلك ، مما يتطلب الأمر فيهــا شــخص مختص ملم بالأحكام الشرعية ، التي يقوم عليها القضاء ، فضلاً عن الوقت الذي يحتاج إليه ذلك القاضي ليصدر حكمه .

ولعل أبرز ما يبرهن على اهتمام الإمام بهذا الموضوع ، ما جاء في سيرته من توليه القضاء في مسائل عجز القضاة عن حلها ، بل لم يقبل الخصوم القضاء فيها إلا من قِبلــه ، فكان يحكم في كثير منها بما يراه حقاً وعدلاً ، وذلك ما يُرضي الخصوم . وقد مر بنا فــي الفصل الأول قصة السيول التي حدثت في بلاد حمير ، والتي سالت معها القرى والضياع ، بما فيها مقدار ميل ، حتى حطت على أملاك قوم آخرين في أسفل الوادي ، ورأينــا أيــضاً كيف عالج الإمام الأمر بحكمة وروية ، استطاع من خلالها إقنــاع الطــرفين المتنــازعين بالحكم [٢] .

كذلك من الأدلة التي تؤكد المعنى نفسه ، قيام الإمــام بتعييــن قاض ملازم له حيثما ذهب [٣] ، والذي فوض إليه إصدار الأحكام وتنفيذها على الجميــع (الأميــر والــشريف والقوي والضعيف) ، وحث الناس على الطاعات ، ومــنعهم مــن المحرمــات ، ونــصرة المظلوم ، والشدة على الظالم [٤] ، ويبدو أن هذا المنصب ، يشبه ما يعرف اليــوم بــــ : " المستشار " الذي يشير على ولي الأمر بما يراه مناسباً ، ويكون متصفاً بالحكمــة والأنــاة والعلم والتفقه في الدين وغيرها من الصفات الحميدة ، التي تكسبه ثقة الإمام ، فيعهــد إليــه بالنظر في القضايا العالقة بين الأفراد والقبائل ، وذلك عندما لا يكون لــدى الإمــام الوقــت الكافي لذلك .

هذا فضلاً عن الكم الهائل من القضاة الذين استعملهم الإمام في إدارة شؤون القضاء في مختلف أرجاء دولته ، بل إننا نستطيع الجزم ، بأن الشرط الرئيس الذي يحبذه الإمام فيمن يرغب أن يوليه أي منصب من المناصب ، هو أن يكون هذا الــشخص قاضــياً ، بمعنــى وصوله إلى مرتبة كبيرة من العلم ، يطلق عليه بعدها لقب " القاضي " ، والتي من خلالهــا يستطيع ممارسة القضاء ، والولاية ، والحسبة ، والتدريس ، وقبض الحقوق ، وغيرها مــن

---

[١] اقتصرت مهمــة المحتسب على الأســواق والأماكــن العامة ، ولم يتعداهــا إلى غيــر ذلك مما يختص به القاضــي الــذي يمثــل مرتبــة أعلــى منــه .

[٢] انظر فيما سبق ، ص ٣٤ .

[٣] اسمه علي بن سليمان البكيلي . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٢٤ .

[٤] المصدر نفسه والصفحة .

المناصب . فالملاحظ أن جميع من استعان بهم الإمام في إدارة شؤون دولته هم من القـضاة الذين يتمتعون بمنزلة مرموقة ، فكل قاضٍ بإمكانه أن يكون والياً ، وقاضـياً ، ومدرسـاً ، ومحتسباً ، وجامعاً للحقوق ، بينما لم يكن العكس صحيحاً ، فليس كل والٍ يصلح لممارسـة القضاء .

فمن القضاة الذين استعان بهم الإمام في إدارة شؤون القضاء ، القاضي شرف الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي الأسود الاقهومي ، الذي كـان لـه القضاء في بلاد شـظب [١] ، والقاضي مفرح بن مسعود الـصنعاني الـذي انتدبـه الإمـام للقـضاء فـي صـنعاء [٢] ومأرب [٣] ، والقاضي سليمان بن الحسن الحمامي القائم بالقضاء في بـلاد عـذر [٤] ، والقاضي عطية بن محمد بن حمزة الذي تولى القضاء في حلي [٥] وأعمالهـا ، والقاضـي القاسم بن حسين بن شبيب في حرض [٦] ، والقاضي محمد بن نشوان فـي خـولان [٧] ، والقاضي علوان بن بشر بن حاتم في حصن ذمرمر [٨] ، والقاضـي مؤمـل بـن محمـد النجراني في بيحان [٩] ، والقاضي عزان بن سعيد ومفلح بن منصر بن أبي رازح في بلاد مذحج [١٠] ، والقاضي يحيى بن جعفر بن أبي يحيى في شبام وأعمالها [١١]، وبلاد الطرف وبني شاور ، والقاضي سليمان بن عبد الله السفياني بشوابة [١٢] .

وجدير بالإشارة ، أنه ليس هناك تناقض بين تولي بعض هؤلاء الولاية والقضاء معاً ، إذا ما رأى الإمام أن ذلك أصلح ، فالقاضي محمد بن نشوان الحميري كان متولياً للولايـة والقضاء في خولان [١٣] ، فلم يتعارض هذا مع ذاك ، لكن المتعارف عليه آنـذاك أن يـتم فصل المنصبين عن بعضهما ، ولا سيما أن الإمام لا يتساهل في منصب القضاء ، فيفوضه لمـن يثـق فيـه ، بينمـا كان منصـب الولايـة يخضـع لعوامل سياسية فرضتها أحوال تلك المرحلة .

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .
[2] المصدر نفسه ، ٤٨ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .
[4] المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ ـــ ٣٢٥ .
[5] المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .
[6] المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .
[7] المصدر نفسه ، ص ١٩٣ ـــ ١٩٤ .
[8] المصدر نفسه ، ص ١٧١ .
[9] المصدر نفسه ، ص ١٤٠ ـــ ١٤١ .
[10] المصدر نفسه ، ص ١٠٣ ، حاشية رقم (٢) .
[11] المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .
[12] المصدر نفسه ، ص ٣٠٨ .
[13] الأكوع ، هجر ، ج ١ ، ص ٥٥٠ .

وتحدد مهام القضاء في ما يلي [١] :

١. إقامة الجمعة ، والأذان ، والصلاة بالناس ، وإزالة الفساد ، والبدع ، والخرافات .
٢. إقامة الحدود على شارب الخمر ، والسارق ، والزاني ، والقاتل ، وغيرها من الحدود .
٣. حبس الفواسد من النساء ، وتزويج طائفة منهن .
٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإشاعة العدل بين الناس .
٥. الشدة على قطاع الطرق ، والمفسدين ، ورد المظالم إلى أهلها .
٦. حل المسائل المتعلقة بالزواج ، والطلاق ، وقسمة المواريث .

أما السجون فلا توجد بالمعنى المتعارف عليه اليوم ، وإنما اقتصر الأمر على تحويل بعض المنازل إلى سجن تفرض عليه الحراسة المشددة [٢] ، وإذا استشكل هذا الأمر استخدم الجامع لهذا الغرض ، ولنا في قصة الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان الذي حبس في جامع أثافت قبل اغتياله دليلاً على ذلك ، كما لا نستبعد أن يخصص مكان معين بالقرب من الجامع لهذا الغرض ، ولا سيما وأنه لا يفرغ من المرتادين ، وبالتالي يصعب الفرار منه . وعموماً لم تكن الحاجة إلى السجن في تلك المدة ملحة ، فالسارق تقطع يده ، والزاني يجلد أويرجم ، وقاطع السبيل يصلب ، والقاتل يقتص منه ، وأسرى الحرب يتحولون إلى رقيق وسبايا ، وبالتالي لا يحتاج أحد منهم إلى حبس يسجن فيه إلا في أحوال نادرة .

٣ ــ الحِسْبَة :

من خلال بحثنا ودراستنا في سيرة الإمام عبد الله بن حمزة لم نجد كثيراً من النصوص التي نستطيع من خلالها إلقاء الضوء على هذا المنصب ، بل إنه يمكننا حصر هذه النصوص في اثنين فقط . الأول : ما ذكره ابن دعثم أن الإمام عين مسعود بن الأقحف الصنعاني محتسباً علىحوث وأعمالها [٣] ، والآخر ما حكاه أيضاً من حدوث فُرقة في صعدة وكان سبب هذه الفُرقة أن رجلين أحدهما من آل الزيدي والآخر من الحدادين تخاصما على كيل طعام فلما جاء محتسب تلك المنطقة ويدعى الشريف علي بن أحمد للشدة على المخطئ وعقابه ثار عليه عبيد الحدادين ومنعوه من ذلك [٤] . فهذان النصان يؤكدان وجود

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٨ .
[2] عبد الغني محمود عبد العاطي ، أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، ص ٢٤٥ .
[3] السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٥ ــ ٧٦٧ .
[4] المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ .

منصب الحسبة في دولة الإمام ، ولا شك أيضاً أن الإمام كان يعين محتسباً في كل منطقة شانه في ذلك شان تعيين الولاة والقضاة وغيرهم .

أما مهام المحتسب [١] فهي :

١. إصلاح كل ما يمارسه الناس في حياتهم اليومية ، فأي شيء يضر الناس فان على المحتسب إزالته [٢] ، بل إن المحتسب في دولة الإمام يتمتع بصلاحيات واسعة استطاع بواسطتها إمضاء الأحكام الفورية دون الرجوع إلى الوالي أو القاضي ، أو من هو في مقامهما ، وهذا يدفعنا إلى القول بأن هذا المنصب كان مستقلاً تماماً عن منصب الوالي أو القاضي .
٢. تفقد المكيال ، والميزان ، وإنصاف المظلومين .
٣. قبض الزكاة وأخماس الحديد والمعدن من التجار .
٤. تفقد أحوال الحصون ، وما تفتقر إليه وتحتاجه [٣] .
٥. مراقبة البيع والشراء ، وفرض ما يراه صحيحاً في الأسواق .

٤ ــ الجيش :

أ ــ تكوينه :

إن إطلاق مصطلح الجيش على القوة العسكرية التي كان يمتلكها الإمام عبد الله بن حمزة أمر مجازي وإطلاق فيه نظر ، إذا أخذنا بعين الاعتبار العدد والعدة العسكرية التي كانت لدى الإمام ، حتى أنه يمكننا القول بأن هذه القوة لم تكن فاعلة ومؤثرة على الساحة السياسية بقدر ما كانت تستغل الظروف السياسية والإقتصادية الصعبة التي تمر بها الدولة الأيوبية في اليمن ، فأصبحت كثيراً من الانتصارات التي حققتها هذه القوة رهناً بالضعف الواقع في الطرف الأيوبي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان للعسكر الأيوبيين المتمردين على الدولة الأيوبية في عهد المعز إسماعيل ــ وما بعده ــ أثره الأهم في الكثير من الإنجازات التي حققها الإمام خلال تاريخ دولته ، هذا باعتراف الامام نفسه الذي أنشد عند دخوله صنعاء سنة ٥٩٤ هــ قائلاً :

أُقلبُ طرفِي هل أرى العربَ جهرةً فلــمْ أرَ إلا أعجمَــيّا مُهمــهِمــا

---

(١) للمزيد حول هذا الموضوع انظر :
Serjeant , R , B , *A Zaidi Manual of Hisbah the 3rd Century (H)* , R . S . O , XXVIII, 1953 , pp. 1 - 34

(٢) الشجاع ، النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٣٧ ؛ شمسان ، إيمان أحمد ، اليمن في العصر العباسي الأول (١٣٢ ــ ٢٠٣ هــ) ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٢٨ .

(٣) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٥ ــ ٧٦٧ .

فلا أحد يستطيع أن ينكر الجهود التي بذلها الأمير حكو بن محمد ، والأمير محمد بن كز اليرقشي من أجل نصرة دولة الإمام ، ولا سيما أنهما رجلان عسكريان امتلكا الخبرة والتدريب كسائر الأكراد ، وهو ما كان مفقوداً في جموع القبائل .

لكننا مع ذلك نقول : إن الإمام حاول قدر الإمكان إنشاء فرقة عسكرية شبيهة بالتي عند الأيوبيين ، بل إنه جعل لكل فرقة ديوان يتولى إدارة الأمور المالية من صرف الرواتب للأفراد [١] ، وشراء السلاح ، والخيول وبناء وترميم الحصون [٢] .

وكان الجيش في الدولة المنصورية من الناحية العسكرية ينقسم إلى قسمين :

١ ــ **الفرسان :** وهم القلة القليلة ، ومع ذلك كانوا الأكثر حظوة في الجيش ، والأكثر تأثيراً في ميدان المعارك ، والذين يُعول على وجودهم فيها .

٢ ــ **المشاة :** وهم الأكثرية ، وكانوا يمثلون حُماة الحصون ، وأصحاب الكمائن ، وحراس الطرق ، إلا أنهم في أحيان كثيرة يشتركون في المعارك عندما تكون قريبة من مناطقهم ، أو عندما تدعو الحاجة إلى وجودهم .

أما من الناحية الإدارية فقد قُسم الجيش إلى قسمين أيضاً :

١ ــ **أصحاب الجرايا والديوان** [٣] : وهؤلاء من الفرسان والمشاة ، إلا أن لهم أجراً معلوماً كل شهر ، يسلم لهم نقداً أو عيناً والأخير هو المعتاد ، وكان الفارس يحصل على ضعف راتب الراجل (الماشي على رجله) وذلك بسبب امتلاكه للفرس التي يقاتل عليها .

٢ ــ **المتطوعــون** [٤] : وهم الذين يجاهدون في سبيل الله ــ حسب اعتقادهم ــ تحت راية الإمام دون مقابل .

ب ــ عدد الجيش :

إن إعطاء رقم محدد للجيش في الدولة المنصورية غير ممكن ، ليس ذلك لكثرتها ، و إنما لعدة أسباب منها :

١. إن ذلك الجيش تكون من جموع القبائل اليمنية الموالية للإمام إلى جانب الأشراف ، وهذه القبائل اتخذت من هذا الجيش مورداً إقتصادياً ومصدراً للرزق تقتات منه عند

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .
[2] المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٧٤ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٥٩١ .
[4] المصدر نفسه والصفحة .

حلول الجدب والجفاف ، وذلك عبر ما يوفره ديوان الجيش من رواتب وعطايا ، وما توفره الحروب من غنائم . فإذا حلت الأمطار وكثر الزرع وآن الحصاد تفرقت هذه القبائل كلٌ إلى جهته ومنطقته للزراعة ، والتي توفر لهم ما يحتاجون إليه دون المخاطرة بأنفسهم والتعرض للهلاك ؛ لهذا فإن أعداد هذه القبائل في الجيش متفاوتة وغير مستقرة .

٢. اعتماد هذا الجيش على فرق من الجيش الأيوبي المتمردة على الدولة الأيوبية ، والذي عادة ما يكون الهدف من وراء انضمامهم إلى الإمام وجيشه ؛ هو طلب الأمان من الأيوبيين المتربصين بهم ، وبالتالي فبمجرد زوال هذا الخلاف و أسبابه تعود هذه الفرق إلى أحضان دولتها تاركة الإمام و جيشه [١] ، وإن كان ذلك لا يمثل قاعدة .

٣. إن الأشراف أنفسهم انقسموا إلى قسمين فمنهم من آزر الإمام ونصره ، وهؤلاء نواة الجيش المنصوري ، ومنهم من تمرد عليه وقاتله وقد سبق وأن مر بنا ذلك [٢] .

وعلى كل حال يمكننا من خلال بعض النصوص التي وردت في السيرة المنصورية ، أن نقول : إن عدد الفرسان في جيش الإمام لم يزد عن ستمائة فارس ، هذا إذا تم تعداده في كل البلاد التي يسيطر عليها الإمام ، أما أكبر تجمع للفرسان فتكون من مائتي فارس وهو جمع عظيم كما وصفه ابن دعثم بقوله " فلما أصبح قدم إلى صعدة في موكب عظيم خيله تقارب المائتين " [٣] .

ولقد كانت الفرس في عهد الإمام عبد الله بن حمزة تمثل قيمة عسكرية كبيرة ، وخاصة في اليمن التي تعد المناطق الشمالية منها مناطق جبلية وعرة ، يصعب معها التنقل من مكان إلى آخر إلا بواسطة الخيول [٤] ؛ ولذلك كانت أثمان الخيول في تلك المدة مرتفعة جداً وصلت فيها قيمة الحصان الواحد إلى ألف دينار شموسية [٥]، وهو مبلغ باهظ في ذلك الحين ، بل إن الإمام نفسه كان يشتريها من أصحابها بالآجل [٦] ؛ وذلك لعدم قدرته على تسديد أثمانها دفعة واحدة ، ويُعزى ذلك كله إلى ندرة وجودها في اليمن حتى إن الإمام كان يستوردها من الحجاز [٧] .

---

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٤ .

(2) انظر فيما سبق ، ص ٨٩ ــ ٩٣ .

(3) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(4) عبد الغني محمود عبد العاطي ، أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، ص ٢٤٦ .

(5) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .

(6) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ .

(7) المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٤١ ؛ كذلك من الأدلة على الأهمية العسكرية للخيول بالنسبة للجيش في تلك المدة ، ذلك الحظر الذي فرضه الإمام على بيع الخيول للأيوبيين وتوعده بالعقوبة الشديدة لمن خالف ذلك .

ج ــ دور الجيش :

إن الدور الرئيس للجيش في أي مكان وزمان يكمن في مقاتلة الأعداء ، والدفاع عن الأرض والعِرض ، لكن الجيش في الدولة المنصورية لم يقتصر دوره على ذلك فحسب ، بل كان يقوم بالعديد من الأدوار ومن أبرزها :

١. المحافظة على الأمن والمصالح العامة للناس ، ومحاربة أهل الفساد وقطاع الطرق .
٢. تنفيذ كل ما يصدر من الوالي أو القاضي أو المحتسب ، فكان الأداة التنفيذية لكل ما يصدر من قرارات وأوامر إمامية .
٣. رد الحقوق إلى أهلها ولو كانوا يهوداً ، فقد ذكر ابن دعثم : أن قوماً من آل منصور (وهم حي من بكيل) أخذوا مال يهودي من مضر أتى من صنعاء يريد صعدة ، فلما علم الإمام بذلك أرسل إليهم أمراء الجيش : عماد الدين يحيى بن حمزة وصفي الدين محمد بن إبراهيم ، وصارم الدين إبراهيم بن حمزة ، و علم الدين سليمان بن موسى لإخضاعهم وحربهم حتى يمتنعوا عن فسادهم .[١]
٤. تأديب كل من يمتنع عن دفع الخراج ، والحقوق الواجبة للدولة ، والسيرة المنصورية حافلة بعدد كبير جداً من الأمثلة التي تدلل على هذا المعنى [٢] .

د ــ معاقل الجيش وأساليبه :

ونعني بها تلك الحصون التي تتمركز فيها القوات العسكرية ، والتي تمثل أهمية إستراتيجية بالنسبة للجيش . ونظراً لهذه الأهمية فقد أولى الامام عبد الله حمزة هذه الحصون عناية كبيرة ، فقام ببناء عدد من الحصون وأهمها : حصن ظفار : الذي بناه على أنقاض أكمة الإمام أبي الفتح الديلمي ، وجعله معقلاً حصيناً له من الغارات الأيوبية ؛ نظراً لمنعته وارتفاعه ، كما قام الإمام بشراء عدد من الحصون ، منها حصن كوكبان وبكر ، وهما من الحصون المهمة التي دار القتال عليها كثيراً بين الإمام والأيوبيين .

وبالقدر نفسه اهتم الإمام بإنشاء فرق للاستطلاع [٣] ، مكونة من بعض الفرسان ، مهمتها استبراء الطرق ، والتأكد من سلامتها قبل المرور فيها ، وتلمس أخبار الأعداء وعدتهم واتجاهم ، وغيرها من المسائل العسكرية . وإلى جانب ذلك اتبع الإمام عدداً

---

(1) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ .و مُضَر : قرية في جبل الرياشة من أعمال رداع ، محافظة البيضاء . المقحفي ، معجم ، ص ٦٣٢ .

(2) على سبيل المثال انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

(3) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ .

من الأساليب الحربية ، التي عرفت منذ صدر الدولة الإسلامية ، كالخنادق الترابية [١] حول الحصون ، ومقاومة الحصار بإعداد مخازن الحبوب ، وخزانات المياه [٢] ، التي يستطيعون بواسطتها الصمود أطول مدة ممكنة ، وجعل كل قبيلة تقاتل في جهة مستقلة عن الأخرى ، حتى تأخذها الحمية ، فتستبسل في القتال وتقدم أفضل ما لديها من قدرات [٣] .

هـ ــ أنواع الأسلحة [٤] :

من الأسلحة التي كانت موجودة في الدولة المنصورية : المنجنيق [٥] ، والعرادات ، والبيض [٦] ، والغوامر [٧] والنشاب [٨] والغوارم [٩] والجفاني [١٠] والطوارق والشروخ [١١] والقياس [١٢] العربية ، فضلاً عن السيوف والخناجر والجنابي والرماح .

٥ ــ التدريس :

يُعد التدريس من الأعمال المهمة التي اعتنى بها الإمام عبد الله بن حمزة ، وكيف لا يكون ذلك وهو العالم والفقيه والشاعر والأديب الذي تفنن في كل فروع العلم والأدب ، بعد أن تربى منذ صغره على حب العلم والدراسة والمثابرة والاجتهاد ، فلم يصل إلى ما وصل إليه إلا بالعلم والتفقه في الدين ، ولذا اهتم بإنشاء المدارس المنصورية في كل القرى ، والتي من خلالها يتلقى طلاب المذهب الزيدي أصول مذهبهم ، وتراث أجداهم ، وما تركه لهم أسلافهم من مؤلفات في شتى فروع المعرفة . والإمام حاله في ذلك حال بقية علماء الزيدية المهتمين بالعلم ، بل إنه أشد اهتماماً منهم ، فقد أولى اهتماماً كبيراً بتربية النشئ

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٨٨ ــ ٥٨٩ .

[3] المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

[4] المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٩٢ ، حاشية رقم (١) ، (٢) ، و ص ٥٩٣ ، حاشية رقم (١) ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي ، أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، حاشية رقم (١٠٤) ، (١٠٥) ، (١٠٦) ، (١٠٧) ، (١٠٨) ، (١٠٩) ، (١١٠) .

[5] المنجنيق : آلة لرمي الحجارة .

[6] البَيضة : وهي ما يلبس فوق الرأس من آلات السلاح .

[7] الغوامر : نوع من الدروع التي تقي الأجسام .

[8] النشاب : هي النبل أو السهام والثلاث مسميات لشيء واحد .

[9] الغوارم : نوع من أنواع السلاح المعروفة في تلك الفترة .

[10] الجفاني : ربما كانت مشتقة من الجفن الذي هو غمد السيف .

[11] الشّروخ : الشرخ هو النصل الذي لم يسن بعد ولم يركب عليه قائمة والجمع شروخ .

[12] القسي : مفردها قوس وتجمع أقواس و قياس و أقياس .

وصقل شخصيته من الصغر ، ليغدو في المستقبل شخصاً يُعتمد عليه في حفظ تراث المذهب الزيدي والمحافظة على بقاء الدولة الزيدية في اليمن ، و على رأس هؤلاء ابنه محمد الـــذي بعث إليه الإمام رسالة وهو في المدرسة المنصورية بحوث ، يحثه فيها على الإقبـــال علـــى العلم والصبر عليه ، والتي قال في معرضها : " ... وعليك بالصبر فإنه مر المبتدأ ، حلـــو العاقبة . شمر في درس العلوم فإنها حياة النفوس ، وجلاء القلوب . وآثر من ذلـــك الأهـــم فألاهم ، فأول ما تبدأ به معرفة الله سبحانه ... فتفهمها بالبراهين وتوابعها ، ولوازمها ... ثم بعد ذلك تعلم أصول الشرع وفروعه بأدلتها وعللها ومقياساتهـــا ، وما يشهد لها ، ويـــدل عليهـــا من الأقوال والأفعال النبوية ... إجعل العلـــم مطيتك والعلـــم دليلـــك...ولاتـــسـأم الدرس ، وتمل إلى هوى النفس ، واغنم أيام الفراغ ... وبادر أيام الشبيبـــة أن تنفد ، فمـــا فات منها فلن يرتد ... " [١] . فهذه الرسالة من أروع ما قيل في نصيحة مـــن أب لابنـــه ، ولولا الإطالة لذكرناها كاملة ، ففيها عظة واعتبار وحكمة وبيان ، وهي في الأخيـــر تؤكـــد اهتمام الإمام بالعلم والدراسة وإنشاء المدارس ، التي عين في كل منها مدرساً متمكناً موثوقاً به اشتهر بعلمه وحلمه . ولعل أبرز هؤلاء الفقيه أحمد بن محمد المحلي [٢] ، الـــذي كـــان قائماً بالمدرسة المنصورية في حصن ذمرمر ، والفقيه القاضي ركن الدين يحيى بن جعفـــر أبي أحمد ، القائم بالمدرسة المنصورية في قرية حلملم [٣] ، والفقيه علي بن أحمد الأكوع [٤] صاحب المدرسة المنصورية في حوث ، وغيرهم كثير ، بل إن الامام عبد الله بن حمزة كان يقيم الحِلَق العلمية لتدارس القران الكريم والأحاديث النبوية وكان يناقش العلماء ويقـــيم المناظرات في مسائل الخلاف ، فكان هو كالمدرس في مكان إقامته أينما حل ، وكـــذا كـــان حال الأميرين شمس الدين يحيى ، وبدر الدين محمد ابنا أحمد ، كلٌ في بلده ومحل ولايته .

أما المدارس فالمرجح أن الإمكانيات المادية المحدودة للدولة المنصورية لـــم تكـــن تسمح بإقامة مثل هذه المدارس ، بل إن الأمر اقتصر على تحويـــل مجموعـــة من المنـــازل المتجاورة إلى غرف للدرس ، أما مصادر هذه المنازل فغالباً تكون عن طريقين :

---

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص٢٩١ ــ ٢٩٢ ؛ وللاطلاع على مزيد من رسائل الإمام إلى ولده محمد انظر : عبد الله بن حمزة ، رسائل ، مخطوط ميكرو فيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، رقم (٨) ، ق ١ وما بعدها .

(2) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ ؛ الأكوع ، هجر ، ج ٢ ، ص ٧٩٧ ؛ كما انتدبه الإمام إلى هجرة قاعة للتدريس بها ، ونشر مذهب الهادوية المخترعة ، بعد أن استباحها الإمام وأخرج المطرفية منها . ابن دعثم ، السيـــرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٦٥ .

(3) حلَملَم : حلملم الأعلى وحلملم الأسفل قريتان في الغرب والغرب الشمالي لقرية الأشمور بمسافة (ثلاثة كيلو مترات) ، وهما قريتان مـــن عـــزلة الأشمـــور محافظـــة عمـــران . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، حاشية رقم (١) .

(4) المصدر نفسه ، ص ٦٣ ، حاشية رقم (٤) .

- **الأول** : أن تكون وقفاً لله من قبل بعض المحسنين الراغبين في الأجر والثواب من الله تعالى .
- **الثاني** : وهو الأكثر شيوعاً ؛ أن تكون هذه المنازل مصادرة من أصحابها المعارضين للإمام [١].

وعموماً يمكننا تشبيه هذه المدارس التي كانت في عهد الإمام عبد الله بن حمزة ـــ مع الفارق الشاسع في العمران والإمكانيات ـــ بالمراكز العلمية التي تنتشر إلى يومنا هذا في المحافظات الشمالية والشرقية من اليمن ، إذ يُعد الجامع منذ البناء ليكون مركزاً علمياً يحوي على أماكن للسكن تخص طلبة العلم والعلماء ، فضلاً عن المكتبات ، وأماكن الدرس وغيرها مما يحتاجه الطلبة .

أما عن نفقات المدارس المنصورية فيتولى بيت مال المسلمين هذا الأمر ، وهذا دليل آخر على اهتمام الإمام بالعلم وأهله [٢] .

٦ ـــ ديوان الإنشاء والبريد :

في كل مظهر من مظاهر السياسة والإدارة نحاول إثبات وجود هذا المظهر في الدولة المنصورية ، أما من خلال الاستنتاج أو من خلال النصوص ، ولكن الأمر يختلف في هذه المرة ، فهذا المظهر الإداري لا يحتاج إلى إثبات ، لأسباب عديدة أهمها :

١ ـــ ضرورة وجود مثل هذا المظهر في الدولة المنصورية ، حتى يكون هناك ترابط واتصال بين المناطق المتباعدة وبين الامام وولاته وأمرائه وقضاته وغيرهم [٣] .

٢ ـــ إن هذا المظهر يعد الوسيلة الوحيدة المتاحة للاتصال في تلك الفترة ، ولذلك لا يمكن الاستغناء عنه .

٣ ـــ إن القائم على هذا الديوان هو نفسه مؤلف السيرة المنصورية [٤] ، والذي استطاع من خلال منصبه هذا ، الاطلاع على كثير من المراسلات بين الامام ومختلف الأطراف ؛ والتي تمكن بواسطتها من تأليف هذه السيرة ، وكثيراً ما يذكر فيها أن الإمام بعث بريداً إلى أشخاص معينين في أماكن مختلفة ، وأنه تلقى آخر من أشخاص آخرين ، بل إن الإمام نفسه عهد إليه وهو صاحب هذا الديوان بأن يرد على العديد من الرسائل عندما لا تسمح أحواله بالرد عليها ؛ لانشغاله أو مرضه أو سفره .

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٦٥ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٥٠٣ ، ٧٦٥ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٦٣١ ، ٦٣٥ ، ٧٣٣.

[4] عبد الغني محمود عبد العاطي ، أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، ص ٢٣١ .

هذا فضلاً عن كثير من الخطب والأشعار التي تضمنتها هذه السيرة ، والتي بعثها الإمام إلى الأمراء الأيوبيين ، وشيوخ القبائل وعامتهم ، وشيوخ المطرفية ، والتي تدل هي الأخرى على وجود مثل هذا الديوان .

أما عمال هذا الديوان ـــ فإنه باستثناء ابن دعثم القائم عليه ـــ فلا نعتقد بوجود عمال متخصصين لهذا الأمر ، بل إن الأمر اقتصر على وجود مسافر من منطقة إلى أخرى ، أو إرسال شخص ليقوم بهذه المهمة ، على شرط أن يكون ممن يثق بهم الإمام [١] ، أو من المقربين منه والمشهورين بإخلاصهم وولائهم له . وبما أنه لا يوجد عمال متخصصين بالبريد ، فكذلك لا يوجد راتب مخصص لهم ، بل اكتفى الإمام بتزويد حامل البريد بالخيل والمؤونة التي تمكنه من الوصول إلى ذلك المكان ، ثم يتولى الطرف الآخر تزويده بما يحتاجه إليه عند العودة ، ولا سيما إن كان من أعوان الإمام وأنصاره .

٧ ـــ جمع الحقوق :

تُعد هذه الوظيفة من الوظائف القديمة التي عرفتها الدولة الإسلامية في بداية عهدها ، وذلك لأهميتها الإقتصادية الكبرى بالنسبة للدولة ، فقد جاء الإسلام بتشريعات ومصطلحات لم تكن موجودة في المجتمع الجاهلي قبل ذلك ، كالجزية ، والخراج ، والزكاة ، والصدقة ، والعشور ، وغيرها . وكان لا بد أن يتولى هذه المهمة أشخاص يقومون بجمع هذه الحقوق ، ويطلق عليهم : " جامعو الحقوق المستحقة لبيت مال المسلمين " . وقد تطور هذا النظام بشكل كبير بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام والعراق ومصر وغيرها من البلدان التي تشتهر بالخيرات الوفيرة من زراعة ، وتجارة ، وكثرة مال ، وضياع ، وأملاك ، وكلها تجب فيها الزكاة والخراج والعشور ، فكان لا بد أيضاً من إيجاد نوع من التخصص الإداري والتنظيمي لهذه الإدارة ، بوصفها مورداً مهماً من موارد الدولة المالية .

حاولت الدولة الزيدية في اليمن في عهد الإمام عبد الله بن حمزة ـــ وإن لم نجد وجهاً للمقارنة في ذلك ـــ تأصيل هذه التشريعات والمصطلحات فأرسلت إلى كل منطقة تدين بالولاء لها ، من يجمع الحقوق من الناس[٢] ، ولا سيما أعشار الزرع عند حصاده الذي يؤخذ عيناً ، وأخماس الحديد والفضة والزكاة مع مرور الحول . كما أنها أضافت أشياء أخرى إلى ذلك ، مثل جمع الرسوم المفروضة على القبائل بسبب عصيانها وتمردها على

---

[1] الشجاع : النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٣٥ ، ولدينا مثال على ذلك هو : الشيخ مرحب بن سليمان السهلي ، الذي أرسله الإمام بعدة رسائل إلى الأمراء الأيوبيين في المهجم والكدراء وزبيد وغيرها من المناطق التهامية . انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٩٣ ـــ ٩٩ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٨٥ ، ٣٩١ ، وغيرها من الصفحات .

الإمام ، أو تلك التي يفرضها الإمام على القبائل مقابل عدم مشاركتها معه في القتـال [١] ، وغير ذلك من الموارد التي كانت تُخترع اختراعاً بهدف جمع المال .

ثانياً : المظاهر الاقتصادية :

١ ــ سك العملة :

من أهم الخطوات الإقتصادية التي حاول الإمام من خلالها إرساء دعائم الدولة المنصورية ، قيامه بسك العملة المنصورية . فحتى وقت متأخر من إعلان إمامته ظل التعامل في الأسواق والمناطق الزيدية بالدنانير الشموسية التي سكها السلطان الأيوبي شمس الدولة توران شاه عند قدومه الى اليمن سنة ٥٦٩ هـ ، والدنانير السبئية التي سكها قبل ذلك ــ كما نعتقد ــ السلطان سبأ بن أبي السعود وأبنائه علي ومحمد ثم حفيده عمران بن محمد ابن سبأ . ولما كان في ذلك انتقاص لسيادة الدولة المنصورية وارتباطها ارتباطاً مباشراً بالنظام الإقتصادي للدولة الأيوبية ، قرر الإمام سك عملة جديدة خاصة بدولته ، وهذه الخطوة ، وإن كانت من الخطوات الإقتصادية البحتة ، إلا أن مضمونها لا يخلو من مغزى سياسي وخطاب لكل الأطراف على الساحة السياسية ، مفاده أن الإمام مُصر وعازم على المضي في إحياء الدولة الزيدية وأنه في كل يوم يقترب من هذا الهدف خطوة خطوة ، ويجسد لنا هذا المعنى قول الشاعر في هذه النقود :

أمَرَتَ بضَربِهما المُخْلَصين فَجَاءَ كمثلِهما خَالِصَين
أهانا نُقُود جُنُودِ الضـلالِ وكانا بِغَيهِما شاهِدَين [٢]

وإلى جانب هذا المغزى السياسي ، يذكر ابن دعثم أسباباً أخرى منها : أن الإمام نظر في أمور المسلمين وما يقع عليهم من النقص من أموالهم والتفاوت في نقودهم ؛ بسبب الغش في سك الدينار السبئي والدرهم الأيوبي ، وخلطها بالنحاس ، مما أدى إلى تناقص قيمتهما إلى النصف والثلث والربع ، بين حين وآخر [٣] ؛ فلما رأى ذلك عزم على ضرب دراهم منصورية تحل محل هاتين العملتين ، أو تكون بجانبهما وتكون سليمة السك ثابتة الثمن . فأقام داراً لضرب النقود بصعدة [٤] وعين الشيخ علي بن حسن الصعدي من بني

---

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧١٦ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

النجار مسؤلاً عنها [١] لما يتمتع به من أمانة وثقة ، واعتمد في بادئ الأمر على الفضة في سك العملة ، فكان العمل في البداية قليلا نظرا لندرة الفضة ، لكن الأمر تغير بعد أن جُلبت الفضة من كل المناطق التابعة للدولة المنصورية التي تشتهر بوجود ها ، والتي كان الإمام يأخذ أخماسها ، وعندما لم يفِ ذلك بالغرض اشترى الإمام ألوفاً من القفال من زبيد [٢] وغيرها من المناطق ، فكان أن سُكت في شهر واحد ما مقداره خمسة وعشرون ألف درهم منصورية [٣] .

وبعد أن استقر الأمر في سك الدرهم المنصوري ، ضُرب الدينار المنصوري من الذهب ، والذي كان في القيمة يساوي الدينار الذي ضرب في عهد الإمام الهادي يحيى بن الحسين [٤] ، وجعله ثلاث سكك : مثقال كامل ، ونصف مثقال ، وربع مثقال ، وكتب عليه في الوجه الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله ، وفي دوره التاريخ والبلد وقوله تعالى " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " .

أما الوجه الثاني فكتب عليه (الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين) وفي دوره (عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله) [٥] .

وكانت الدراهم المنصورية على قسمين :

١ ـ **الدراهم الخفيفة** [٦] (الدرهم الصغير) : يساوي ثمن قفلة [٧].

٢ ـ **الدراهم الثقيلة**[٨] (الدرهم الكبير) : يساوي نصف قفلة ، أي أربعة دراهم صغيرة .

---

(١) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٢٠ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

(٥) المصدر نفسه ، ص٧٢٠ ـ ٧٢١ ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي ، " أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية " ، ص٢٣٧ .

(٦) Nützel , Heinrich . *Münzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynastie / Coins of the Rasulids Comprising A Synopsis of The History of The Yemenite Dynasty* ,Translated by Dr . Alferd Kinzelbach , Mainz , 1987 , p 79 .
حول مأثورات هذه الدراهم انظر فيما سيأتي ، ص ٢٠٦ .

(٧) القفلة : درهم تام الوزن لا نقص فيه ولا زيف . انظر الكرملي ، أنستاس ماري ، النقود العربية وعلم النميات رسائل في النقود للبلاذري والمقريزي والذهبي ، مطبعة إلياس الحديثة ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ، ص ١٥١ ؛ تول ، كرستوفر ، " مصطلحات عربية في المعايير والأوزان من كتاب الجوهرتين العتيقتين للهمداني " ، ضمن كتاب : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ـ بحوث ومقالات ، ترجمة : يوسف محمد عبد الله (الدكتور) ، ط ٢ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٤١٧ .

(٨) Balafier, Mohamed , *Trésors et Collections de Monnaies islamiques des Musées du Yémen,* Thése de Doctorat , Université de Paris - Sorbonne (Paris IV) , 1994 , tome Π , p 242 .
حول مأثورات هذه الدراهم انظر فيما سيأتي ، ص ٢٠٨ .

ومع أن الإمام حاول ــ جاهداً ــ أن يخرج الدراهم المنصورية بالشكل الذي يجعلها تنافس الدراهم الأيوبية ، إلا أن ذلك لم يتحقق ،فنفر الناس عن هذه الدراهم في بادئ الأمر (١) ورفضوا التعامل بها في البيع والشراء حتى عين الإمام محتسباً للشدة على من ردها (٢) ، والعقوبة عمن امتنع عن قبضها (٣) ، ويبدو أن ذلك لم يكفِ أيضاً مما اضطر الإمام إلى التدخل بنفسه في الأمر ، فكتب منشوراً ينطق بالشدة ، ويتوعد فيه من رد الدراهم المنصورية ، ويقسم فيه برد الدراهم الأيوبية إن ردوا الدراهم المنصورية (٤) ، وبالفعل كان لهذا المنشور أهمية كبيرة في فرض هذه الدراهم على الناس أولاً ، وعلى الأيوبيين ثانياً ، ثم تغيرت الأمور لاحقاً ، فصار الناس يرغبون في الدراهم المنصورية ويفضلونها على باقي العملات (٥) .

٢ ــ الموارد المالية في الدولة المنصورية :

لقيام أي دولة واستمرارها لا بد من وجود موارد مالية تغذيها وتنميها وتمكنها من الوقوف أمام الصعوبات التي تواجهها ، وخاصة إذا كانت هذه الدولة تعيش حالة من الحرب الدائمة ، تفرض عليها الكثير من النفقات وتكاليف القتال .

أما أنواع هذه الموارد فهي مستمدة من النظام المالي للدولة الإسلامية منذ عهد الرسول (ﷺ) (٦) مروراً بالخلافة الراشدة والأموية وأخيراً العباسية . وهي في حقيقة الأمر مستمدة أصلاً من الدين الإسلامي الذي شرعها على الناس لتعود بالنفع عليهم ، حسب ما يراه ولي الأمر من مصلحة . والإمام عبد الله بن حمزة في هذا الشأن لم يختلف عن

---

(١) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٨٨ ، ويفسر الدكتور محمد صالح بلعفير هذا الأمر بقوله : " أن الإمام عبد الله بن حمزة قد ضرب أولاً الدراهم الخفيفة التي يتراوح وزنها بين (٦٠, _ ٨٠, غرام) ، فلما نفر الناس عن قبضها ورفضوا التعامل بها قام بضرب الدراهم الثقيلة التي يتراوح وزنها بين (١,٦٣ _ ١,٧٣ غرام) والتي اقتنع الناس بتداولها . " . انظر :

Balafier, Mohamed , *Trésors* et *Colléctions* de *Monnaies islamiques des Musées du Yémen,* tome Π , p 242 .

وعلى الرغم من هذه الزيادة في الوزن إلا أن الدرهم المنصوري ظل أقل وزناً من الدرهم الأيوبي الذي يزن (٢,٤٠ غرام) .
Lowick . N . M . *The Mansuri and the Mahdawi Dirham , N. C* , The Royal Numismatic Society , 1983 , p 123 .

(٢) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣، ص ٧٦٥ ــ ٧٦٦ .

(٣) عبد الغني محمود عبد العاطي ، أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، ص ٢٣٧ .

(٤) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣، ص ٧١٨

(٥) المصدر نفسه ، ص ٧١٩ .

(٦) انظر : الشجاع ، النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٦٥ ــ ٧٨ ؛ العسيري ، محمد بن علي مسفر ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩ ــ ٦٢٦ هـ) ، دارسات في تاريخ شبه الجزيرة العربية (١) ، ط ١ ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢٣٧ ــ ٢٥٣

الخلفاء والأمراء الذين سبقوه ، لذلك لم نجد في هذه الموارد ما هو جديد على ما كان مألوفاً في أسلافه ، باستثناء أن بعض هذه الموارد فرضت على المسلمين من أهل البلد ، وهي في الأساس غير معنية بهم [١] .

أ ـ الغنائم :

يعد هذا المورد من الموارد المالية المهمة في الدولة الإسلامية ، لا سيما بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ، وأرض العراق وفارس وغيرها من البلدان ، فلما توقفت هذه الفتوح نضب النبع الذي ينبع منه هذا المورد ، واليمن كما هو معلوم صارت جزءاً من الدولة الإسلامية منذ بداية عهدها دون قتال ـ إلا فيما ندر ـ لذلك لم يُعرف عنها أنها كانت مصدراً للغنائم في كل حال من الأحوال [٢] ، باستثناء حروب الردة التي كانت الغنائم فيها ترد إلى أصحابها ، جبراً لخاطرهم ، وتأليفاً لقلوبهم [٣] ، وعلى عكس ذلك كان لهذا المورد أثر اقتصادي كبير في الدولة المنصورية ، بل إننا نعده المورد الرئيس والعمود الاقتصادي الذي قامت عليه هذه الدولة ، فلا تكاد السيرة المنصورية تخلو في صفحة من صفحاتها من ذكر مثل هذه الغنائم [٤] ، التي كان الكثير من أنصار الإمام يعولون عليها في النفقة على أنفسهم وأهليهم ، وخاصة في أثناء الجدب والجفاف ، وعادة ما تكون هذه الغنائم قطعاناً من الإبل والبقر والغنم [٥] والحمير والخيول ، أو مخازن للحبوب والغلات الزراعية التي تم حصادها في وقت قريب ، أو أسلحةً ومتاعاً وآثاثاً [٦] تركها أصحابها ، وما شابه ذلك من الأشياء التي ينتفع بها الإنسان في حياته ، وتقسم الغنائم بعد أن يؤخذ منها خمس الإمام ، فيعطى للفارس سهمان وللراجل سهم واحد [٧] .

---

[1] ابرز مثال على ذلك الغنائم التي لا تجوز على المسلمين إذا لم يرتدوا أو يحملوا السلاح ضد ولي الأمر . السروري ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة ، ص ٥٩٨ .

[2] الشجاع ، النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٧٠ .

[3] المرجع نفسه والصفحة .

[4] انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٨١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ٢٥٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٢٩ وغيرها من الصفحات .

[5] المصدر نفسه ، ص ٧٢٩ .

[6] المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

[7] المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

ب ـ الزكاة :

وهي قدر معلوم يؤخذ من أغنياء المسلمين ويرد إلى فقرائهم ، وتجب في النقد من الذهب والفضة وفي عروض التجارة وفي السائمة من الإبل والبقر والغنم والمعدن والزروع ، وتقوم الدولة بجمعها ممن وجبت عليه ، ثم تصرفها في وجوهها الشرعية [١] ، وقد اتخذت الزكاة في الدولة المنصورية عدة أشكال :

- **العشر** : ويؤخذ على الحبوب بأنواعها (كالقمح والشعير والذرة والسمسم) وعلى الفواكه (كالكروم والرمان والتفاح والخوخ والسفرجل والتوت والتمر) [٢] وعلى الخضروات بمختلف أنواعها ، بشرط أن تكون سُقيت بمياه الأمطار .
- **نصف العشر** : ويشمل كل المحاصيل سالفة الذكر عندما تسقى بمياه الآبار ، إضافة إلى المعادن المختلفة ، فقد أخذ الإمام عبد الله بن حمزة الخمس على الفضة [٣] من بلاد المعدن ، والخمس على الملح [٤] من مأرب ، والخمس على الحديد [٥] ، من صعدة وأعمالها .

- **ربع العشر** : ويؤخذ على الذهب والأنعام (كالإبل والبقر والغنم) وعلى عروض التجارة أيضاً [٦] .

ج ـ العقوبات المالية على القبائل :

هي نوع من الموارد المالية يفرضها الإمام على القبائل المتمردة عليه ؛ عقاباً لها على تمردها وخروجها عن طاعته ، وهو يشبه المورد الأول المتحصل عليه من الغنائم ، فكلاهما يؤخذ كرهاً وقهراً ، وقد تُبتلى بعض القبائل بالاثنين معاً ، إذا لم تتدارك الأمر ، وتفتدي نفسها بالمال بدلاً من الحرب والعقوبة معاً .

أما العقوبات المالية فتتفاوت باختلاف العصيان والتمرد ، وعادة ما تكون كبيرة تعجز القبيلة عن دفعها ، فتشفع الشفاعات لدى الإمام حتى يخفضها لها ، كما أن المهلة

---

(1) العسيري ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
(2) جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .
(4) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .
(5) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٦٦ .
(6) الشجاع ، النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٦٤ .

الزمنية التي تُعطى للقبيلة لتسديد هذا المبلغ توحي بذلك أيضاً ، وعموماً يذكر ابن دعــثم أن الإمام أخذ ما مقداره ثلاثة آلاف دينار شموسية [١] ، وفي أخرى خمسة آلاف دينــار [٢] وفي ثالثة تسعة آلاف [٣] دينار وهذه المبالغ ــ ولا ريب ــ كبيرة بالنسبة لتلك المرحلة .

د ــ المصادرات :

والمقصود بها تلك الأملاك والضياع والدور التي يستولي عليها الإمام من القرى والهجر المخالفة ، والتي تجلت في أبهى صورها في الحــرب التــي شــنها الإمــام علــى هجــر المطرفية [٤] ودروبهم ، بعد أن استباحها واعتبرها دار حرب [٥] وردة [٦] ، فقتل الرجال فيها ، وسبى النساء والصبيان ، وصادر الأملاك والدور وضمها لبيت مال المسلمين كما كان يطلق عليه .

هــ ــ الجزية :

وتفرض على أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وكلاهما كان له وجود في المناطق التي يسطر عليها الإمام عبد الله بن حمزة ، فقد كان النصارى يسكنون في نجــران والتــي كانت تخضع لولاية الأمير بدر الدين محمد بن أحمد ، وكان اليهود يــسكنون فــي صــنعاء وصعدة وغيرها من المناطق ، فالذي نجزم به أن الإمام كان يأخــذ مــنهم الجزيــة مقابــل حمايتهم ودفع الضرر عنهم [٧] ، ولنا في قصة اليهودي الذي سُلب ماله عندما كان مسافراً

---

(١) السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٦٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٠٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٦٥ ؛ الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٣٤٤ ــ ٢٣٤٥ .

(٥) دار الحرب : هي كل أرض ظهرت فيها خصلة من خصال الكفر المعلوم بالأدلة ، ولا تأثير على الأرض في إيجاب الحكم أو نفيه ، فمكة المكرمة والمدينة المشرفة كانتا دار حرب قبل الفتح والهجرة ، وإنما الأصل في ظهور خصال الكفر من عدمها ، وتجري عليها أحكام دار الكفر والردة . انظر : عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمــزة ، ج١ ، تح : عبد السلام بن عباس الوجيه ، ط١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علــي الثقافيــة ، عمّان ، ١٤٢٢ هــ / ٢٠٠٢ م ، ص٩٣ ــ ٩٤ .

(٦) الردة : هي في الأصل الرجوع عن الشيء ، فلا فرق في اللغة بين قولك ارتددت وقولك رجعت ، ثم صارت فــي الشــرع تعني الرجوع من الإيمان إلى الكفر ، فإذا قيل ارتد فلان فمعنى ذلك أنه رجع عن الإسلام إلى الكفر وهي على ثلاثة أقسام :

١ . الرجوع جملة عن الإسلام إلى الكفر .

٢ . الزيادة في الإسلام ما ليس فيه كما فعل بنو حنيفة ، فانهم شهدوا بكــل ما جــاء به الإســلام ، وزادوا أن مسيلمــة أُشرك في النبوة مع الرسول (ﷺ) .

٣ . النقصان ، كما فعل ما نعوا الزكاة في عهد أبو بكر الصديق فقد اقروا بالإسلام كله ما عدا الزكاة . وحكم دار الردة حكم دار الكفر ودار الحرب . عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١١٤ ــ ١١٥ .

(٧) للمزيد حول هذا الموضوع انظر : لقمان ، حمزة علي إبراهيم ، تاريخ القبائل اليمنية ، ج ١ ، ط ١ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦ هــ / ١٩٨٥ م ، ص ١٨ ــ ٢١ .

من صنعاء إلى صعدة دليل على ذلك ، لكن هذا المورد لم يعول عليه الإمام كثيراً في إدارته لشؤون دولته ، بقدر ما كان تنفيذاً لتعاليم الدين الإسلامي الذي يفرض الجزية على أهل الذمة من الأديان الأخرى ، لإثبات خضوعهم وامتثالهم لدولة الإسلام .

٣ ـ مصارف الدولة المالية :

عرفنا فيما سبق أهم الموارد المالية في الدولة المنصورية ، ونذكر هنا أين تصرف هذه الموارد وكيف يتم استعمالها من قبل الإمام عبد الله بن حمزة . فكما تعددت الموارد المالية ، تعددت أيضاً مصارف هذه الموارد ، بل إنها أكثر عدداً وحجماً من تلك الموارد ، حتى أن الإمام كان كثيراً ما يعاني من الحاجة فيضطر إلى طلب القروض [١] في أحيان كثيرة ؛ لتغطية هذه الحاجة ، وسد تكاليف حربه مع الأيوبيين ، وأهم هذه المصارف :

أ ـ الأموال المخصصة للصلح :

كثيرة هي المعاهدات والهدنات التي عقدها الإمام مع الأمراء الأيوبيين ، وعلى رأسهم الأتابك سنقر والأمير وردسار ، والتي كانت تلزمه في كل مرة أن يدفع عشر من الخيل وعشر من الإبل وخمسة أحمال حديد كل سنة [٢] ، مقابل إقرار الهدنة بين الطرفين ، وعدم اعتداء طرف على الآخر ، ولا شك أن مثل هذه الشروط كانت تشكل عبئاً مالياً ثقيلاً على الخزانة المنصورية .

ب ـ شراء الحصون وعمارتها :

أولى الإمام عبد الله بن حمزة اهتماماً كبيراً لهذا الأمر ؛ نظراً لأهميته في حماية دولته وتأمينها من أخطار صراعه مع الأيوبيين ، فكان كثيراً ما يعرض على أصحاب الحصون شراءها منهم بأموال جمة ، كما كان الأمر في حصني بكر وكوكبان اللذين كلفاه أحد عشر ألف دينار شموسية [٣] ، فضلاً عن بقية الحصون الأخرى . كذلك كان الإمام يأمر الأمراء بإعادة إعمار الحصون ، وترميمها ، وتزويدها بالحبوب ، والماء ، والسلاح ، والمقاتلين ، وهذا يحتاج إلى كثير من المال .

ج ـ المؤلفة قلوبهم :

أُخذ هذا المصطلح من القرآن الكريم ، وتحديداً من قوله تعالى " **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله**

---

[١] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٩٠ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٥٠٩ .

[٣] المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ، ٤٣٦ .

وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " [٤] . وأُختص بزعماء قريش الذين أسـلموا بعد الفتح ، والذين حاول الرسول (ﷺ) تأليف قلوبهم ، وجعلهم يرغبون في الإسـلام عـن طريق المال ، فجعل لهم نصيباً موفور من الغنائم حتى ترضى أنفسهم . وقد اتبع الإمام عبد الله بن حمزة الأسلوب نفسه مع خصومه الذين أظهروا لـه الطاعة وأضـمروا الخـلاف ، وكان يعلم ذلك ، فحاول تأليف قلوبهم بإعطائهم المال وغيره لعلهم يرضـوا ، وأبـرزهم : السلطان بشر بن حاتم ، الذي حاول الإمام تأليف قلبـه بأربعـة مـن الخيـل ، وبمـائتي مد طعام [١] ، وغيرها من الهبات ؛ إلا أن هذه الطريقة لم تنجح مع الإمام كما نجحت مـع الرسول (ﷺ) ، فقد استقل السلطان بشر وغيره ما عند الأمام ورغبوا فيما عند الأيـوبيين ، الذين يعطون بسخاء أكثر ، نظراً لإمكانياتهم المادية الكبيرة .

كذلك جعل الإمام لبعض الأمراء والأشراف معاشاً شهرياً تألفاً لهم حتى لا ينـضموا إلى الدولة الأيوبية ، ومن هؤلاء القاضي حاتم بن أسعد الذي جعل لـه الإمام خمسمائة دينار شموسية [٢] في كل شهر ، تألفاً لـه واستجلاباً لهمدان ، بل إن ابـن دعـثم يـذكر : أن جماعة من بني زهير [٣] وآل منصور [٤] وبني مجيد [٥] وبني يزيد [٦] وغيرهم ، جاءوا إلى الإمام وهو في شوابة ، يشكون ما أصابهم من الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة من المظالم التي أوغرت صدورهم وغيرت قلوبهم ، والجأتهم إلى مكاتبة وردسـار الأيـوبي ، وكيف أن الإمام قبل شكايتهم ، وأزال باللطف والإحسان إليهم ما كان قد رسخ في قلـوبهم ، وجعل لكبارهم من الحقوق الواجبة التي تحصل من زرعهم أسهماً طلبوها منه ، فـساعدهم على ذلك ، تألفاً لهم ، فرضوا وطابت نفوسهم وصلحت أحوالهم [٧] .

د ــ نفقات المدارس المنصورية :

---

[4] التوبة : الآية (٦٠) .

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٤١٨ .

[3] بنو زهير : من قبائل أرحب . المقحفي معجم ، ، ص ٣٠٤ .

[4] قبائل منصور : من أرحب ، وآل منصور قبائل بني جبر ، من خولان العالية . ابن دعثم ، السيرة المنصوريـة ، مـج ١ ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، حاشية رقم (٣) .

[5] بنو مجيد : من ولد بن حمير بن سبا . لهم مواطن في لحج و أبين ولهم مواطن أخرى في تهامة . الهمداني ، صفة جزيـرة العرب ، ص ٩٥ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ؛ الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٧٨ .

[6] يزيد بن قاسم ، بطن من مرهبة بن الدعام ، وبني يزيد من كهلان . ابن دعثـم ، السيـرة المنصوريـة ، مـج ١ ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، حاشية رقم (٥) .

[7] المصدر نفسه ، ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .

وهي من الأمور التي اهتم بها الإمام عبد الله بن حمزة ، إلى جانب اهتمامه بإقامة المدارس المنصورية ، فقد كانت هذه المدارس في حاجة إلى مدرسين وكان هؤلاء المدرسون يتقاضون راتباً من الدولة لقاء خدماتهم هذه ، بل إن الدولة كانت تكفل المأوى والمأكل لطلبة العلم الوافدين من المناطق البعيدة ، والذين لا يملكون ما يكفيهم من المال ، فقد ذكر ابن دعثم أن الإمام لما آن أوان الثمرة ووقت حصادها قرر إرزاق الجند ، وأعطى أهل المدارس نفقاتهم [١] ، وفي موضع آخر يذكر : أن القاضي نصر بن محمد فرق أهل المدارس بسوء عشرته وخبث ولايته ؛ لأن نفقاتهم كانت على يديه [٢] ، وهذه النصوص تدل على أن الدولة المنصورية كانت تكفل نفقات المدارس وطلبتها .

هـ ـ الصدقات :

إن الإشارات التاريخية التي تدل على هذا المصروف قليلة ، إلا أنه من المعتقد أن الإمام جعل الربع مما يتحصل لبيت المال في كل منطقة للفقراء والمساكين، فقد جاء إلى الإمام قوم من وادي فريح [٣] وسألوه شيئاً لضعفاء بلادهم ومساكينها مما سلموه من الحقوق الواجبة عليهم ، فأمر الإمام بالربع [٤] من هذه الحقوق على أن توزع على الضعفاء والمساكين . وإذا افترضنا عدم وجود هذه الإشارة التاريخية ، فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن الزكاة تؤخذ من أغنياء القوم وترد إلى فقرائهم ، إذاً لا بد أن يكون للفقراء والمساكين في الدولة المنصورية نصيباً من مال الزكاة .

و ـ الهدايا والهبات :

وهذه عادة ما تكون للأمراء الأيوبيين المنشقين عن دولتهم والمنضمين إلى الإمام ، وكان الإمام يعتني بهم عناية كبيرة ويكرمهم ويعاملهم أحسن معاملة ، فقد كانوا له على مر تاريخ الدولة المنصورية السند القوي والحليف المخلص ؛ لما اشتهروا به من الشجاعة والإعداد الجيد للقتال ، فكان لا يبخل عليهم بشيء ، لعل ذلك يبقيهم إلى جواره فنجح مع بعضهم ولم ينجح مع آخرين . ومن هؤلاء الأمراء الذين حظوا بمثل هذه المعاملة الأمير المؤيد بن قاسم الذي أهداه الإمام أربع من جياد الخيل ، وخلع عليه وعلى أصحابه وخواصه

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٧٦٥ .

[3] وادي فريح : من وديان عزلة البطنة ، ناحية القفلة ، في خمر على بعد (ستة كيلو مترات) شمال شرق صور . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، حاشية رقم (١) .

[4] المصدر نفسه والصفحة .

خلعاً سنية ، وعلى سائر العسكر برداً من الحرير الصرف [٥] ، كذلك الأمير محمد بن كز اليرقشي الذي تلقاه الإمام بما هو أهله من الاحترام ، وقدم له ثماني أفراس من جياد الخيل ، وعشرين نصفية من بز العراق ، وأربع أبراد حريرية من أبراد حجة [١] . ويظهر أن الإمام قد استخدم هذه الطريقة مع معظم الأمراء الأيوبيين الآخرين ، الذين انضموا إليه في وقت من الأوقات ، كالشهاب الجزري ، والأمير وردسار ، وقبلهما الأمير حكو . ونظراً لحجم هذه الهدايا والهبات والتي تعد ثمينة مقارنة بتلك المرحلة ، فقد مثلث مصرفاً جديداً من مصارف الموارد المالية .

٤ ــ الصناعة :

لا توجد معلومات واضحة و صريحة في المصادر التاريخية عن الصناعات التي كانت موجودة في الدولة المنصورية ، ومع ذلك نستطيع أن نكون صورة عن بعض هذه الصناعات من خلال بعض الشذرات التاريخية التي وردت في السيرة المنصورية ، وبالاستعانة ببعض المراجع الحديثة [٢] التي ستساعدنا في هذا ، ومن هذه الصناعات :

أ ــ صناعة الأسلحة :

لا بد أن مثل هذه الصناعة كانت مشتهرة في تلك المدة ؛ بسبب الحاجة الملحة لها ، فالبلاد تمر بحالة من الحرب المستمرة [٣] ــ ناهيك عن قطاع الطرق الذين اتخذوا من النهب والسلب وسيلة للرزق ــ التي يحتاج فيها كل طرف إلى كل أنواع الأسلحة ، كالسيوف والرماح والدروع والقسي وغيرها . كما أن العادات والتقاليد في اليمن ــ منذ القدم ــ تلزم الإنسان اليمني باقتناء مثل هذه الأسلحة كجزء من اللباس التقليدي ، وهذا متعارف عليه حتى اليوم ، وخاصة في المناطق الشمالية والشرقية من اليمن .

ولعل أبرز ما يؤكد وجود هذه الصناعة في الدولة المنصورية ما ورد في السيرة المنصورية من أن الإمام قد أخذ أخماس الحديد من المناطق التي تشتهر بوجوده ، وتوعد بالعقوبة الشديدة لمن يمد الأيوبيين بالحديد ؛ وذلك لأن الطرفين يستعملانه في صناعة الأسلحة ، التي يستعين بها كل طرف على الآخر . وفضلاً عن ذلك ، كان من أهم الشروط

---

[5] المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ .

[1] . ابن دعثم ،السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .

[2] العسيري ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ، ص ٢٧٥ ــ ٢٨٨؛ جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٤١ ــ ١٥٩ .

[3] انظر : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣ ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٢٦ ــ ٧٢٧ .

التي فرضها الأيوبيون على الإمام في أي معاهدة صلح ، أن يمدهم بخمسة أحمـــال حديـــد موقرة في كل سنة ، مع أنهم يستوردونه من مصر وغيرها من الدول عبر مينـــائي عـــدن وزبيد [٤] ؛ إلا أنهم أرادوا بذلك إضعاف قدرة الدولة المنصورية على صنع الأسلحة .

ب ـ صناعة الحُلِي :

أما صناعة الحلي من الذهب فلم تكن رائجة في تلك المدة ؛ نظراً لندرة وجوده فـــي اليمن ، (باستثناء وجودها في صنعاء وأعمالها) [١]. أما الفضة والعقيـــق فقـــد اشـــتهرت صناعتها ــ آنذاك ــ وما زالت مشهورة ، فمن الفضة يصنع الحلي كـــالأقراط والخلاخـــل والقلادات والخواتم والأساور وأحزمة الوسط ، كذلك دخلت الفضة بشكل كبير في سك العملة ، وصناعة الجنابي ، ومقابض السيوف وأغمادها ، التي تُزين بالفضة وبالأحجار الكريمة ، حتى أن قيمة السيف أو الجنبية تقدر بقد ما فيه من الفضة والعاج والأحجار الكريمة ، ويعود ذلك كله لتوافر هذا المعدن في اليمن .

ج ـ صناعة البرود [٢] والملابس :

ورد عند ابن دعثم ما يدل على وجود هذه الصناعة ، فقد أهدى الإمام أربعة أبـــراد حريرية من أبراد حجة للأمير محمد بن كز اليرقشي [٣] ، وهذا يؤكد أن حجـــة اشـــتهرت بصناعة مثل هذه الأبراد الثمينة ، والتي لولا جودتها وإتقانها لما أهداها الإمـــام إلـــى هـــذا الأمير ، كما أن ذلك لا يمنع وجود مثل هذه الصناعة فـــي منـــاطق أخـــرى مـــن الدولـــة المنصورية ، وإن لم تكن بجودة أبراد حجة .

د ـ صناعة الجلود :

كانت هذه الصناعة موجودة فعلاً في منطقة صعدة [٤] ، التي انتشرت فيها مـــدابغ الجلود وكانت تستعمل نبات القرظ [٥] في الدباغة ، ولا سيما أن اليمن تشتهر بـــوفرة هـــذا النبات . وقد كان الجلد المدبوغ يستعمل في صناعة النعـــال والأحذيـــة الجلديـــة ، وقِـــرَب

---

(4) جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٥٤ .

(1) الحمـــوي ، معجـــم البلـــدان ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ .

(2) البرُود (جمع بُرد) : وطول الواحد منها ثمانية أذرع ، وكانت لها شهرة كبيرة في شبه الجزيرة العربية . العسيري ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ، ص ٢٧٧ .

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .

(4) جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٤٩ .

(5) الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٦٨ .

الماء [٦] التي كان السكان يستخدمونها في نقل الماء من منابعه وآبـاره إلـى منـازلهم ، أما الجلود التي تستعمل في هذه الصناعة فعادة ما تكون جلود الأبقار والماعز والضأن .

٥ ـ التجارة :

أ ـ التجارة الداخلية :

وهي التي كانت تتم بين مناطق اليمن المختلفة ، وخاصة الخاضعة للدولة المنصورية من جهة ، والدولة المنصورية والدولة الأيوبية من جهة أخرى ، فقد كانت كل منطقـة مـن مناطق اليمن تمتاز بخصائص ومميزات جغرافية تختلف عن المناطق الأخرى ، وهو الأمر الذي جعل كل منها تعتمد على الأخرى في سد احتياجاتها من السلع الزراعية والـصناعية ، والتي شملت كل شيء ، باستثناء الحديد والخيول والإبل التي منع الإمام بيعها وتداولها كمـا تقدم ، وقد شملت هذه التجارة تبادل الخضروات والفواكه والحبوب والحيوانات والصناعات اليدوية والحرفية والزيوت والصابون والبهارات وغيرها من السلع التي يحتاجهـا النـاس ، بالإضافة إلى ذلك اعتمدت الدولة المنصورية على ما تستورده الدولة الأيوبية من سلع مـن مصر والهند وغيرهما عبر مينائي زبيد وعدن [١] ؛ وذلك لما تتمتع به هذه السلع من جودة من جانب ، ولندرة وجودها في الدولة المنصورية من جانب آخر ، وخاصـة أن الأخيـرة لم يكن لها أي منفذ بحري تستطيع من خلاله الاتصال بالدول الأخرى .

ب ـ التجارة الخارجية :

لم نستطع استنتاج ما يدل عليها من المصادر التاريخية ، وتحديداً خـلال مطالعتنـا للسيرة المنصورية التي لم تُشر إلى هذا الموضوع إلا قليلاً ، أما المصادر الأخـرى فهـي ـ غالباً ـ ما تتحدث عن هذه التجارة في الدولة الأيوبية في اليمن ، التي كانت تسيطر على أهم الموانيء التجارية الواقعة على البحر الأحمر وخليج عدن ، والتي من خلالهـا تبادلـت التجارة مع العديد من الدول في الشرق والغرب .

---

[6] جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٤٩ .

[1] وبالمقابل استوردت الدولة الأيوبية من الدولة المنصورية بعض السلع ، وخاصة الحديد من صعدة ، وذلك بناءً على الشروط التي تضعها الدولة الأيوبية في أي صلح تعقده مع الإمام ، والتي تقدر بخمسة أحمال حديد موقرة . وكذلك استورد الأيوبيـون من الدولة المنصورية الملح الذي كان يوجد بكميات كبيرة في مأرب . انظر : ابن دعثم ، السيـرة المنصوريـة ، مـج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٩ ؛ جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١٥٢ .

إن عدم امتلاك الدولة المنصورية ميناءً بحرياً في أي مرحلة من مراحلها ، لم يشجع على قيام مثل هذا النوع من التجارة ، إلا أنه لم يمنع قيامها وخاصة مع الحجاز والعراق وبلاد الشام عن طريق البر ، إذا أخذنا بعين الاعتبار العلاقات الحميمة التي كانت تربطها مع الأشراف في الحجاز ، حيث مثل الحجاز بالنسبة لها حلقة الوصل التي تربطها بالعراق من جهة وبلاد الشام من جهة أخرى ، فكان الإمام يشتري من تلك المناطق بعض ما يندر وجوده في اليمن كالخيول [١] وغيرها . أما العامة والتجار فقد كانوا يستغلون موسم الحج للتجارة ، فيأخذون معهم ما تشتهر به اليمن ويقل وجوده عند غيرهم لبيعه هناك ، وعند عودتهم يأخذون معهم البضائع التي تشتهر بها تلك المناطق ولا توجد في اليمن .

أما هذه البضائع فلا توجد أشياء محددة يمكننا حصرها ، إلا أن الأمر لا يخلو من التجارة بالسلاح والملابس والحلي والمواشي والأنعام والجلود والخيول والغلات الزراعية . أما التجارة مع العراق ، فقد ذكر ابن دعثم أن الإمام عبد الله بن حمزة أهدى الأمير الأيوبي محمد بن كز اليرقشي ومن معه عشرين نصفية من بز العراق [٢] ، وهذا يدل على أن ثمة تجارة كانت قائمة مع العراق ، وأن هناك بضائع أخرى تم استقدامها من هناك — وإن لم تذكرها المصادر التاريخية — ولا سيما إذا علمنا أن العراق يشتهر بالعديد من السلع التجارية التي تمتاز بجودتها وإتقانها .

ثالثاً : المظاهر العمرانية :

شهدت الدولة الزيدية في عهد الإمام عبد الله بن حمزة تطوراً معمارياً ملحوظاً في مختلف أنواع العمارة ، فقد كان الإمام كثير الاهتمام بإنشاء وترميم الحصون ، والمدارس والدور . وعلى الرغم من فقر الدولة الزيدية وضعف مواردها [٣] ، إلا أن الإمام استطاع من خلال هذه الموارد الشحيحة فعل الكثير في مجال العمران ، والذي ما زالت بعض معالمه باقية حتى يومنا هذا شاهدة على ذلك الاهتمام الذي أولاه هذا الإمام للعمران بمختلف أشكاله ومظاهره ، والذي يمكننا تقسيمه على النحو الآتي :

---

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٤١ .

[2] المصدر نفسه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .

[3] نحن نوافق العسيري على هذا الرأي لكننا لا نوافقه على نفي مظاهر الحضارة عن الدولة المنصورية بدعوى أنها لم تعرف الاستقرار وأن الاستقرار شرط أساسي في قيام الحضارة ، فضلاً عن تركزها في المناطق الجبلية الصعبة مما أدى إلى عزلتها وعدم اختلاطها بالدول الأخرى ذات الحضارة المتطورة ، وأن الإمام كان ينظر إلى مظاهر الحضارة على أنها من قبيل الترف . انظر : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ، ص ٢١٥ ، فالإنجازات العمرانية في الدولة المنصورية تدل على عكس ذلك وإن لم تساعد الإمكانيات المادية المحدودة على التوسع فيها .

١ ــ العمارة العسكرية :

وهي التي نعني بها عمارة الحصون ، وإصلاحها وتوسيعها وما إلى ذلك ، والتي أدت دوراً كبيراً في الصراع العسكري والسياسي الدائر بين الإمام والأيوبيين ، فلا غرابة أن يوليها الإمام كل ذلك الاهتمام والعناية . فهذه الحصون بمثابة القواعد العسكرية التي تحمي الإمام من الأعداء ، والتي يُعد وجودها في منطقة ما سيادةً كاملة على تلك المنطقة .

إن الاهتمام الذي حُظيت به هذه الحصون لم يكن عفوياً ، وإن كان ناتجاً عن حاجة ملحة فرضتها تلك المرحلة ؛ إذ وجد الإمام نفسه مضطراً إلى شراء الحصون وعمارتها وترميمها ، ساعياً من وراء ذلك أن يوطد أساس الدولة الزيدية المتعثرة ــ آنذاك ــ فكانت النتيجة في نهاية المطاف الكثير من المنشآت العمرانية التي أنجزها ، والتي ستظل مقترنة باسمه طالما ظلت قائمة . فمازلنا إلى اليوم نتحدث عن حصن ظفار ، الذي لا يذكر اسمه إلا ويُذكر اسم الإمام عبد الله بن حمزة معه ، والذي مازالت بقاياه اليوم تدل على منعته وتحصينه وأهميته بالنسبة للدولة المنصورية في ذلك الحين . فلولا هذه الأهمية لما أفرد ابن دعثم العديد من الصفحات للحديث عن هذا الحصن ، وأسباب عمارته ، ومراحلها ، وسبب تسميته ، وبعض المعارك التي شهدها هذه الحصن ومشاركة الإمام بنفسه في بنائه .

أما سبب عمارته ، فقد ذكر للإمام أن الناس في تلك المنطقة لا يجدون ملاذاً آمناً لهم من الأيوبيين عند قدومهم إليها (١) ، مما يضطرهم إلى الاستسلام . ثم أشار جماعة من أصحاب الإمام عليه بأن يعيد بناء قلعة الإمام أبي الفتح الديلمي ، التي كانت ــ آنذاك ــ أنقاضاً خربة لا فائدة منها ، لكن الإمام أعرض عن هذا الرأي لأنه طافها عشي(٢) ولم يتفحصها جيداً (٣) ، ثم جرى الكلام عليها مرة أخرى في مجلس الإمام ، فلم يجد بداً من إلقاء نظرة عليها مرة أخرى ، فلما طاف بها وأمعن النظر فيها ورأى ما فيها من تحصين ومنعة ؛ عزم على إعادة بنائها بعد أن شاور الأمراء في ذلك (٤) .

أما عمارة هذا الحصن التي ابتدأت في شهر شوال من عام ٦٠٠ هـ (٥) ، فقد مرت بثلاث مراحل على فترتين : الأولى صباحية والثانية مسائية :

---

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ .

(2) تعاشيت عن الشيء تغافلت ، والعشوة ركوب الأمر على غير بيان .ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ ، حاشية رقم (٤) .

(3) المصدر نفسه والصفحة .

(4) المصدر نفسه ، ص ٤٨٣ .

(5) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

- **المرحلة الأولى :** أمر الإمام بإعادة بناء سور الحصن [٦] باستخدام صخور قوية وكبيرة .
- **المرحلة الثانية :** اُختصت بحفر الخندق حول الحصن .
- **المرحلة الثالثة :** تم فيها ترميم مخازن الحبوب وخزانات المياه ثم تم شحن الحصن بالرجال والأسلحة والمؤن .

ولما انتهى العمل من عمارة هذا الحصن الذي اشترك الإمام بنفسه في بنائه [١] ؛ أطلق عليه الإمام اسم " ظفار " استبشاراً به ، ولعل الله يجعل الظفر مرادفاً له وقريناً ، كما قال ابن دعثم ، الذي أضاف : " فكان اسماً موافقاً لمسماه ، فما أسرى منه [الإمام] سرية ، ولا جهز عسكراً إلا كان الظفر قرينه والنصر خدينه " [٢] . ويصف الدكتور عبد الحليم نور الدين هذا الحصن بقوله : " وتشير أطلال قصر [٣] الإمام المنصور ... إلى أنه كان حاكماً قوياً وثرياً [٤] ... وكان يملك الحس الحضاري المتفتح . و يشير انتشار خزانات الماء [٥] إلى الموقف الصعب ... عندما يتناقص سقوط المطر ويعز الحصول على الماء . و تتخذ هذه الخزانات أشكال دائرية أو بيضاوية ، وكان بعضها مسقوفاً " [٦] .

ثم يضيف : " ويظهر بوضوح ... ما كان يتكبده الغزاة من مشقة ... للوصول إلى مدينة ظفار ... بأسوارها وقلاعها وحصونها المنيعة . كما يظهر أيضاً ما كان يتمتع به المسلمون [اليمنيون] من عقلية عسكرية فذة وحس جغرافي بخصائص المكان " [٧] .

وإذا كنا نريد معلومات أكثر دقة عن حصن ظفار فسنجدها عند القاضي إسماعيل بن علي الأكوع الذي زار هذا الحصن أكثر من مرة ، وكانت له جهود محمودة في المحافظة عليه من الخراب ، والذي وصفه بقوله : " ظفار حصن مشهور يدعى (ظفار الظاهر) ، كما يدعى ظفار (ذي بين) وظفار داود . و يقع في رأس جبل ، يحيط به من الشمال حصن القاهرة ، ثم يقع أدنى منه دار الحجر ... وتقع المدينة بين دار الحجر والقاهرة ، وهي خراب ، ومن الجنوب القفل ، ومن الشرق قضف المنصورة ورأس المدينة ، ومن

---

[6] انظر فيما سيأتي ، ص ٢١٥

[1] العزي ، عرض لحياة و آثار الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ص ٢٨ .

[2] السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

[3] من المؤكد أنه يعني حصن ظفار فالإمام لم يكن له قصر في يوم من الأيام .

[4] يبدو أن مؤلف الكتاب لا يعرف الكثير عن الإمام عبد الله بن حمزة الذي كثيراً ما عانى من أزمات مالية جعلته في كثير من الأحيان يرهن درعه ويبيع بعض جياده بأرخص الأثمان . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج٢ ، ج٣ ، ص٥٩٠ ــ ٥٩١ .

[5] انظر فيما سيأتي ، ص ٢١٥ .

[6] مقدمة في الآثار اليمنية ، منشورات جامعة صنعاء ، صنعاء ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢١٨ .

[7] المرجع نفسه ، ص ٢١٩ .

الغرب (تعز) و(الطفة) . ومكان ظفار وسط بين ثلاث قبائل ، هي مرهبة من الشمال والغرب ، وأرحب من الجنوب ، وسفيان من الشرق " [٨] .

كما لم يقتصر هذا النوع من العمارة على حصن ظفار [٩] ، إنما تعداه إلى العديد من الحصون التي أمر الإمام بعمارتها وترميمها مرة أخرى ، بعد أن استولى عليها من الأيوبيين . فعادة ما تتعرض هذه الحصون وملحقاتها للخراب والتدمير أثناء محاصرتها أو محاولة اقتحامها واستعادتها ، وفي كلا الحالتين على المنتصر أن يعيد عمارتها مرة أخرى حتى يستفيد منها عسكرياً ، كما فعل الإمام مع حصن العادي ، الذي هاجمه قوم من جنب وتركوه خراباً ، فأمر الإمام بإعادة اعماره من جديد [١] .

٢ ـ العمارة الدينية :

ويشمل هذا النوع من العمارة ما تم إنجازه في عهد الدولة المنصورية من بناء جوامع ، ومدارس دينية ألحقت بهذه الجوامع ، فكما اهتم الإمام ببناء الحصون اهتم بالقدر نفسه ببناء الجوامع ، والمدارس الدينية ، فالأصل في الإمامة الزيدية أن لها جانبين : جانباً سياسياً ظهر بوضوح من خلال إدارة الإمام لشؤون الدولة المنصورية السياسية والعسكرية ، وجانباً دينياً ظهر في الاهتمام بالعلوم الفقهية ، والمدارس الدينية ، وطلبة العلم الذين يتلقون تعليمهم في بادئ الأمر في حلقات المساجد ، وبعد أن يقطعوا شوطاً في التعليم ؛ يلتحقوا بالمدارس المنصورية لإكمال تعليمهم ، والتي تكون في الغالب ملحقة بالجامع نفسه .

ولذلك ، كثيرة هي الجوامع التي أمر الإمام بعمارتها ، وأبرزها : جامع ظفار الذي وصفه الدكتور عبد الحليم نور الدين بقوله : " ويظهر أثر الحس الحضاري المتفتح ... في المسجد ... وتتميز عمارة هذا المسجد بشكل ملحوظ عن بقية المساجد اليمنية ... كما تميزه كذلك العناصر الزخرفية الفريدة التي يزخر بها " .

" لقد أقيم المسجد على مساحة مستطيلة من الأرض ... ويحاط الصرح بأربعة أروقة أهمها رواق القبلة . ويضم هذا الرواق صفين من الأعمدة . ويحتوي كل صف منهما على عشرة أعمدة ، تعلو هاماتها تيجان مزخرفة بالجص [٢] ، ويبدو تحت السقف مباشرة

---

[٨] هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٨٣ ــ ١٢٨٤ .

[٩] نظراً للأهمية التاريخية لهذا الحصن وتفرد طابعه المعماري ، فقد تم ترميمه عن طريق المساعدات الألمانية ، إذ قامت إحدى الباحثات بترميمه ، وحاولت شيئاً لم يحاوله أحد ممن يعنيهم الأمر . العزي ، عرض لحياة و آثار الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ص ٢٧ حاشية رقم (١)

[١] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

[٢] انظر فيما سيأتي ، ص ٢١٣ .

افريز من الخشب ويدور هذا الأفريز حول الجدران الداخلية لرواق القبلة ... نقشت عليها آيات قرآنية بالخطين الكوفي والثُلث " [٣] .

" وحدث عن المئذنة ولا حرج فهي من أبرز العناصر المعمارية ... في المسجد ، وهي تحاذي الجدار الشرقي وتبدو وقد شيدت بالآجر على قاعدة مربعة . وتتخذ شكل عمود إسطواني تلتف حوله زخارف على شكل ثعابين متقابلة الأفواه [٤] . ولقد شاع استخدام هذا العنصر ... في الفن السلجوقي [١] ... ويحتل ضريح الإمام المنصور رقعة مربعة من مساحة الصرح [٢] . وتحيط به بعض القبور . وهناك ضريح آخر في الجنوب الشرقي من المسجد يضم رفات ابن الإمام (الناصر لدين الله محمد) " [٣] .

ثم يعقب على ذلك بقوله : " ومساجد هذه المدينة وأضرحتها وخزانات الماء وكل منشآتها المعمارية تعبر عن مهارة المعماري الذي صمم ومهارة البنّاء الذي نفذ ... ومهارة النقاش الذي زين وجمل البناء . وتعبر في الوقت نفسه عن ... ثراء الدولة وازدهارها "[٤].

أما القاضي إسماعيل بن علي الأكوع فيتحدث عن هذا الجامع بقوله : " ... وعمر [الإمام عبد الله بن حمزة] ... جامعاً شرع في بنائه لأيام خلت من جمادى الآخرة سنة ٦٠٢ هـ ، ولم يُفرغ من عمل نقوشه وزخارفه إلا سنة ٦٣٨ هـ . على يد أخيه الأمير يحيى بن حمزة ، كما هو مزبور في جداره .

ويعتبر هذا الجامع الغاية القصوى ، في كمال البناء ، وروعة الزخارف ، ودقة النقوش ، والكتابة بالخط الكوفي المحفور على أخشاب سقفه وعلى جوانبه ، والمصبوغ بألوان زاهية ثابتة ، ولا شك أن القائمين على عمارته قد اقتبسوا طراز العمارة من عمائر رائعة ، ولعله استقدم معماريين من خارج اليمن ؛ لأن أثر الفن العباسي ظاهراً جلياً من

---

(3) انظر فيما سيأتي ، ص ٢١٠ .

(4) انظر فيما سيأتي ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(1) السلاجقة : مجموعة من القبائل التركية التي عُرفت باسم (الغز) ، كانت تسكن الهضبة القريبة من بحيرة خوارزم ، والهضاب المحيطة بنهري سيحون وجيحون ، وقد أطلق على هذه القبائل التركية اسم السلاجقة نسبة إلى رجل منها تزعمها واسمه (سلجوق بن دقاق) ولم يكن لهذه القبائل اسم خاص تعرف به قبل تولي سلجوق هذا رئاستها ، ويبدو أنه هو الذي جمع شملها ، ووحدها تحت زعامته ، ثم قادها ونزل بها أرض الإسلام ، فأسلمت معه وانتسبت إليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده . وفي سنة ٤٤٧ هـ استنجد بهم الخليفة العباسي القائم بأمر الله عبد الله بن أحمد على البويهيين فاسدل الستار على الدولة البويهية ، التي سيطرت على الخلافة العباسية وحلت محلها في الحكم الدولة السلجوقية بقيادة سلطانهم طغرلبك السلجوقي . انظر :الزهراني ، محمد بن مسفر (الدكتور) ، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية ، ط ٢ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٦٧ ــ ١٦٨ ؛ الناصر ، محمد حامد ، الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري ، ط ١ ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م ، ص ٥١ ــ ٥٦ .

(2) انظر فيما سيأتي ، ص ٢١٤ .

(3) مقدمة في الآثار اليمنية ، ص ٢١٩ .

(4) المرجع نفسه والصفحة .

طراز عمارة هذا الأثر الإسلامي الرائع ، ولا سيما في مئذنته . ففيها شـبه كبيـر بطـراز عمارة المدرسة المستنصرية في بغداد " [٥] .

وإلى جانب هذا الجامع هناك جوامع أخرى تعود إلى عهد الدولة المنصورية ، منها : جامع حوث [١] الذي تدل بعض الكتابات المزبورة على لوح كان في الجدار العلـوي مـن الجامع على أنه من عمارة الإمام عبد الله بن حمزة [٢] ، وجامع أثافت ، والجامع بالجوف الأعلى بهجرة سوق آل دعام [٣] ، وجامع الحلاة [٤] ، أو الحلة [٥] ، وجامع شوابة [٦] .

أما بالنسبة للمدارس المنصورية فنعتقد أن كل جامع من هذه الجوامع المذكورة تُلحق به مدرسة يعين لها مدرس يقوم بشؤونها .

٣ ــ العمارة المدنية :

لم تتوافر معلومات كثيرة عن هذا النوع من العمارة ؛ لأنها لم تحظَ بالاهتمام والعناية اللذين أولاهما الإمام للعمارة العسكرية والدينية ، وذلك لأن هذا النوع من العمارة لم تكن له أهمية سياسية أو دينية بالنسبة للإمام ، كما أن الموارد الإقتصادية للدولة المنصورية لم تكـد تكفي لبناء الحصون والجوامع فكيف بالدور والمصالح العامة للناس ، إلا أن ذلك لا يعنـي خلو الدولة المنصورية من مظاهر العمارة المدنية ، ولكنها لم تكن بالشكل الذي برزت فيـه العمارة العسكرية والعمارة الدينية ؛ إذ اقتصرت على بناء بعض الدور التي خلـت مـن أي

---

(5) الاكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص١٢٨٤ . وقد قامت منظمة اليونسكو بترميم هذا الجامـع بعد أن تعرض للخراب والدمار بسبب قذائف الطائرات المغيرة على أعوان النظام الملكي الذين تحصنوا في ظفار وذلك من خلال إرسال صفائح من الزنك المقوى إلى هناك ، وقام مهندسـان فرنسيـان بتركيب تلك الصفائح على قوائم حديدية ، فغطيا المسجد وملحقاته لمنع تسرب ونزول مياه الأمطار على المسجد حتى لا تنهار بقية سقفه ويختل بنيانه ، وكان ذلك بإشراف الباحثـة الفرنسيـة ماريـا كرستيـن د نشُوت . الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٨٥ .

(1) يعرف أيضاً بمسجد الصومعة وكان أهل حوث إلى وقت قريب يصلـون به صـلاة العيديـن .الأكـوع ، هجـر ، ج ٣ ، ص ١٢٨٥ ؛ فنستر ، بربارة ، " تقارير أثرية حول بعض المباني الإسلامية في اليمـن " ، ج ١ ، ترجمـة : عبد الفتـاح عبد العليم البركاوي ، المعهد الالمانـي للآثار بصنعـاء ، صنعـاء ، ١٩٨٢ م ، ص ٧٥ ــ ٧٧ ؛ انظـر فيمـا سيأتي ، ص ٢١٦ ــ ٢١٩ .

(2) الأكوع ، هجر ، ج ١ ، ص ٤٩٣ .

(3) يبدو أن هجرة آل الدعام هي درب فاضل ، التي أصبحت فيما بعد قرية الزاهر ، لأن قرية الزاهر لم تذكر في مصـادر تلك الفتـرة إلا في سنـة ٦٤٧ هـ . ابـن دعثـم ، السيرة المنصوريـة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٤٠ ، حاشيـة رقم (١) . وما يؤكد هذا الاعتقاد وجود مسجدين في الزاهر من عمارة الإمام عبد الله بن حمزة .ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج١ ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ ، حاشية رقم (٢) ؛ المقحفي ، معجم ، ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦ .

(4) الحلاة : بلدة من خرفان من أوطان بني صريم . ابن دعثم ، السيرة المنصوريـة ، مـج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ ، حاشيـة رقم (١) .

(5) المصدر نفسه ، ص ٧٤٠ .

(6) المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ .

شكل من أشكال الفن المعماري ، كما أنها لم تكن بالمتانة والقوة التي تؤهلها للبقـاء فتـرات زمنية طويلة ، كما كان الحال مع الحصون والجوامع .

ناهيك عن ذلك أن السيرة المنصورية قد خلت من ذكر أي مظهر من مظاهر هذه العمارة ، باستثناء ما ذُكر عن عمارة دار للإمام في صعدة ، وأن الموقع الذي فيه هذه الدار سُمي بـ : الدرب المنصوري [٧] نسبة إليه ، وحتى هذه الدار لم تحوِ أشكالاً تـدل علـى التـرف ، فيكفي أن نعرف أن من يريد أن يقابل الإمام لا يلزمه إلا أن يقف على باب حجرتـه [١] ، وهذا يدل على تواضع هذه الدار ، كذلك التزم الإمام بإعادة إعمار القرى التـي تعرضـت للخراب والدمار من قبل عسكره ، كما فعل حين أمر الأمير علم الدين سليمان بـن موسـى بإعادة إعمار قرية العادية من بلاد ظليمة ، بعد أن تضررت من الحرب مع الأيوبيين [٢] .

رابعاً : المظاهر الفكرية :

١ ــ المبادئ الدينية للزيدية :

من المسائل المهمة التي يجب تناولها قبل التطرق للمظاهر الفكرية في عهد الإمام عبد الله بن حمزة مسألة المبادئ الدينية للزيدية ، وأصول الإمامة عندها ، والتي نستطيع من خلالها إبراز أوجه الشبه والاختلاف بينها وبين بقية الفرق الإسلامية وأسباب هذا الاختلاف ، وتتخلص هذه المبادئ فيما يلي : ــ

أ ــ التوحيد :

يعرف الزيدية التوحيد بأنه نفي التشبيه عن الله تعالى ، وهو على ثلاثة أوجه [٣] :

- **الأول** : الفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق .
- **الثاني** : الفرق بين الصفتين حتى لا تصف القديم بصفة من صفات المحدثين .
- **الثالث** : الفرق بين الفعلين حتى لا تُشبه القديم بفعل المخلوقين .

فالله هو الواحد الأحد الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان ، خالق للأشياء ، لا من شيء خلقها ، ولا على مثال صورها ، بل أنشأها إنشاءً ، وابتدأها ابتداءً ،

---

[7] المصدر نفسه ، ص ٤٠٤ .

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصوريـة ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

[2] المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ ــ ٣٢٨ .

[3] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٣٤ ــ ١٣٥ .

فهو جل ثناؤه لا يشبه الخلق ، ولا يشبهه الخلق ، لأنه الخالق الذي ليس كمثله شيء ، فهو شيء لا كالأشياء ، ولا تشبهه الأشياء [٤] .

وتعتقد الزيدية أن الله الموجد لكل شيء ، ولم يكن من أصل ، ولا يكون منه أبداً فصل ، الواحد في الربوبية والقدرة والعزة والملك والكبرياء والعظمة ، فكل قادر فمقدور عليه ، وكل مالك فمسلوب ملكه من يديه ، الكامل الدائم ، الملك السرمدي الباقي القادر فلا يقدر عليه ، العادل فلا ظلم لديه ، البريء من أفعال العباد ، المتعالي من اتخاذ الصواحب والأولاد ، السميع البصير ، لا تحيط به الأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، القائم بنفسه ، الذي لا قوام لغيره إلا به ، و لاتجري عليه الأزمنة [١] ، ولا تحويه الأمكنة ، فكيف تحوي الأمكنة من كون كل مكان ، و أوجد بعد العدم ما كان .

وترى الزيدية أن صفات الله هي عين ذاته لا تزيد ولاتنقص [٢] ، لأن الله قديم لا يحتاج في ثبوت هذه الصفات إلى فاعل ، فهو حي بنفسه لا بحياة زائدة عن ذاته ، وهو عالم بنفسه لا بعلم زائد عن ذاته ، وهو قادر بنفسه لا بقدرة زائدة عن ذاته ؛ لأن من قال أن العلم والقدرة غيره ، فقد جعل مع الله سواه ، وعندئذ عليه لزاماً أن يبين أيهما أقدم من الآخر ، فإن قال العلم والقدرة أقدم ، فقد كفر ، وإن قال أن الله أقدم ، فقد زعم أن الله كان بدون علم ولا قدرة قبل ذلك ، أي أنه كان جاهلا قبل العلم ، وعاجزاً قبل القدرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [٣] .

كذلك إذا كان الله عالماً بعلم وقادراً بقدرة ، فالعلم والقدرة يحتاجان إلى محل مخصوص ، والمحل المخصوص ، لا بد أن يكون جسماً فيه حياة ، وليس الله كذلك ، لأنه سبحانه حي بذاته فلا يحتاج إلى الحياة ولا يجب أن يكون حياً بحياة [٤] .

وفي السياق نفسه ، تنفي الزيدية رؤية الله بالأبصار في الدنيا والآخرة ، وعللوا ذلك بكون ما وقع عليه البصر محدوداً ، ذات أقطار والله عز في علاه غير محدود ، ولا ذو أقطار ، ولا تدركه الأبصار [٥] ، وهم بهذا القول يردون حديث الرؤيا الذي صح عن الرسول (ﷺ) ويؤولون الآيات القرآنية الدالة على هذه الرؤية .

---

[4] العمرجي ، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي ، ص ١٩١ .

[1] علي محمد زيد ، معتزلة اليمن ، ص ١٦١ .

[2] الصاحب بن عباد ، الزيدية ، تح : ناجي حسن (الدكتور) ، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٢٠ .

[3] العمرجي ، الحياة السياسية والفكرية للزيدية ، ص ١٩٢ .

[4] القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص ١٠٥ .

[5] يحيى بن الحسين (الإمام) ، المجموعة الفاخرة مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي إلى الحق ، تح : علي أحمد محمد الرازحي ، ط ١ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ٧٩ .

أخيراً ترى الزيدية أن القران محدث مخلوق ، أي أنه لم يكن ثم كان ، ويستدلون بالآية الكريمة : " **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث** " [٦] ؛ لأنه لو لم يكن محدث لشارك الله في القدم ، وهذا لا يجوز ، فالله وحده القديم ، وما سواه محدث مخلوق .

ب ـــ العدل :

تؤمن الزيدية بأن الله عادل غير جائر ، لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يعذبها إلا بذنبهـــا ، لم يمنع أحداً من طاعته ، بل أمره بها ولم يدخل أحداً في معصيته ، بل نهاه عنـــها [٧] فأفعال العباد حسنها وقبيحها منهم ، وليس من الله ، فالله تعالى يقول :

" **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** " [١].

" **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** " [٢] .

" **وكل شيء فعلوه في الزبر** " [٣] .

" **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** " [٤] .

" **وما ربك بظلام للعبيد** " [٥]

" **ولا يظلم ربك أحداً** " [٦] .

فكل هذه الآيات تدل ـــ بحسب إعتقاد الزيدية ـــ على أن أفعال العباد مردودة عليهم ، وأن الله لا يأمر بالقبيح من الأفعال فكيف ينهاهم عنها ويلومهم عليها وهو قدرها عليهم ، وعليه تعتقد الزيدية أن الله تعالى قد بين لخلقه الكفر والإيمان ، وجعل لأهل طاعته الثواب ، ولأهل معصيته العقاب ، والجزء من جنس العمل ، فإن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

أما القضاء فهو عندهم على عدة معان [٧] :

- **الأول** : بمعنى العلم بما سيكون ، تصديقاً لقوله تعالى : " **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض** " [٨] .
- **الثاني** : بمعنى الأمر ، وهو ما جاء في الآية " **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** " [٩] .

---

[٦] الشعراء : الآية (٥) .

[٧] المحلي ، الحدائق الوردية ، ج ٢ ، ق ٤ ب .

[١] النحل : الآية (٩٠) .

[٢] الكهف : الآية (٢٩) .

[٣] القمر : الآية (٥٢) .

[٤] النساء : الآية (٤٠) .

[٥] فصلت : الآية (٤٦) .

[٦] الكهف : الآية (٤٩) .

[٧] القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص ٥٢٢ ؛ علي محمد زيد ، معتزلة اليمن ، ص ١٧٣ ؛ الفضيـــل ، علـــي عبد الكريم ، الزيدية نظرية وتطبيق ، ط ١ ، المطابع التعاونية ، عمّان ، ١٤٠٥ هـــ / ١٩٨٥ م ، ص ٦٧ .

[٨] الإسراء : الآية (٤) .

● **الثالث :** بمعنى الخلق ، وهو ماورد في الآية " **فقضاهن سبع سموات في يومين** " [١٠] .

وعلى ذلك فليس معنى القضاء أن يقضي الله على عباده بالمعصية ، ثم يعذبهم عليها .

أما القدر عند الزيدية ، فمعناه تقدير الله بالطاعة على العباد ، وأما المعصية ، فهي منسوبة إلى العباد ، قال تعالى :

" **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** " [١١] .

ج ـ الوعد والوعيد :

وتعني به الزيدية وعد الله تعالى للمؤمنين من عباده بالجنة ثواباً على طاعتهم لـــه ، ووعيد للعصاة والكافرين بالنار جزاء على معصيتهم وفسوقهم ، فمن أطاع الله دخل جنته ، ومن عصاه دخل النار ، فكل من مات على كبيرة من الكبـــائر ـــ دون أن يتـــوب منهـــا ـــ فهو من أهل الوعيد ، وأصحاب النار الذين لا يخرجون منها أبداً ، تصديقاً لقولـــه ســـبحانه " **خالدين فيها أبداً** " [١]. فالذي تعتقده الزيدية أن الله عدل وأن عدله هذا أصل فـــي الوعـــد والوعيد ، فكما أنه لا يمكن أن يدخل من أطاعه النار ، لأنه لا يظلم أحداً ، كذلك لايمكن أن يدخل من عصاه الجنة لأن في ذلك إخلاف لوعيده ، والله لايخلف الميعاد ، فكل نفـــس بمـــا كسبت رهينة ، فمن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، ولا مجال للشفاعة ، أو الخروج من النار [٢] .

د ـ المنزلة بين المنزلتين :

والمقصود بها المنزلة بين الإيمان والكفر [٣] ، وتخص أهل الكبائر من أهل الصلاة والتوحيد الذين لم يصل بهم فسقهم وفجورهم حد الكفر ، كما أنهم بالمقابل ليسوا مؤمنين . فمن أرتكب كبيرة من الكبائر عند الزيدية أو ترك شيئاً من الفروض المنصوصة على وجه الاستحلال ، فهو كافر مرتد ، حكمه حكم المرتدين ، ومن فعل ذلك من باب اتباع هواه و شهوته فهو فاسق فاجر ، وإذا مات على ذلك دخل النار خالداً فيها [٤] .

---

(9) الإسراء : الآية (٢٣) .

(10) فصلت : الآية (١٢) .

(11) يس : الآيتات (٣٨ ـــ ٣٩) .

(1) الاحزاب : الآية (٦٥) ؛ الجن : الآية (٢٣) .

(2) يحيى بن الحسين ، المجموعة الفاخرة ، ص ٨٢ ـــ ٨٣ .

(3) القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص ٤٧١ .

(4) يحيى بن الحسين ، المجموعة الفاخرة ، ص ٨٢ ـــ ٨٣ .

وقد أوجدت الزيدية هذه المنزلة بين المنزلتين من قوله تعالى " **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** " [٥] ، وهي بذلك تُوجد حلاً وسطاً بين المرجئة الذين يرجئون أمر الإنسان إلى الله ، مهما فعل من الكبائر والذنوب ، فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه [٦] ، وبين الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة بسبب فسقه [٧] .

هـ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

تتفق الزيدية في هذا المبدأ مع معظم الفرق الإسلامية كون ذلك علامة من علامات أهل الإيمان والخير والصلاح عملاً بقوله تعالى :

" **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** " [١] .

وقوله (ﷺ) : " **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** " [٢] .

لكن الزيدية كانت أكثر الفرق تمسكاً بهذا المبدأ ، بعد أن تمسك به إمامهم زيد بن علي الذي عمل وأتباعه على الأخذ به ، وسارت ـ لاحقاً ـ على نهجه أعداد كبيرة من أهل البيت في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية ، خلال عهد الخلافتين الأموية والعباسية ، طامحين من وراء ذلك استعادة الخلافة للعلويين .

٢ ـ أصول الإمامة عند الزيدية :

أ ـ إمامة المفضول مع وجود الأفضل [٣] :

وهذا الأصل الذي وضعته الزيدية في الإمامة عائد إلى إعتقادهم بأفضلية علي بن أبي طالب (ﷺ) واستحقاقه للخلافة من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن

---

(5) الحجرات : الآية (١١) .

(6) أحمد أمين ، ضحى الأسلام ، ج ٣ ، ص ٣١٦ ومابعدها .

(7) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(1) آل عمران : الآية (١١٠) .

(2) مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح ، مج ١ ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، ص ٥٠ ؛ النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، أوضح معاني أحاديثه : مصطفى محمد عمارة ، رقمه وعلق عليه : محمد سعيد كوكي ، بيروت ، د . ت ، ص ١٠٣ ؛ ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله (الشيخ) ، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ط ٢ ، دار القاسم للنشر ، الرياض ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ١٤ .

(3) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

عفان (ﷺ) ، الذين تولوا الخلافة قبله ، فأراد الزيدية أن يجدوا مخرجاً بين تفضيلهم لعلي بن أبي طالب وعدم طعنهم في الصحابة ، الذين تولوا أمر الخلافة قبله ، فأجازوا إمامة المفضول (أي الصحابة) ، مع وجود الأفضل (أي علي بن أبي طالب) ، وبذلك استطاعوا التوفيق بين الأمرين ، بينما يعلل الشهرستاني هذا الأصل بوجود عدد من الأسباب ، لعل أهمها : أن الخلافة فوضت لمن هو دون علي بن أبي طالب في الفضل والنسب تسكيناً لنار الفتنة ، وتطييباً لقلوب المؤلفة قلوبهم ، وحديثي العهد بالإسلام ، الذين كانوا يجدون في أنفسهم شيئاً من علي بن أبي طالب ؛ لأنه كان شديداً في طلب رقاب المشركين قبل أن يعم الإسلام ، ولذلك إقتضت المصلحة العامة تولية المفضول مع وجود الأفضل [٤] .

ب ــ أن يكون من أولاد فاطمة (ﷺ) :

أي أن يكون الإمام من نسل علي بن أبي طالب من أولاد فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) ، وبعبارة أخرى أن يكون من أولاد الحسن والحسين [١] ، وهم بذلك يمثلون حالة وسطاً بين الإمامية التي حصرت الإمامة في أولاد الحسين بن علي دون الحسن [٢] الذي تنازل عن الإمامة ، ولم يعطها حقها ــ بزعمهم ــ وبين الخوارج والمعتزلة الذين جعلوا الخلافة والإمامة حقاً مشروعاً لأي مسلم تتوافر فيه شروطها [٣] .

ج ــ القول بعدم عصمة الأئمة :

لأن من قال بعصمة الأئمة ــ وهم الإمامية [٤] ــ فقد غلا في أمرهم ، فلا تجوز هذه المرتبة إلا للأنبياء والرسل ، وأما ماسواهم فهم غير معصومين ، يصيبون ويخطئون وهم مأجورين في كلا الحالتين ، ولكن لا بد من التنويه أن الزيدية تقصد بهذا الأصل الأئمة ما بعد الحسن والحسين (ﷺ) ، لأن آل البيت ونقصد بهم علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عند الزيدية معصومين كعصمة الأنبياء ، وإنما خُص هذا الأصل بمن جاء بعدهم من الأئمة [٥] .

---

[4] الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١١٢ ــ ١١٣ .

[1] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٤٤١ .

[2] الحميري ، الحور العين ، ص ٢١١ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .

[4] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢٢٦.

[5] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٥٧ ؛ الحوثي ، بدر الدين بن أمير الدين ، المطرفية ، ط ١ ، مركز العدل والتوحيد للدراسات والبحوث والتحقيق ، صعدة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ١٩.

د ــ الخروج على أئمة الجور [٦] :

من أصول الإمامة عند الزيدية أن يخرج الإمام داعياً لنفسه ساعياً إليها ، فلا تصح فيمن قعد في بيته قائلاً بمبدأ التقية ، الذي تقول به الإمامية ، وجعلوا عدة الخروج على السلطان أقل ما تكون كعدة أهل بدر ، الذين خرج بهم الرسول (ﷺ) على كفار قريش ، وكانوا يناهزون الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً .

هــ ــ جواز خروج إمامين في وقت واحد ووجوب طاعتهما :

اشترطت الزيدية في هذا الأصل أن تكون الأقطار متباعدة صعبة الاتصال ببعضها ، فيقوم كل إمام ببلده التي هو فيها ، أما إذا اتصلت البلاد فيتولى الإمامة من هو مستوفٍ لشروطها أكثر من الآخر ، بمعنى إختيار الأفضل في العلم ، والورع ، والحزم ، والشجاعة وغيرها من الصفات الواجب توافرها في الإمام . ومع أن هذا الأمر لم يمر على الزيدية خلال تاريخها الطويل ، إلا أنه من غير المنطقي أن يتنازل أحد الإمامين للآخر بسهولة ويسر ، لاسيما بعد أن دانت له البلاد والعباد ، وذاق حلاوة السلطان .

٣ ــ مواقف الإمام عبد الله بن حمزة من الفرق الأخرى :

أولاً : المُطرّفية :

ظهرت في الآونة الأخيرة العديد من الدراسات التي اهتمت بمثل هذه العلاقة ، حتى أصبح واضحاً للعيان وجود تيارين متناقضين [١] في الآراء والأفكار ، وصار كلٌ منهما يدافع عن وجهة نظره بكل ما أُوتي من إمكانات بحثية وعلمية [٢] ومادية ، في محاولة منه لإدانة الطرف الآخر ، وهذا يلقي بعض الضوء على هذه العلاقة الشائكة .

إن موقف الإمام عبد الله بن حمزة من الفرقة المطرفية موقف يصعب تصنيفه تصنيفاً دقيقاً ؛ فبينما يفضل البعض أن يحصره في إطار ديني بحت ، ربما ليعلل ما فعله الإمام بهذه الفرقة ــ يفضل آخرون حصره في إطار فكري إجتماعي . وعلى هذا الأساس صارت هذه الفرقة بين أمرين وهما : إما أن تكون كافرة ، مرتدة ، ضالة مضلة عن مبادئ وأصول الدين الإسلامي ، وبذلك استحقت ما حل بها من العقوبة . وإما أن تكون منبراً للفكر

---

[٦] الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ٢ ، ص ١٥٨

[١] يتزعم التيار المؤيد للمطرفية الأستاذ : زيد بن علي الوزير ، والأستاذ محمد يحيى سالم عزان ، ويتزعم التيار المناهض للمطرفية الشيخ بدر الدين بن أمير الدين الحوثي ، والمحقق عبد السلام بن عباس الوجيه .

[٢] علمت في أثناء كتابة هذه السطور ، أن كلاً من الأستاذ زيد بن علي الوزير والمحقق عبد السلام بن عباس الوجيه بصدد إصدار كتاب خاص بالمطرفية ولا شك أن الكتابين سيكونان بين مبرئ ومدين للمطرفية .

والإبداع ، سبق عصره بعدة مئات من السنين ، وتم إجهاضه قبل ولادته ، وبذلك تكون اليمن عموماً قد خسرت الكثير بفقدانه [٣] .

وبين هذا وذاك تناسى الكثيرون الدور السياسي الذي كان لهذه الفرقة في تلك المرحلة ، والذي نؤكد على أنه أحد الأسباب التي أدت إلى ما حل بالفرقة المطرفية ، إذ لا يمنع عدم امتلاك المطرفية للقوة العسكرية أن يكون لها دور كبير ومؤثر في الصراع السياسي والعسكري الذي كان دائراً بين الإمام والأيوبيين . ومع التأكيد على عدم وجود وجه للموازنة والتشبيه ، نتذكر ما فعله اليهود في عهد الرسول (ﷺ) ، من مكر ومكيدة وتآمر مع الكفار والمشركين ضد المسلمين في المدينة مع أنهم لم يمتلكوا القوة العسكرية ؛ ولهذا لم يجد الرسول (ﷺ) بداً من قتالهم دفاعاً عن المدينة وأهلها ، ولذا فعلينا عند دراسة العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية ، أن ننظر إلى كل جوانبها ، فلا يدفعنا التعصب المذهبي إلى إبراز الأسباب الدينية فقط ، ولا يجرنا التوجه الفكري إلى إبراز الجوانب الفكرية دون غيرها ، بل علينا أن نحيط بالأسباب كافة ولا نهمل أياً منها .

وهنا نتساءل : أين يكمن الخطأ في هذه العلاقة ؟ أهو في أفكار وعقائد هذه الفرقة ؟ أم فيما فعله الإمام بها ؟ أم أنه يمكننا القول أن لدى هذه الفرقة أفكاراً وعقائد خاطئة ، ولكنها لا تستحق ما فعله الإمام بها ، و لاتجيز له ذلك ؟ وأخيراً هل الحديث عن هذه الفرقة هو انتصار للمظلوم وإشفاقاً على الضعيف ؟ أم هو لمجرد إدانة الإمام عبد الله بن حمزة والإنتقاص منه ؟ وعموماً نكاد نجزم أن الإمام لم يفعل ما فعله إلا عن إقتناع شديد به ، وبعد تفكير عميق وروية ، كما نجزم أيضاً بأنه لولا ما حل بهذه الفرقة لربما اندثرت أفكارها ومفاهيمها مع مرور الزمن ، وبالتالي لم تحظ بكل هذا الذكر والتباكي .

١ ــ نشأة المُطرّفية :

يذكر الإمام عبد الله بن حمزة [١] أن أول ظهور لمذهب المطرفية أحدثه شيخ من رؤوس ضلالتهم يقال له أبو الغوازي [٢] ، وكان من أهل قاعة في البون ، وأنه قد أنكر عليه من كان في عصره من آل الرسول (ﷺ) ، ولا سيما الشريف زيد بن علي[٣] من ولد

---

(3) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٩ ــ ١٠ .

(1) مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٨٢ ــ ١٨٣ .

(2) هو إبراهيم بن أبي الغوازي من بني عبد الحميد ، ونسبه في بني مالك ، كان من كبار علماء المطرفية . الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٣٠٥ .

(3) الشريف زيد بن علي بن الحسين بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .أظهر مذهب الزيدية بصنعاء ، وإليه ينسب دار الشريف المعروفة هناك ، له عدة مؤلفات أبرزها : كتاب (الرد على عامر بن عبد الله الظليمي فيما طعن فيه على الإمام الهادي إلى الحق) .

الحسن بن علي بن أبي طالب الذي كان أعلم أهل زمانه ، والذي رد عليهم وأخـزاهم ، ثـم تبعه على الطريق نفسه آخرون ، منهم العابد [٤] من ولد الهادي ، والشريف عمـاد الـدين الحسن بن محمد بن المهول من ولد الهادي ، وغيرهم .

أما أول وجود فعلي للمطرفية فكان إثر مناظرة وقعت بين عالمين من الزيدية وهما : علي بن شهر وعلي بن محفوظ ، وكان الخلاف بينهما حول وجود الأعراض ؛ إذ يرى علي بن شهر أن الله تعالى إخترع الأعراض في الأجسام ، وأنها لا تحصل بطبائعها ، بينما يقول علي بن محفوظ بحدوث العالم وأن الله فاعل مختار خلق الأصول الأربعة وهي : الماء والنار والهواء والثرى ، وهي التي تدبر العالم ، ثم خلق منها كل شيء ، وجعلها الله مختلفة مضادة كل منها للأخرى لكي تؤثر بعضها على بعض ، وتحدث التغيير أي " الإحالة " ، وتغير نفسها بنفسها أي " بالإستحالة " [١] .

وعلى هذا الأساس افترقت الزيدية إلى فرقتين : فرقة تابعت علي بن شهر فيما قاله من إختراع الله تعالى للأعراض فسموا بالمخترعة وفرقة تابعت علي بن محفوظ في قولـه بحدوث العالم والإحالة والإستحالة وسموا ــ لاحقاً ــ بالمطرفية نسبة إلـى مطـرف بـن شهاب [٢] . الذي تبنى أفكار علي بن محفوظ واهتم بتدريسها ، فالأصل في النشأة إلى علي بن محفوظ وفي التسمية لمطرف بن شهاب . بل إننا نستطيع القول : إن مذهب المطرفية لم يكن ناضجاً إلا على يد مطرف بن شهاب ، وإن نسبتها إليه يعد إعترافاً بأنه هو الذي بلورها بالشكل الذي انتهت إليه [٣] وإنه كرس نفسه لنشر هذه المعتقدات في أكثـر مـن منطقـة ، وكثيراً ما أضاف إليها من إجتهاداته [٤] .

وبناءاً على ما تقدم يمكننا القول : إن الفرقة المطرفية مرت بعدد من المراحل هي :

عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، حاشية رقم (٣) .

[٤] هو عبد الله بن المختار (القاسم) بن أحمد الناصر بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين . من أعلام القرن الرابع الهجري . عالم كبير ، حافظ ، أمير ، سياسي . كان أفقه أهل عصره وناحيته من آل الرسول (ﷺ) . عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، حاشية رقم (١) .

[١] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٨ ؛ أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بـلاد اليمـن حتى نهايـة القرن السادس الهجـري ، ط ١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٠٨ هــ / ١٩٨٨ م ، ص ٢٤٢ .

[٢] هو مطرف بن شهاب بن عمر بن عباد الشهابي ، من أعلام آخر المئة الرابعة وأول المئة الخامسة . كان على مذهب الهادي يحيى بن الحسين في الفروع ، كان في بداية أمره مزارعاً فترك الزراعة ، وخرج لطلب العلم في صنعاء ، فأخذ العلـم عن شيوخ عدة منهم علي بن شهر وعلي بن محفوظ وإبراهيم بن بالغ الوزيري وغيرهم ، ثم أسس هجرة سناع واعتزل بها وبنى فيها مسجداً اسمه عرابة ، وكان في الوقت نفسه مدرسة لتلقي علوم الدين والحديث إلى أن هدمه الإمام عبد الله بن حمزة ، ثم أعيد بناؤه مرة اخرى فمازال حتى اليوم . الأكوع ، هجر ، ج ١ ، ص ١٦٥ ــ ١٦٦ ، ج ٢ ، ص ٩٥٤ .

[٣] ابن الوزير ، زيد بن علي وآخرون ، حوار عن المطرفية الفكر والمأساة ، كتاب المسـار ، العـدد الأول ، ط ١ ، مركـز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٢٣ هــ / ٢٠٠٢ م ، ص ٥٣ .

[٤] علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٦٩ .

- **المرحلة الأولى :** ظهور الأفكار التي قامت على أساسها هذه الفرقة ، وهذا ما أشار إليه الإمام عبد الله بن حمزة في فصل إبتداء أمر المطرفية ، إذ تبنى مثل هذه الأفكار مجموعة من العلماء الذين اكتفوا بعرضها دون الترويج لها ، وبالمقابل اكتفى الأئمة والأشراف الزيدية الذين جاءوا بعد الإمام الهادي إلى الحق بالرد عليها ، وكان ذلك في بداية القرن الرابع الهجري .
- **المرحلة الثانية :** وفيها بدأت أفكار المطرفية تنتشر بين العامة ، فحدث الإنقسام إلى مخترعة ومطرفية ، وذلك بعد المناظرة التي حدثت بين علي بن شهر وعلي بن محفوظ ، والتي كانت في نهاية القرن الرابع الهجري .
- **المرحلة الثالثة :** وهي التي اتخذت فيها المطرفية هجراً خاصة بها للتفريق بينها وبين بقية الطوائف ، وكان أول من سن ذلك مطرف بن شهاب الذي بنى مع أصحاب له هجرة في سناع بالقرب من صنعاء وجعلوا فيها مسجداً ومدرسة لتعليم أصول المطرفية وعقائدها ، وكان ذلك في منتصف القرن الخامس الهجري .
- **المرحلة الأخيرة :** وهي مرحلة الصدام بين هذه الفرقة والإمام عبد الله بن حمزة ، الذي أطلق فتوى تبيح دماء وأموال وهجر المطرفية فكانت نهاية هذه الفرقة مع بداية هذه الفتوى .

إن التسليم بهذا المحك والمعيار في إنقسام الزيدية إلى مخترعة ومطرفية ، وبالتالي بالعوامل التي ساعدت أو أدت إلى نشأة المطرفية ، لايترك المجال لأحد أن يدرس أفكار هذه الفرقة أو يناقشها ، بل إنه في حقيقة الأمر حكم غيبي مسبق على هذه الفرقة بالكفر والإرتداد عن الإسلام ، ولذا علينا قبل هذا التسليم أن نحاول إستقراء وفهم بعضاً مما كانوا يودون قوله في تلك المرحلة ، لا بتبني معارضيهم وأقوالهم ، وإنما بحسب ماأرادوا أن يوصلوه للآخرين ، دون إضافة تدينهم وتشوه أفكارهم وأقوالهم ، أو نقصان يخل بمعنى هذه الأفكار .

٢ ـ أصول المُطرّفية وعقائدهم :

أ ـ نظرية العقل (١) :

ومعناها تقديم العقل في كل الأمور والمسائل ، فكل شيء يجب عرضه على العقل الذي من خلاله نستطيع تمييز الأشياء والحكم عليها ، مستندين في ذلك بالآيات التالية من القران الكريم :

" **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها** " (٢) .

---

(١) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٢٠٥ .

" إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " [٣] .

" أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " [٤] .

" وقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها " [٥] .

وهذا الأصل ليس غريباً على المطرفية ، فالمذهب الزيدي كله يقوم على تقديم الأدلة العقلية على الأدلة النقلية [٦] ، فأي آية تتعارض مع العقل يجب تأويلها ، وأي حديث لا يوافق العقل يجب رده ، والمطرفية في ذلك تقتدي بالإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الذي أسس مذهبه على هذا الأساس متأثراً في ذلك بالفكر المعتزلي الذي نشأ في العراق ، حتى إن كثيراً من المدافعين عن المطرفية يؤكدون أن الإنشقاق الذي حدث في الزيدية سببه أن الإمام عبد الله بن حمزة إنحرف عن المسار الذي رسمه الإمام الهادي ، فأدار ظهره لكثير من مقولات الهادي في الفروع [١] ، وكان قبل ذلك يقول : " إننا نهاب نصوص الهادي كما نهاب نصوص القران " [٢] . فلما كان ذلك منه ، إعترضت المطرفية عليه ، وتمسكت بما كان عليه الهادي ، وعليه فمن عاب شيئاً على المطرفية ، فليعب على الهادي ونصوصه أولاً . مع أن أقوال الهادي مجملة غير مفصلة ، ولا تصريح فيها لما يذهبون إليه ، بل هي بعيدة عما يستدلون به من القول بالإحالة والإستحالة وحدوث العالم [٣] .

وبعيداً عما يقوله هؤلاء وأولئك ، فإننا نرى أن ما وصلت إليه الزيدية من إنقسام ، وما حل بالمطرفية من تنكيل راجع في حقيقة الأمر إلى هذا الأصل ، الذي جعل من العقل ميزاناً تزن فيه نصوص القرآن والأحاديث النبوية ، مع علمنا أن هذا العقل قاصر عن إدراك كثير من الأمور ، فقدرته على الإدراك محدودة ، ومداها معين ، ناهيك عن أن الناس تتفاوت عقولهم من حيث الإدراك والإستيعاب ، فعلى من يكون القياس ؟ فما يعرفه عقل

---

(2) الحج : الآية (٤٦) .

(3) ق : الآية (٣٧) .

(4) محمد : الآية (٢٤) .

(5) الأعراف : الآية (١٧٩) .

(6) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٢٠٥ .

(1) الأكوع ، إسماعيل بن علي ، الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، ط ٣ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ٨٩ .

(2) المرجع نفسه والصفحة .

(3) أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٤٧ .

ينكره آخر ، وما يتصوره عقل يجهله آخر [٤] ، ثم ما فائدة الوحي المنزل مادام العقل قادراً بنفسه على معرفة ما يجب لله وما يُنفى عنه [٥] .

لقد بدأ الهادي أولى الخطوات التي مرت بها المطرفية ، فنفى الكثير من الأسماء والصفات عن الله تعالى ، والتي جاءت صريحة في الكتاب والسنة ، وذلك من أجل تنزيه الله عن التشبيه بخلقه ، فسارت المطرفية على الطريق نفسه ، فردت الكثير من الآيات القرآنية بدعوى تنزيه الله عن القبح والظلم ، فغلت في المسألة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه .

إن من أهم ما يجدر بنا ذكره ولا سيما في هذه المرحلة التي اشتد فيها النقاش حول المطرفية بشكل كبير ، فظهر من الكتّاب والأدباء والمؤرخين من يريد تصوير هذه الفرقة على أنها ضحية الجهل والإنغلاق الفكري الذي خيم على اليمن في تلك الفترة ، هو أن المطرفية التي دخلت في صراع مع الإمام عبد الله بن حمزة واستحقت منه ماحل بها ، ليست المطرفية التي كون أفكارها مطرف بن شهاب ، مع أننا لا نزكيها ، ولكننا أردنا أن نوضح أن المطرفية وعلى مدى عقود من الزمن غلت في أفكارها حتى تسلل السفهاء إلى صفوفها ، وانتسبوا إليها ، أمثال الرجل الأهنومي الذي رأى حبة شعير تنبت في جانب المسجد في داخل الجدار بعد أمطار غزيرة ، فسأل أصحابه : هل يجوز لأحد أن يخدش المسجد ولو بإبرة ؟ قالوا : لا يجوز هذا ، قال لهم ولم ؟ قالوا : لأن ذلك قبيح ، ولو زاد الخدش ووسع لخرب المسجد وخرابه قبيح . فتركهم أياماً حتى كبرت نبتة الشعير ، ثم سألهم ما تقولون في هذه النبتة في جدار المسجد أليست قد خدشت في موضعها ؟ قالوا : نعم قال : فهذا قبيح أو حسن ؟ قالوا : حسن ، قال : ألستم قلتم بالأمس أن خدش المسجد قبيح ؟ قالوا بلى ، قال : فهذا خدش له . فقال عوامهم هذا صحيح وما هو إلا قبيح ، وقال آخرون هذا القول لايجوز لكم ! لأن الله الخالق هو الذي أنبت الشعير ، فكثر الجدل بينهم [١] . وأمثال هؤلاء كثير ، كالذين نفوا عن الله أنه يميت الأطفال [٢] . فالمقصود هنا أن الإمام واجه في أيامه مطرفية من نوع هذا الرجل الأهنومي وأمثاله ، فلم يجد مفراً من التصرف معهم ، فمع أنه لم يكن مع المطرفية منذ إبتداء أمرها ؛ إلا أن الإباحة لم تكن إلا لأمثال هؤلاء [٣] .

ب ــ الإحالة والإستحالة :

[4] اللالكائي ، ابو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور ، شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، مج ١ ، ج ١ ، تح : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، ط ٦ ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ ، ص ٦٣ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

[1] الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ؛ الحوثي ، المطرفية ، ص ٤١ ــ ٤٢ .

[2] أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٥١ .

[3] الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

وهي قولهم : إن الله خلق الأصول الأربعة وهي : الماء والنار والهواء والثرى ، وهي التي تدبر العالم ، ثم خلق منها كل شيء وجعلها مختلفة ومضادة كل منها للأخرى ، لكي يؤثر بعضها على بعض فتحدث التغيير أي الإحالة وتغير نفسها بنفسها أي بالإستحالة ، وعلى ذلك فإن الحوادث اليومية كالنباتات والمولودات والآلام ونحوها حادثة من الطبائع الحاصلة في الأجسام (٤) .

ومع إن البعض ينفي وجود تأثير للفلسفة اليونانية (١) في هذا الأصل ، إلا أننا لا نستبعد وجوده ، وخاصة بعد أن وجدنا ما يماثله عند عالم الطبيعات الإغريقي أمبدوكلس (٤٩٣ ــ ٤٤٣ ق . م) ، الذي حدد عناصر الحياة بأربعة هي : النار ، الهواء ، التراب ، الماء (٢) وهذه هي نفس مقولة المطرفية في هذا الأصل .

ج ــ المساواة بين الناس (٣) :

تعتقد المطرفية أن الله ساوى بين الخلق في ست خصال ، هي : الخلق والرزق والموت والحياة والبعث والمجازاة ، ونفوا جميع الأفعال الأخرى عن الله (٤) .

---

(4) وجدنا أن هناك اختلافاً كبيراً بين ما تقوله المطرفية في هذا الأصل ، وبين ما يدعيه الآخرون عليها ، فبينما تؤكد المطرفية على أن الأجسام تضر وتنفع وتُنسب إليها الأفعال ليس من حيث أنها مختارة لها وإنما بوصفها مجبورة أو مفطورة عليها من الله خالقها وخالق طبائعها ، يؤكد المعارضون لها أنها تقول بقدرة الأجسام على الضر والنفع من خلال طبائعها التي تحيل وتستحيل بها وأنه لا تأثير لله فيها أصلاً . انظر : علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ ؛ الحوثي ، المطرفية ، ص ٥ ــ ٦ ؛ أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ص ٩٠ ــ ٩١ ، ويبدو أن هذا الاختلاف ناتجاً عن ثلاثة أمور هي :

١. تشويه وتحريف أقوال المطرفية في هذا الأصل بما يؤدي إلى نفور العامة عنها وتفرقهم من حولها .
٢. وجود بعض المنتسبين لها القائلين بمثل هذه الأقوال عن جهل أو عن قصد مما ادى إلى تعميمها على بقية المطرفية .
٣. رغبة البعض منهم في تنزيه الله عن إيجاد القبيح كالحشرات والزواحف وغيرها مما يستقبح خلقه .

(١) Strothman , R , *Die Litterature der Zaiditen Der Islam* Π , 1911 , p . 69 . ; Madelung , W . *A mutarrifi manuscript in proceedings of the VI th congress of Arabic and Islamic studies* , Stockholm 1972 , pp . 75 - 83

نقلاً عن : أيمن فؤاد سيد ، تارخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٥٠ ، حاشية رقم (٤ ، ٦) .

(٢) انظر : العابد ، مفيد رائف ، تاريخ الإغريق دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي حتى ظهور الإسكندر ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ١٣٨ .

(٣) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٨٦ .

(٤) الحوثي ، المطرفية ، ص ٦ .

وفي السياق نفسه ، قالت المطرفية بالمساواة بين الناس في الفضل والشرف [٥] ، وأن الناس لا يتفاضلون إلا بالأعمال الصالحة ، لأننا إذا قلنا : إن الله تعالى يفضل بعضنا دون عمل يستحق به الفضل ؛ لوصفنا الله بالظلم ، تعالى الله عن ذلك ، ويستدلون على ذلك بعدد من الآيات القرآنية منها :

" **قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون** " [٦] .

" **أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون** " [٧] .

" **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** " [٨] .

" **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون** " [٩] .

" **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا** " [١٠] .

" **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** " [١] .

" **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى** " [٢] .

وإذا كان هذا القول من الأقوال التي ربما يتقبلها كثيرون ، فهناك أقوال لايمكن تقبلها ، كقولهم أن الله اختار الأنبياء والرسل بأعمالهم ! لا بخلق ولا صورة ولا حسب ، وإن التميز بالعمل شامل لكل الناس بما فيهم الأئمة والأنبياء [٣] ! فإذا تفهمنا قولهم بالمساواة في الفضل والشرف وعزوناه إلى رغبة بعضهم في تولي الإمامة ، ولا سيما من اشتهر منهم بالزهد والعبادة والعلم [٤] ، فما المغزى من قولهم بالمساواة في النبوة ؟! أكل من أراد أن يكون نبياً إستطاع ذلك بعمله ؟! وأين إختيار الله لأنبيائه إذا كانت الأعمال هي المعيار ؟ !

---

(٥) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٨٦ .

(٦) الزمر : الآية (٩) .

(٧) القلم : الآيات (٣٥ ــ ٣٦) .

(٨) البينة : الآية (٧) .

(٩) السجدة : الآية (١٨) .

(١٠) الحديد : الآية (١٠) .

(1) المجادلة : الآية (١١) .

(2) النجم : الآيات (٣٩ ــ ٤١) .

(3) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٩٠ .

(4) قال أحدهم معترضاً على إمامة الإمام عبد الله بن حمزة : " وكم عسى أن يفهم عبد الله بن حمزة في مدة قصيرة وهو حديث السن ، وشيوخنا قد توالت عليهم السنون الكثيرة " ، فإذا كان يقصد الأميرين شمس الدين يحيى بن أحمد ومحمد بن أحمد ، فقد زهدا في الإمامة ، وإذا قصد بعض شيوخ المطرفية فقد أخل بأهم شروط الإمامة وهي أن تكون من آل الحسن والحسين . انظر : علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٦٣ .

ومع ذلك يحاول بعض الباحثين اليوم الدفاع عن هذه الفرقة التي تخبطت في أقوالها ، بزعمهم أنها تشترط أن تكون الإمامة منصب مخصوص ، وتحديداً من نسل الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب (ﷺ) [٥] ، مع أنهم جعلوا من النبوة مرتبة تُستحق بالأعمال الصالحة ، والنبوة بطبيعة الحال أعلى مقاماً من الإمامة ، فكيف نستطيع أن نوفق بين هذين القولين المتناقضين أصلاً .

د ـ نظرية الهجرة [٦] :

عرفت المطرفية هذه النظرية منذ بداية عهدها ، إذ تذكر المصادر التاريخية أن مطرف بن شهاب وصاحبين معه عمدوا إلى موضع يقال له " سناع " بأرض صنعاء وابتنوا فيها هجرة ، وبنوا فيها مسجداً ومطاهر ، وجعلوا قواعد دينهم وأساسه بأن قالوا العلم يحيل ويستحيل [٧] .

ومع أن هذه النظرية ليست جديدة على الزيدية [١] ، إلا أنها اتخذت طابعاً خاصاً مع المطرفية ، تمثل في البعد عن ترؤس الأشراف وتسلطهم ، فحاولت بناء مجتمع جديد داخل المجتمع الأساسي ، لعلها تحقق بداخله المجتمع المثالي الذي تصبو إليه ، والقائم على العمل ، وطلب العلم ، وإقامة قواعد الدين بعيداً عن مسوغات الشرف والفضل ، الذي إستحوذ من خلالهما الأشراف على كل شيء . ولأجل أن يجذبوا العامة ورجال القبائل ، كان عليهم تقديم النموذج الذي ترتضيه جميع فئات المجتمع ، فكانوا كما وصفهم غيرهم قوماً منقطعين في هجرهم للعبادة وطاعة الله ، يلبسون الصوف ، ويسود التقشف والزهد حياتهم ، يكثرون صوم النهار ، وقيام الليل ، قائمين بالوعظ والدرس والدعوة إلى الإصلاح ، وإلى الأخلاق الحميدة ، والعطف على الفقراء والمحتاجين ، يطيلون الركوع في صلاتهم ، ويخفضون أصواتهم خشوعاً وتواضعاً [٢] ، كما نُسب إليهم ترك الدنيا ، والميل عن

---

(5) المرجع نفسه ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(6) أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٤٧ ؛ علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٦٩ .

(7) ابن الوزير ، زيد بن علي وآخرون ، حوار عن المطرفية الفكر والمأساة ، ص ٥٢ ـ ٥٣ ، نقلاً عن يحيى بن الحسين ، المستطاب ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(1) للمزيد حول هذا الموضوع انظر : مادلونج . و . ف ، " أصول الهجرة اليمنية " ، ضمن كتاب : دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، ترجمة : نهى صادق (الدكتورة) ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص ١٢ ـ ٤٠ .

(2) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٦٤ .

الشهوات ، ومعاملتهم لإخوانهم وجيرانهم بالمعاملة العجيبة ، من الاحتمال والتواصل والتشاقق ، كأنهم جميعاً إنسان واحد ، مع ورع وعبادة يكل عنها الجليد (٣) .

ونظراً لهذه الصفات فقد كان لابد للعامة من الفقراء والمستضعفين في المجتمع أن يلتفوا حول هذه الفرقة ، كرد فعل طبيعي على مايجدونه من الأشراف من التكبر والترفع والتسلط أحياناً ، بل ويقبلوا بكل ما جاؤا به من أصول ، مقتنعين بإن هذه هي أصول المذهب الهادوي ، وأن الإمام عبد الله بن حمزة انحرف عن الجادة ، وبالتالي فالمطرفية هم حماة التراث الزيدي من الانحراف .

إن نظرية الهجرة التي تمسكت بها المطرفية ، بل وتوسعوا فيها حتى صارت لهم العديد من الهجر ، مثل : قاعة ، ووقش ، وسناع ، والجبجب ، وعوشان وغيرها ، والتي مثلت مراكز لتعليم الفكر المطرفي بين أبناء القبائل ، جعلت الإمام عبد الله بن حمزة يحسب لها ألف حساب ، ويتوجس منها دائماً ، ولولا حماية الشريف العفيف أبي محمد بن مفضل العباسي (٤) ، والقبائل المجاورة لهم ، لفتك بهم منذ أمد بعيد ، ولكنهم ركنوا إلى هذا الشريف من جهة ، وإلى القبائل المجاورة من جهة أخرى . فأما الشريف فقد مات ، وأما القبائل فلم تملك لهم حولاً ولا قوة بعدما حل بالأيوبيين من ضعف ، صاحبه تغلب الإمام على أكثر البلاد بما فيها تلك التي فيها هذه الهجر ، فكان أن حل بها من القتل والتشريد ما سياتي ذكره لاحقاً .

٣ ـ المسوغات التي استند عليها الإمام عبد الله بن حمزة في إعلان ردة المُطرّفية :

استند الإمام عبد الله بن حمزة في إعلان ردة المطرفية ، واستباحة دمائهم ، وأموالهم ، على عدد من المسوغات ، يمكننا إجمالها في قول واحد وهو (إنكار القرآن) (١) ، وبمعنى آخر إنكار أربعمائة وسبعة وثلاثين آية محكمة (٢) من القرآن الكريم ، تدل على أشياء ينكرها المطرفية وينفوها عن الله تعالى ، وهم بإنكارهم ونفيهم هذا إنما ينكرون وينفون هذه

---

(3) الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٩٦ .

(4) هو محمد بن المفضل بن الحجاج . الأمير المنتصر الملقب بالعفيف ، قام محتسباً من صعدة سنة ٥٨٨ هـ ، وذلك حينما شمل نفوذ الدولة الأيوبية معظم مخاليف اليمن ، وعندما أعلن الإمام عبد الله بن حمزة دعوته لنفسه بالإمامة من هجرة دار معين ، وقف معه وناصره ، بعد أن بايعه ، فاتخذه الإمام عبد الله بن حمزة منذ ذلك اليوم وزيراً له ، فعُرف بـ : (الوزير) لكنه لم يكن يرى تكفير الفرقة المطرفية ، وكان يدافع عنهم ، ويقف ضد الإمام الراغب في التخلص منهم ، توفي بوقش في صفر من سنة ٦٠٠ هـ . الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٣٥٣ ـ ٢٣٥٤ .

(1) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(2) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٢٤ .

الآيات الكريمات [٣] ، والتي يمكننا أيضاً تصنيفها كما صنفها الإمام عبد الله بن حمزة على النحو التالي :

أ ــ إنكار نزول القرآن :

لأن القرآن ــ حسب إعتقاد المطرفية ــ عرض لله ولا يصح نزول العرض [٤] ، مع أن القرآن وآياته تدل على نزوله ، قال تعالى :

" **شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن** " [٥] .

" **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ كلما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير** " [٦] .

" **وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى** " [٧] .

" **واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء** " [١] .

ب ــ إعتقادهم بالإحالة والإستحالة :

وقد أوضحنا سلفاً المقصود بهذا المصطلح [٢] ، ونعتقد أن هذا القول هو السبب الرئيس الذي سوغ للإمام أن يفعل ما فعله بالمطرفية ، مستنداً في ذلك على كم كبير من آيات القرآن الكريم نذكر ما تيسر منها . قال تعالى :

" **أفرءيتم ما تحرثون * ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرءيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم**

---

(3) أمر الإمام عبد الله بن حمزة الشريف جمال الدين حاتم بن جعفر الحمزي ، بجمع هذه الآيات وإضافة كل آية إلى ماهو من جنسها في كتاب اسماه : " المجموع من آيات القرآن الشريف المبطلة مذهب الطبيعية أهل التطريف " . ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٢٥

(4) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(5) البقرة : الآية (١٨٥) .

(6) الملك : الآيات (٦ ــ ٩) .

(7) الانعام : الآية (٩١) .

(1) يس : الآيات (١٣ ــ ١٥) .

(2) انظر : مقارنة بين أقوال المطرفية وآيات القرآن الكريم عند : أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٤٨ ــ ٢٥٠ .

أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * فلو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون * أفرءيتم النار التي تورون * ءأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن " [٣] .

" **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** " [٤] .

" **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع** " [٥] .

" **يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما** " [٦] .

" **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** " [٧] .

" **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل** " [٨] .

" **تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها** " [٩] .

" **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** " [١] .

ج ــ إنكار النبوة [٢] :

وقد مر بنا قولهم إن التميز بالعمل يشمل كل الناس حتى الأنبياء ، فجعلوا النبوة تستحق بالأعمال الصالحة ، لأن الله لو فضل مخلوقاً ، أو شرفه بغير عمل لكان محابياً ، والمحاباة لا تجوز من الله [٣] ، وهم بذلك يردون الآيات القرآنية التي تدل على أن الله يختص بالنبوة والرسالة من يشاء من عباده ، وأن ذلك بمشيئته وفعله واختياره وليست بالعمل ، فليس كل من عمل استحق النبوة ، وإنما هي منحة من الله يهبها لمن يشاء من عباده ويختار . قال تعالى :

---

(3) الواقعة : الآيات (٦٣ ــ ٧٢) .
(4) النحل : الآية (٤٠) .
(5) النور : الآية (٤٥) .
(6) الشورى الآيات (٤٩ ــ ٥٠) .
(7) المؤمنون : الآيات (١٢ ــ ١٤) .
(8) الزمر : الآية (٦٢) .
(9) إبراهيم : الآية (٢٥) .
(1) الروم : الآية (٥٤) .
(2) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(3) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ٨٨ .

" أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين " [٤] .

" ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب " [٥] .

" وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أُوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته " [٦] .

" وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون " [٧] .

" قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم " [٨] .

" قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير " [٩] .

و ـ قولهم أن الضر والمرض من الشيطان وليس من الله [١] :

ويحتجون بقوله تعالى على لسان عبده ونبيه أيوب " **أني مسني الشيطان بنصب وعذاب** " [٢] وردوا آيات محكمات من القرآن تدل على عكس زعمهم هذا ومنها قوله تعالى :

" **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** " [٣] .

" **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله** " [٤] .

" **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** " [٥] .

---

[4] الأنعام : الآية (٨٩) .
[5] الحديد : الآية (٢٦) .
[6] الأنعام : الآية (١٢٤) .
[7] القصص : الآية (٦٨) .
[8] آل عمران : الآيات (٧٣ ـ ٧٤) .
[9] آل عمران : الآية (٢٦) .
[1] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٥٥ .
[2] ص : الآية (٤١) .
[3] الأنبياء : الآية (٣٥) .
[4] التغابن : الآية (١١) .
[5] البقرة : الآية (٤٩) .

" **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ... فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** " (٦) .

فالضر لا يكون إلا بإذن الله ، وتقديره ، وحكمته ، ومشيئته ، وليس من أحد . ففي الحديث أن رسول الله (ﷺ) قال : " **عجباً للمؤمن لايقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له** " (٧) .

هـ ــ نفيهم أن تكون الأمطار بإرادة الله ومشيئته :

أما هذا القول فقد لا يكون من أقوال المطرفية ، فالذي قالته هذه الفرقة هو أن الأمطار عبارة عن بخارات تتصاعد من الأرض إلى السماء ، وهذا لاشك حق ، ويبدو أنه أُعتبر في تلك المدة شيئاً من الإلحاد والكفر ، وذلك من خلال كلام الإمام عبد الله بن حمزة (٨) ، فإذا قصدت المطرفية من قولها هذا ما هو متعارف عليه اليوم فلا شيء عليها ، لإن الله قد جعل لكل شيء سبباً ، لا ليلزم نفسه بهذا السبب ، وإنما ليأخذ به الإنسان في الحياة . وإذا كانت تقصد أن الأمطار حادثة من طبائع الأجسام ، أي أنها لابد أن تكون إذا توافرت الأسباب ، وأن ليس لله دخل فيها ، فهذا مما يُؤخذ عليها ، لأنها أنكرت الآيات القرآنية الدالة على أن الله يتولى إنزال المطر ، بسبب أو بغير سبب ، قال تعالى :

" **أفرءيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون** " (١) .

" **ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد** " (٢) .

" **ألم ترَ أن الله يُزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ..** " (٣) .

" **ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ...** " (٤) .

---

(6) البقرة : الآية (١٠٢) .

(7) مسلم ، صحيح مسلم ، مج ٤ ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٢٩٥ ؛ سليمان بن عبد الله بن محمد ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، علق عليه : عرفات العشا حسونه ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٣٨٥ ــ ٣٨٩ .

(8) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(1) الواقعة : الآيات (٦٨ ــ ٧٠) .

(2) ق : الآية (٩) .

(3) النور : الآية (٤٣) .

(4) الزمر : الآية (٢١) .

وبعدما ذكرناه من مسوغات استند عليها الإمام في إعلان ردة المطرفية ، واستباحة دمائها ، وأموالها ، أطلق الإمام حكمه النهائي على هذه الفرقة ، وكان هذا الحكم بمثابة المسمار الأخير في نعش المطرفية . ورغم أن الإمام يؤكد أن هذا الحكم ليس حكمه ، وإنما حكم الله عندما قال : " وحاكمناهم إلى الله تعالى فحكم لنا عليهم " [٥] ويستشهد بالآية الكريمة " **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** " [٦] ؛ إلا أن البعض لا يروق له هذا القول ، فيصف ما حدث للمطرفية بسبب هذه الفتوى بـ : المذبحة [٧] ، والبعض الآخر يصفها بـ : الحرب الظالمة [٨] ، وعلى الجهة الأخرى يشابه البعض حال الإمام مع المطرفية بحال الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) مع الخوارج ، وحال الخليفة الصديق أبي بكر (ﷺ) مع أهل الردة [٩] ، وبين هذين القولين علينا توضيح بعض النقاط :

أولاً : إن فتوى الإمام عبد الله بن حمزة باستباحة المطرفية جاءت في وقت متأخر من إمامته . فلماذا لم يطلق هذه الفتوى قبل ذلك بكثير إذا كان يعتقد ردتهم ؟ !

ثانياً : إن التشبيه بين الخوارج وأهل الردة من جهة ، والمطرفية من جهة أخرى ، فيه ظلم لهم ، لأنهم لم يبدأوا الإمام بالقتال ولم يحملوا السلاح ، ولولا إحساس الإمام بضعفهم وقدرته عليهم لما تساهل بأمر هذه الفتوى ، التي شملت الظالم فيهم والمظلوم ـ وإن ادعى البعض أنهم هم من بدأ القتال [١] ـ لكن هذا القول يفتقر إلى الأدلة ؛ لأنهم لم يحملوا السلاح لاحقاً إلا للدفاع عن أنفسهم .

ثالثاً : إن الإمام عبد الله بن حمزة لم يكن بالحكمة التي اتصف بها علي بن أبي طالب (ﷺ) ، ومن قبله الصديق أبي بكر ، اللذان وجدا أنفسهما مضطرين لمثل هذه المعارك التي خاضوها ، ومع ذلك إكتفيا بقتل المقاتلة فقط دون الذراري والنساء ، فأما أبو بكر فقد كان يرجع الغنائم إلى أصحابها جبراً لخاطرهم ، ولم يجعل الذين أسروا في هذه المعارك رقيقاً ، بل كان يمن عليهم بالحرية ودون مقابل [٢] ، وأما الإمام علي (ﷺ) فلم يقم لقتال الخوارج إلا بعد أن كفروا صاحب الكبيرة ، واستحلوا ماله ودمه وعرضه ، وشرعوا في تنفيذ ذلك ، فلما تمكن منهم ، نفذ حكم الله فيهم ، دون ذراريهم وأعراضهم [٣] .

---

[5] مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٣٧ .

[6] الأحزاب : الآية (٦٢) .

[7] علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٩٣ .

[8] الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٣٤٤ .

[9] الحوثي ، المطرفية ، ص ٢٠ .

[1] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٢ ، (مقدمة المحقق) .

[2] الشجاع ، النظم الإسلامية في اليمن ، ص ٧٠ .

[3] علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٩٤ .

رابعاً : إن أصحاب الإمام عبد الله بن حمزة لم يكونوا بالورع الذي كـان عليـه أصـحاب رسول الله (ﷺ) ، فقد كان همُّ الصحابة الأول الشهادة في سبيل الله ، وإقامة أركان الـدين والذود عنه ، وكانت الغنيمة آخر ما يفكرون فيه ، أما أصحاب الإمام فمالبثوا أن سمعوا هذه الفتوى ، حتى هبوا إلى هجر المطرفية يقتلون الرجال ويسبون النساء ، ويأخذون الأموال ، دون ورع يمنعهم من إرتكاب المنكرات ، حتى عند تنفيذ هذه الفتوى ، فقيل : أن الجماعـة من أصحاب الإمام كانوا يطئون المرأة الواحدة [٤] ، وأن الكثير من النساء تم وطؤهن قبـل الإستبراء [٥] ، ومع أن الإمام قد كذب مثل هذه الأقوال ، إلا أننا لانستبعد حدوث مثل هـذه الأمور .

خامساً : إن الإمام عبد الله بن حمزة لم يكن خليفة للمسلمين حتى تكون له مثل هذه الفتوى ، ولا سيما أنه لم يستطع أن يمد نفوذه إلى مناطق اليمن كلها ، بل إن دولتـه كانـت كثيـرة التذبذب ولا يستقر لها حال ؛ ولهذا لم يكن مؤهلاً سياسياً لإطلاق مثل هذه الفتوى والإشراف على تنفيذها .

سادساً : إن الإمام حكم على المطرفية بالنفاق والردة معاً ، فأما النفاق فلم تكن عليه بينة ، وليس للإمام حجة فيه ؛ (لأن الرسول (ﷺ) كان يعلم نفاق عبد الله بن أُبـي بـن سـلول وأصحابه ومع ذلك لم يقتلهم) ، وأما الردة فقد كان المرتدون يخيرون بـين العـودة إلـى الإسلام وبين القتال ، فإن أجابوا داعي الإسلام كُف عنهم القتال ، والمطرفية في هذه الحـال في موقف لا يحسدون عليه فقد حكم الإمام عليهم بالنفـاق[١] ، واستدل بالآية : " **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسـوله والله يـشهد إن المنـافقين لكاذبون** " [٢] . فهم (أي المطرفية) يظهرون غير ما يبطنون ، وعلى ذلك أصبح بـاب العودة بالنسبة لهم ــ العودة إلى الإسلام ــ غير مأمون ؛ لأنه لن يصدقهم في قولهم إذا مـا قرروا التوبة والرجوع عما قالوا ، وقد أوضح الإمام مثل هذا الأمر ، عندما سُئل عن الدليل على صحة كفر المشرقي مع ما أظهر في المحافل من صحة الإعتقاد ؟ فأجاب أن حاله كمن قال الله فيهم : " **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** " [٣] ، فقضى الله بكذبهم وإن قالوا الحق ؛ لأن المعلوم من مذهبهم خلاف ما أظهروا ، وذلك يعني

---

(4) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(5) الإستبراء هو أن تُنكح المرأة بعد إنقضاء فترة عدتها ، حتى يتبين ما إذا كان في رحمها شيئ من زوجهـا أو سيدهـا الأول فيُعرف نسبه ولا تختلط الأنساب .

(1) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(2) المنافقون : الآية (١) .

(3) التوبة : الآية (٧٤) .

عدم تصديقهم في أي حال من الأحوال ، وبالتالي لا توبة لهم فلم يبق إلا القتل والاستباحة . ونسي الإمام أن الرسول (ﷺ) عاتب أسامة بن زيد (ﷺ) عندما قتل كافراً قال : " لا إله إلا الله " خوفاً من القتل ، وليس تصديقاً بها [٤] .

سابعاً : إن هذه الفتوى شملت عند تنفيذها أقواماً ليسوا من المطرفية ، وإنما تصادف وجودهم في هجر المطرفية ، فقد سُئل الإمام عن سبي إمرأة لا تعتقد إعتقادهم ، وإنما وجدت في هجر المطرفية ؟ فأجاب الإمام أن الظاهر من حال نساء أهل البلاد أنها لا تخالف الرجال ، وإن خالفت فإنما يكون نادراً ولا حكم للنادر [٥] ، فيُفهم من هذا أن كل إمرأة ــ وإن لم توافق وليها في هذا الإعتقاد ــ تدخل في هذه الفتوى ولا ينفعها إيمانها ، وهذا ظلم كبير ولو كانت الضحية امرأة واحدة ، فما بالك بالعشرات إن لم نقل المئات من النساء ، ولا سيما إذا علمنا أن هذه الفتوى شملت نساء من غير المطرفية في أقيان [٦] وحجور والمحالب [٧] .

واستكمالاً لكل وجهات النظر في هذا الموضوع نستعرض بعض الأسباب والعوامل التي يراها المؤيدون للمطرفية [١] جوهراً للخلاف الذي نشا بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية ، والتي تم تلخيصها في الآتي :

١. إعتقاد المطرفية بمخالفة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في الإمامة ومسائل الفروع .
٢. طبيعة الفكر الذي تحمله المطرفية ، فبينه وبين فكر الإمام المنصور هوة لا تردم .
٣. الشروط الرفيعة التي تشترطها المطرفية في الإمام ، والتي من شأنها أن تفقد الإمام عبد الله بن حمزة حقاً قانونياً .
٤. إيمانها باستمرار المقاومة ، وعدم مهادنة الظلمة (الأيوبيين) .
٥. تكفير الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة لهم .

٤ ــ بدء المأساة :

---

[4] ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ١ ، تح : علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود (الشيخان) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص ١٩٤ ــ ١٩٧ ؛ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت ، ص ٥٢٤ ــ ٥٢٥ .

[5] مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧ .

[6] أقيان : مخلاف يعرف اليوم بناحية شبام كوكبان وثلا وما إليهما ، يُنسب إلى أقيان بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل . المقحفي ، معجم ، ص ٤٩ .

[7] علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٩٤ .

[1] ابن الوزير وآخرون ، حوار عن المطرفية ، ص ١٥٩ .

بدأت مأساة المطرفية بموت الشريف محمد بن المفضل العفيف سنة ٦٠٠ هـ [٢] ، فقد كان الإمام يكن لهذا الشريف كثيراً من الاحترام والتقدير ، بسبب موقفه من دعوته للإمامة ومؤازرته لـه في ذلك الحين ، كما كان يمثل حلقة الوصل بين الامام عبد الله بن حمزة والمطرفية ، فلما مات انقطع الاتصال والحوار ، وحل السيف مكانهما . ففي بدء الأمر اقتصر الحال على إمتحان الناس في أقوال المطرفية [٣] وخاصة قولهم بالإحالة والإستحالة ، وتساوي الخلق في الرزق والفضل وغيرها من المسائل ، فإن أقر بها الممتحن أمر الإمام بضرب عنقه ، وإن أنكرها أُخلي سبيله ، لكن هذه العقوبة لم تشمل المطرفية الموجودين في هجرهم وليس للإمام عليهم ولاية . وبدلاً من أن يتعظ المطرفية بما حل ببعضهم من المسافرين وعابري السبيل ، أخذوا يصعدون الموقف مع الإمام [٤] ، ويؤلبون عليه القبائل ، ويدعون أنه فعل بأصحابهم ما فعل ؛ لعجزه عن مناظرتهم [٥] ، وهكذا زادت الشُقة بين الإمام والمطرفية إلى حد لم يترك للمصالحة سبيلاً .

أما موضوع المناظرة وما قيل عن تجمع ستمائة من علماء المطرفية في هجرة قاعة ، يريدون مناظرة الإمام ، أو ما قيل من تقبل الإمام لمثل هذه المناظرة ، فأمر لا نعتقد بجدوى الخوض فيه ؛ لأن الأمر ببساطة ، أن الإمام كان يعتقد إعتقاداً جازماً لا يقبل الشك بردة المطرفية وكفرهم ، وبالتالي لا يقبل منهم إلا التوبة ، والإنابة ، والرجوع إلى الإسلام قبل أن يتمكن منهم ، والمطرفية بالمقابل متمسكون بأقوالهم ، ومصرون عليها ، وغير مستعدين للتنازل عنها ، بل إنهم يسعون من وراء المناظرة إلى إقناع الإمام بما هم عليه ، وهكذا تصبح المناظرة بالنسبة للطرفين غير مجدية ، مع تمسك كل طرف بما يعتقد ، وقد ظهر ذلك من خلال تلمس الأعذار من الجانبين ، فالإمام كان يتعلل بإنشغاله الدائم في حربه مع الأيوبيين [١] ، بينما كانت المطرفية تتعلل بخوفها على نفسها من الإمام [٢] ، إذا هي ذهبت إلى مناظرته دون ضمانات ، وهنا لم يبق إلا الصدام الذي بدأت أول ملامحه مع الرسالة العامة التي أعلن فيها الإمام استباحة المطرفية وردتها والتي جاء فيها :

" ... إن الشيعة المطرفية أول من أجاب دعوتنا ، وأعطى بيعتنا ، وشهد في السر والجهر بإمامتنا . فإن كانوا صدقوا في الابتداء فقد كذبوا في الانتهاء ، وإن كذبوا في الابتداء فما المانع أن يكونوا في كلتا الحالتين كاذبين سواء ؟ ... ثم إني لما قرأت كتاب الله تعالى

---

(2) الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٣٥٣

(3) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٢٥ ، ٨٣٧ ـ ٨٣٨ .

(4) المصدر نفسه ، ص ٨٢٧ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٨٣٨ .

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٠٠ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٨٥٤ ، ٩٠١ .

متأمــلاً ، وجعلته لي شغلاً ... وجدتهم قد كذبوا منه وردوا أربعمائة آية وسبعاً وثلاثين آية محكمة لا تحتمل التأويل . لو أن من تحت أديم السماء كذبوا بآية واحدة منها لكانوا بحكم الله سبحانه من الكافرين ، ووجب جهادهم على جميــع المسلميــن ، فكيف بمن كذب بمجموعهــا !! ... وإنما الأصل كلام الله فإن صدّقوا صدقوا ما بعده ... وإن ردوه طاب الجلاد وتعين فرض الجهاد ، وغزوناهم كما يغزى الكفار ، وأوقدنا النار إزاء النار . فإن ظهرنا عليهم بنصر الله قتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرية ، وبعنا النساء والعيال كما يفعل بالمشركين . ولم يكن عندنا لكل حالم إلا السيف ... "(٣) .

وقبل أن نبين نتائج هذه الرسالة ، نود الإشارة إلى أن الإمام عبد الله بن حمزة كان لديه انطباع أولي تجاه المطرفية ، مفاده بغضها ، وأنه لو تمكن منها لفعل بها ما فعله لا حقاً ، إذ تذكر المصادر التاريخية (٤) أن الإمام في أيام شبابه (٥) دخل مسجد سنــاع ، الذي أسسه مُطرّف بن شهاب ــ وكان يومها يدرس هناك عند الشيخ الحسن بن محمد الرصاص ــ وأنه (أي الإمام) كتب على جدار هذا المسجد :

أقسَمتُ حَلفَ صادق بر وَفي   لا يدخلنك ما حَيَيْتُ مُطرّفِي

وأن أحد المُطرّفية رد عليه أيضاً :

أوَما علِمــتَ بأن كُل مُطرّفِي   عَمّا عَمَرْتَ مِنْ الكَنائس مُكتَفِي

---

(3) المصدر نفسه ، ص ٨٦٣ ــ ٨٦٥ .

(4) المرتضى ، عبد الله بن الهادي بن إبراهيم ، تاريخ الأئمة في اليمن ، مخطوط ميكرو فيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، رقم ٦٥ ، ق ٣ .

(5) للتعرف على بعض السمات المميزة لشخصية الإمام عبد الله بن حمزة وماكان يدور في خلده أيام شبابه ، ودراسته علــى يد المشائخ ، انظر أرجوزة الإمام الشعرية ، أو كما يسميها الشامي " الأرجوزة المرعبة " والتي يعلق عليها بعد مناقشتها بقوله : " وأما إذا ثبت أن الأرجوزة للإمام عبد الله بن حمزة ، ووجدت بخطه المعروف عند العلماء الثقات ، فانني أرجح عندئذ بأنها نفثة طيش ، وعنفوان شباب ، وكثيراً مايعتري ذلك الأذكياء " ، وفي موضع آخر يقول : " فلايخامرني ريب أنه قد ندم على نظمها ، ورجع عما تعنيه ، وتاب منها وأناب . لأن أقواله التي نقلها عنه الثقاة وأثبتها في مؤلفاته تقضي بذلك ؛ ولأنه كان من العلماء الأعلام " ونحن نشاطره هذا الرأي ولمن لم يتسير له الاطلاع على هذه الأرجوزة نختصر مضمونها ومعناها في =

= بيت واحد منها ، وفيه يسجل الإمام إعتزازه الشديد بنسبه وإعجابه الأشد بنفسه ، وإحتقاره لمن لا ينتسبون لهذا النسب وإن توافرت فيهم صفات الفضل والورع ، يقول فيه :

ياقومُ ليسَ الدرُّ كالبعرِ   ولا النضارُ الابرزِيّ كَالحَجَرِ

انظر : الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ١٥٠ ــ ١٥٨ ؛ الشماحي عبــد الله بن عبد الوهاب ، اليمــن الإنســان والحضارة ، دار الهنا للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .

أَنتَم وَمَسجدُكُم ومَذهبُكُم مَعاً　　　كَذُبالةٍ فِي وَسطِ مِصباحٍ طفِــي

ولذلك تشدد الإمام كثيراً في تنفيذ هذه الغاية ، فكان منه ما كان من تدمير هجر المطرفية إبتداء بهجرة قاعة عام ٦٠٣ هـــ (١) التي توعدها الإمام قبل ذلك شعراً بقوله :

لَسْتُ ابنُ حَمْزَةَ إنْ تَرَكتُ جَماعةً　　　مُتجمعِيــنَ بقاعَــةَ للمُنْــكَــرِ
ولأُتــركنهُــم مِثْــــلَ عَجائِــــزٍ　　　يبكِين حَولَ جنازةٍ لـــم تُقبَـــرِ
وَلأرْوَيَـــنَ البِيضَ مِـــن أعناقِهِم　　　وَسَنابِكَ الخَيلِ الجِيادِ الضُمرِ (٢)

ثم تلتها بقية الهجر الأخرى كوقش وسناع ، والتي تم فيها قتل المقاتلة وسبي النساء والصبيان ، ومصادرة الدور والأملاك ، وإحراق الكتب وهدم المساجد ؛ بدعوى أنها مساجد ضرار ، وكان ذلك عام ٦١١ هـــ (٣)

ومهما قيل عن مقاومة المطرفية للإمام وأن الأمير محمد بن منصور الملقب بالمشرقي(٤) وأخاه يحيى سارا إلى مُدع (١) ومسور ، وحاربا أهل عمران والمصنعة وهمـــا حـــصنان للإمام ، إلا أن هذه المقاومة ظلت ضعيفة ولم تدفع عن المطرفية ما حل بها مـــن التنكيـــل والتشريد والقتل ، حتى قال بعضهم : " ولقد رأيت مقبرة عظيمة بالقرب مـــن قـــرى بنـــي الفليحي ، على طريق المحدد ، وهو موضع في سراة المصانع ، فأخبرني أهل تلك الجهات أن من في تلك المقبرة قتلى ، فقلت لعلهم هؤلاء الذين قتلهم الأمير يحيى بن حمـــزة عنـــدما هاجم بني الفليحي (٢) " . وإذا افترضنا أن هذه المقبرة ليست للمطرفية ، فإنه من المؤكد أن لهم عشرات المقابر وإن جهلنا أماكنها . فلا يخفى علينا قدرة الإنسان في مختلف العـــصور على إخفاء معالم جريمته مدة طويلة من الزمن ، إلى أن يشاء الله أن يظهرها . كما أن حجم الغنائم والسبايا التي حصل عليها أصحاب الإمام من هجر المطرفية تدل على كثـــرة القتلـــى

---

(1) ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٩٦٢ .

(2) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

(3) علي محمد زيد ، تيارات معتزلة اليمن ، ص ١٩١ .

(4) هو محمد بن منصور بن المفضل بن الحجاج المعروف بـــ : المشرقي نسبة إلى المشرق ؛ لأنه كان يقضي أيام الخريف في خولان في مشارق صنعاء ، عارض الإمام عبد الله بن حمزة وأنكر عليه مافعله بالمطرفية من هدم المساكـــن ، والمساجـــد ، والقتـــل والتشريد ، والسبي ، ولاسيما في هجرة وقش ؛ لأنها كانت هجرته وهجـــرة أهلـــه ومساكنهـــم ، دعـــا إلى نفســـه بالإمامة سنة ٦١٠هـــ ، وتكنى بـــ : المهـــدي ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً ، توفي بوقش عام ٦٣٠ هـــ.الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٦١٦ ، ج ٤ ، ص ٢٣٥٥ ـــ ٢٣٥٦ .

(1) مُدع : جبل وحصن منيع يطل على مدينة ثلا من الغرب الشمالي . المقحفي ، معجم ، ص ٥٩٩ .

(2) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٩٧ ـــ ٣٩٨ .

فلا يُسلّم المرء ماله وعرضه ؛ إلا بعد أن يسفك دمه ، وهذا هو حال معظم المطرفية الــذين لم يستطيعوا أن يفروا من بطش الإمام وأصحابه .

إن أشد أنواع الصراع وأفتكها على البشر هو ذلك الصراع المذهبي ـــ السياسي الذي يجتمع فيه التعصبان معاً ، فيشكلان تعصباً مزدوجاً ، مع أنه يكفي الواحد منها ليحدث دماراً وقتلاً واسعاً . ولا شك أن الصراع الذي دار بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية كان صراعاً من هذا النوع ، وإن ظهر أنه صراع مذهبي ، فقد كان بإمكان الإمام أن يكتفي بقتل زعماء المطرفية وشيوخها ، أو على أسوأ تقدير أن يقتل المقاتلة فقط ، ولكنه لم يفرق بين دار الكفر ودار الحرب ، فهما عنده سواء ، فاستباح الحرمات ، وهدم الدور ، وصادر الأموال ، وسبى النساء والصبيان .

إننا قد نتفهم ما وجد الإمام أمامه من خيارات ، فإما أن تكون المطرفية قد ارتدت عن الإسلام ، فأحكامه فيها أحكام أهل الردة ، وبذلك استحقوا ما حل بهم ، وإما أن لا تكون له عليهم حجة ، فلا مجال لعقابهم وتشريدهم . ومع ذلك كان ينبغي أن لاينزلق الإمام هذا المنزلق الذي عم وطم ، وذهب ضحيته كثير من الأبرياء الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، و من القرآن إلا رسمه ، فكان حرياً به أن يعلمهم لا أن يقاتلهم .

وأخيراً : إن تناول العلاقة بين الإمام المنصور والمطرفية من الأمور الشائكة جداً ، والتي يصعب التعامل معها ، حتى إنه لامجال للوسطية فيها ، فأكثر من قاموا بدراسة من هذا النوع ، أُتهموا بتحيزهم إلى طرف دون آخر ، فقد أُتهم الدكتور علي محمد زيد بأنه لم يكن منصفاً عند تناوله هذه العلاقة ، وأنه حاول أن يُسخر التاريخ لصالح تيار سياسي معين [١] ، بينما أُتهم الأستاذ زيد بن علي الوزير بإنه كان متعاطفاً مع المطرفية منكراً على خصومها [٢] . ونحن قد نتفهم هذه الاتهامات ـــ مع أننا لا نؤيدها ـــ لكن المثير للتساؤل هو أن يتعرض بعض الباحثين في هذا المجال لاتهامات مزدوجة من كلا الطرفين : المتعاطف مع المطرفية والمعارض لها ، وعلى رأس هؤلاء القاضي إسماعيل بن علي الأكوع الذي لم يسلم من أنصار المطرفية ، لقوله بأن : المطرفية لا تشترط النسب فيمن يتولى الإمامة [٣] ، إذ سخر ابن الوزير من هذا الرأي بقوله : " ... أنه أدلى به في ساعة غياب وعي وفي لحظة انتشاء بانتصار حاقد " [٤] . ومع هذه الألفاظ القاسية ، والنقد اللاذع

---

[1] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٢٢ ـــ ٢٣ ، (مقدمة المحقق).

[2] المصدر نفسه ، ص ٢٣ ، (مقدمة المحقق) .

[3] الأكوع ، إسماعيل بن علي ، الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، ص ٩٠ .

[4] ابن الوزير وآخرون ، حوار عن المطرفية الفكر والمأساة ، ص ١١٨ ـــ ١١٩ .

غير المبرر ، أُتهم الأكوع أيضاً من قبل أحد المؤيدين للإمام عبد الله بن حمزة بالغمز واللمز [٥] حول ما فعله الإمام بالمطرفية ، ووصفه حرب الإمام ضدهم بـــ : الحرب الظالمة [٦] .

ثانياً : الإماميــــــة :

ترتبط الفرقة الإمامية بالفرقة الزيدية بمفهوم واحد ، وهو مفهوم التشيع الذي انبثق من حرمان علي بن أبي طالب(ﷺ) من الخلافة [٧] . ولهذا فالباحث في العلاقة بين قطبي الدعوة الشيعية ، يظن في بادئ الأمر أن الإختلاف بينهما يسير ، حتى يفاجأ بأن الفرق بينهما كبير ومتشعب ، وأنهمـــ كما هو حال المسلمين اليوم ـــ يصدق فيهم قوله سبحانـــه : " **تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى** " [٨] . فالمتأمل في عدد الرسائل والكتب التي ألفها الإمام عبد الله بن حمزة في الرد على الإمامية [٩] ، يجدها توحي له بعمق الهوة بين الفرقتين ، ولذلك سنذكرهنا أهم مسائل الخلاف بين الزيدية والإمامية ، وموقف الإمام عبد الله بن حمزة منها ورده عليها :

١ ـــ قول الإمامية بالنص الجلي في الإمامة [١] :

ترى الإمامية أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو الإمام المنصوص بالنص ـــ إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده ـــ وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق ، فليس للناس أن يختلفوا فيمن يعينه الله هادياً ومرشداً لعامة البشر ، كما تقول أن النبي (ﷺ) نص على خليفته والإمام في البرية من بعده ، فعين علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين ، وأميناً للوحي ، وإماماً للخلق في عدة مواطن .

---

[٥] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، حاشية رقم (٢) .
[٦] الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٣٤٤ .
[٧] المقالح ، عبد العزيز ، قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ص ١٣٤ .
[٨] الحشر : الآية (١٤) .
[٩] جمعت هذه المؤلفات والرسائل في كتاب العقد الثمين في أحكام الائمة الهادين الذي قام بتحقيقه عبد السلام بن عباس الوجيه .
[١] المظفر ، محمد رضا ، عقائد الإمامية ، ط ٩ ، دار الصفوة ، بيروت ، ١٤١٣ هـــ / ١٩٩٢م ، ص ٩٨ .

ومن أول مواطن النص على إمامته ، قول الرسول (ﷺ) لعلي (ﷺ) يوم الغدير : " **ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه كيفما دار** " [٢] ، وقوله عليه الصلاة والسلام له : " **أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي** " [٣] .

كما تستشهد الإمامية بالآية الكريمة " **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** " [٤] ، التي نزلت عندما تصدق علي بن أبي طالب (ﷺ) بالخاتم وهو راكع [٥] .

أما الإمام عبد الله بن حمزة فقد رد على هذه الأقوال ، وبيَّن أن النص على إمامة علي بن أبي طالب (ﷺ) من الكتاب والسنة نص لا يعلم المراد بظاهره ضرورة ، ولابد من الاستدلال عليه عقلياً [٦] ، أما القرآن فلا يمكن ادعاء ذلك به لوقوع الاختلاف في معنى الآية الكريمة ، وأما الأحاديث فهي تدل على أن الإمام بعد الرسول (ﷺ) علي بن أبي طالب (ﷺ) [٧] ، ولكن ذلك لا يعني القول بالنص الجلي الواضح ، إنما يعني العلم بالدليل والاستدلال ، وهو ما لا يمكن لكل الناس إدراكه ، إلا من كانت له بصيرة ورغبة في الحق .

٢ ــ موقف الإمامية من أصحاب الرسول (ﷺ) :

أ ــ المتقدمون على علي بن أبي طالب في الخلافة :

ونقصد بهم أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (ﷺ) فهم عند الإمامية خالفوا المعلوم من الدين بالضرورة في أمر علي بن أبي طالب (ﷺ) ، فمع علمهم بحقه واستحقاقه للإمامة ، إلا أنهم أنكروا ذلك ، وتقلدوا ما لا يحق لهم ؛ ولذلك فقد استحقوا

---

[2] الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، ج ٥ ، تح : كمال يوسف الحـوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص ٥٩١ ــ ٥٩٢ .

[3] ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، ج ١ ، تح : محمد فؤاد عبـد الباقـي ، دار الحديـث ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٤٣ .

[4] المائدة : الآية (٥٥) .

[5] المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٩٩ .

[6] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٥٠ .

[7] المصدر نفسه ، ص ٥١

الكفر ! عند بعض الإمامية [١] ، واستحقوا النفاق عند آخرين [٢] ! . وهنا لا بد التنويه على أمور مهمة هي :

أولاً : إن موقف الشيعة الإمامية لم يكن موقفاً واحداً ، يمكننا الركون عليه ، من حيث موقفهم من المتقدمين على علي بن أبي طالب (ﷺ) ؛ وذلك لأن الإمامية انقسمت من حيث موقفها هذا إلى عدة أقسام :

- **القسم الأول :** وصل بهم بغضهم وحقدهم على أبي بكر وعمر (ﷺ) إلى تكفيرهما ! بدعوى أن النص الدال على إمامة علي بن أبي طالب (ﷺ) بعد الرسول (ﷺ) نص جلي لا يحتاج إلى توضيح ! وبذلك يكونا قد ردا ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فاستحقا الكفر ! ويمثل هذا القسم عدد كبير من علماء الإمامية وشيوخها ، ومنهم مفسر الشيعة الكبر القمي [٣] ، الذي فسر قول الله تعالى : " **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ... " [٤] ، بقوله : " ما بعث الله نبياً إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ويضلان الناس بعده ، فأما صاحبا نوح ... وأما صاحبا محمد فجبتر [٥] وزريق [٦] " ويقصد بهما أبا بكر وعمر [٧] .

ومنهم أيضاً الكليني [١] ، الذي قال : " ما كان ولد يعقوب أنبياء ، ولكنهم أسباط أولاد أنبياء ، ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء ، تابوا وتذكروا ما صنعوا ، وأما الشيخان ففارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ماصنعا بأمير المؤمنين ، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " [٢] ، وقال محدثهم الكبير حسين عبد الصمد العاملي

---

[١] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٥٥ .

[٢] المصدر نفسه والصفحة .

[٣] هو أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي ، إمام مفسري الشيعة الامامية وأقدمهم ، من أعيان القوم في القرن الثالث الهجري . إحسان إلهي ظهير ، بين الشيعة وأهل السنة ، دار ترجمان السنة ، لاهور ، د . ت ، ص ٢٠٦ ، حاشية رقم (٢) .

[٤] الأنعام : الآية (١١٢) .

[٥] الجبتر : معناه الثعلب ، وقصد بها عمر بن الخطاب كناية عن دهائه ومكره . إحسان الهي ظهير ، بين الشيعة وأهل السنة ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

[٦] زريق : معناه أزرق ، وقصد بها أبو بكر الصديق كناية عن لون عينيه . إحسان الهي ظهير ، بين الشيعة وأهل السنة ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

[٧] المرجع نفسه ، ص ٢٠٧ . نقلاً عن القمي ، تفسير القمي ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

[١] هو محمد بن يعقوب الكليني رئيس محدثي الشيعة الإمامية ، وأحد مؤلفي الكتب الأربعة وهو الكافي ، توفي سنة ٣٢٩ هـ . الطباطبائي ، محمد حسين ، الشيعة في الإسلام ، ط ١ ، مركز بقية الله الأعظم للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ م ، ص ٩٩ .

[٢] الموسوي ، السيد حسين ، لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ، ط ٤ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٧٢ . نقلاً عن الكليني ، الكافي ، كتاب الروضة ، ج ٨ ، ص ٢٤٦ .

(بعد أن ذكر أبا بكر وعمر) : " وهؤلاء نتقرب إلى الله تعالى والى رسوله ببغضهم وسبهم وبغض من أحبهم " [٣] .

- **القسم الثاني** : قوم يسبون أبا بكر وعمر (ﷺ) ، ويبغضونهما بغضاً شديداً ، وهذا القسم يمثل معظم فئات الشيعة الإمامية ــ ولا سيما العوام ــ الذين يظنون هذا الفعل تقرباً إلى الله ورسوله ووليه علي بن أبي طالب ، حتى إن لهم كتاباً اسمه " مفتاح الجنان " [٤] فيه أدعية كثيرة ، ومنها دعاء يسمونه : " دعاء صنمي قريش " يريدون بهما خليفتي رسول الله (ﷺ) أبا بكر وعمر (ﷺ) ، ويزعمون أن هذا الدعاء من كلام علي بن أبي طالب (ﷺ) ، وأن من قاله كل صباح ومساء وجبت لـه سبعين حسنة ، وأول هذا الدعاء " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والعن صنمي قريش ، وجبتيهما ، وطواغيتهما ، وإفكيهما ، وابنتيهما .. " [٥] .
- **القسم الثالث** : يقول بقول الزيدية [٦] في أن أبا بكر وعمر قد أخطأ وارتكبا معصية بتقدمهما على علي بن أبي طالب ، ولكن لا يصل بهما الأمر إلى درجة الفسوق أو الكفر ؛ لأن لهما قدم صدق في الإسلام ونصرته . ويمثل هذا الاتجاه العلامة

عبد الحسين شرف الدين الموسوي ومن كان على نهجه ، الذي قال : إن الإمامية لاتسب الصحابة ، وأن ما نسب إليهم ليس صحيحاً ، وأن هذه الصفة ألصقت بالإمامية حتى غدا الدفاع عنها أمراً صعباً وشديد المحال ، وهذا كلامه يقول فيه : " عبثاً صرفاً ، ولغواً محضاً ؛ إذ لا يمكن إذعان الخصم ببراءة الشيعة من هذا الأمر [يقصد سب الصحابة] ، ولو حلفنا برب الكعبة ، بل لا يلتفت إلى نفيه عنهم ولو جئنا بكل آية ، والإمامية طالما أذنت فلم يسمع آذانها ، وشد ما أعلنت فلم يصغ لإعلانها ، فسد هذا الباب أقرب إلى الصواب ، وأولى بأُولي الألباب ... " [١] .

---

[3] إحسان الهي ظهير ، بين الشيعة وأهل السنة ، ص ٢٠٩ .نقلاً عن العاملي ، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار ، ص١٦٤ .

[4] هو كتاب يشبه كتاب الأذكار عند أهل السنة .

[5] الدهلوي ، شاه عبد العزيز غلام حكيم ، مختصر التحفة الإثنى عشرية ، نقله من الفارسية إلى العربية : غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي سنة ١٢٢٧ هـ ، اختصره وهذبه : السيد محمود شكري الألوسي سنة ١٣٠١ هـ ، مكتبة أيشيق ، إستنبول ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٢٨٥ ، حاشية رقم (٢) ؛ ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله (الشيخ) وابن عثيمين ، محمد بن صالح (الشيخ) ، فتاوى مهمة لعموم الأمة ، جمع وإعداد إبراهيم بن عثمان الفارس ، ط ٢، دار الوطن ، الرياض ، ١٤٢٥ هـ ، ص ١٤٧ .

[6] ليست كل فرق الزيدية تقول بهذا الرأي ، بل إن فيهم من يقول بسب الصحابة كالجارودية ، التي يعدها البعض من الرافضة الإمامية بسبب موقفها هذا . انظر : الأكوع ، اسماعيل بن علي ، الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، ص ٨٤ ؛ حسن خضيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

[1] انظر : الفصول المهمة في تأليف الأئمة ، تح : عبد الجبار شرارة (الدكتور) ، إصدارات ممثلية سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم ، رقم (١) ، دمشق ، د . ت ، ص ٢١٢ .

ثانياً : إن رد الإمام عبد الله بن حمزة على هذه الفرية لم يحمل تنزيهاً للصحابة المتقـدمين على علي بن أبي طالب (ﷺ) لأنه يصفهم بالظلم والمعصية [٢] ، التي لا تصل بهما إلـى حد الفسق والكفر ، وهذا لا يصح إطلاقاً في صحابة رسول الله (ﷺ) الذين كانت لهم قـدم السبق في الإسلام وفي الدفاع عنه وعن أهله [٣] .

ب ــ الخارجون عليه :

حكمهم عند الإمامية أنهم كفار [٤] ، لقتالهم علي بن أبي طالب (ﷺ) ، ومنازعتهم له في الأمر ، وهذا الحكم لا يحتاج إلى مزيد من النقاش ، فإذا كان حكمهم على أبي بكـر وعمر (ﷺ) ــ كما رأينا ــ وهما في حقيقة الأمر لم يقاتلا علـي بن أبي طالب (ﷺ) ، فلا نستبعد مثل هذا الحكم ، وإن نفاه البعض ، أما حكمهـم عند الإمـام عبد الله بن حمزة فعلـى وجهيـن :

- **الأول** : يختص بالزبير وطلحة وعائشة (ﷺ) ، وفيه يقول الإمـام بعـدم سـبهم ، وأذيتهـم اتباعـاً لعلي بن أبي طالب (ﷺ) ، الذي كان يديـن خطأهم ولايسب ، ولايـؤذي وهو القـدوة في الديـن ــ كما يقـول ــ كمـا أن فيهـم من عُلمـت توبتـه قبـل موته [٥] .
- **الثاني** : يختص بمعاوية بن أبي سفيان (ﷺ) ، إذ يشترك الإمام عبد الله بن حمزة مع الإمامية في كفره ، ويبرر موقفه هذا بعدة أسباب [١] :

١. قتاله علي بن أبي طالب (ﷺ) في صفين ، ومنازعته الخلافة مع أنه لا يستحقها .
٢. سبـه لعلـي بن أبـي طالب (ﷺ) ، والرسول (ﷺ) يقول " **من سبك يا علي فقد سبني** " [٢]

---

[2] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٥٥ .

[3] للاطلاع على فضائل أصحاب النبي (ﷺ) ومكانتهم منه . انظر : البخاري ، أبو عبد الله محمـد بن إسماعيـل ، الجامـع الصحيح المسند من حديث رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه ، قام بشرحه وتصحيحه وتحقيقه : محب الدين الخطيب وآخرون ، ج ٣ ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٥ ــ ٣٦ ؛ الزبيدي ، أحمد بن عبد اللطيف ، مختصر صحيح البخاري ، ط ١ ، دار السلام ، الرياض ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٦٨٧ ــ ٧٣٢ .

[4] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٥٦ .

[5] المصدر نفسه ، ص ٥٧ ــ ٥٩ .

[1] عبد الله بن حمزة ، مجموع الرسائل ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

[2] لم استدل على هذا الحديث في كتب الصحاح .

٣. إنكاره ما علم من الدين بالضرورة ، فالرسول (ﷺ) يقول : " **الولد للفراش وللعاهر الحَجَرُ** " [٣] ، فألحق الولد للعاهر في ادعائه أُخوة زياد [٤] بالزنى [٥] .

ولا شك أن مرد هذا القول يكمن في استئثار الأمويين بقيادة معاوية بن أبي سفيان(ﷺ) بالخلافة الإسلامية على حساب العلويين من بني هاشم .

٣ ــ اعتقادهم بالمهدي وقولهم بالرجعة :

إن مسألة ظهور المهدي المنتظر مسألة تُجمع عليها جميع الفرق الإسلامية ، الشيعية والسنية بكل طوائفها ، لما روي عن النبي (ﷺ) أنه يخرج في آخر الزمان ، ويملك الأرض ويخضع له أهل الأديان ، ولا ترد رايته ، ولا تدرك غايته ، ويفيض المال على الخلائق ، حتى لا يجد من يأخذه ، وتنزل بركات السماء ، وتخرج بركات الأرض ، وفي أيامه يقتل المسيح عليه السلام المسيح الدجال لعنه الله [٦] ، إلا أن الاختلاف بين هذه الفرق يكمن حول هوية هذا المهدي ، فقالت الإمامية بإنه شخص معين ولد سنة ٢٥٦ هـ ولا يزال حياً ، واسمه أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري [٧] ، وإنه مختفٍ ولم يمت ، وسيظهر في اليوم الذي يحدده له الله تعالى [٨] .

وهذا الإمام الذي يذكرونه هو الإمام الثاني عشر [١] من أئمة أهل البيت عند الإمامية ، ومن بعده لم تتخذ أي إمام ، وهي منتظرة ظهوره ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، بعد أن مُلأت ظلماً وجوراً ، وهم بذلك يختلفون عن الزيدية الذين يؤمنون بالمهدي وظهوره آخر الزمان ، ولكنهم لا يوافقونهم على كونه أبي القاسم محمد بن الحسن العسكري ، بل إن الإمام

---

[3] البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ .

[4] هو زياد بن أبيه ويقال له أيضاً (زياد بن سمية وزياد بن أبي سفيان) ، كان والي فارس في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (ﷺ) ، فلما قُتل علي استماله معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) إلى صفه وولاه البصرة سنة ٤٥هـ ، كانت أمه من بغايا الجاهلية ، وينسبه البعض إلى أبي سفيان بن حرب (ﷺ) (والد معاوية) لإعترافه بالزنى بها قبل الإسلام وبأبوة زياد . انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٧ ــ ٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢١٩ ــ ٢٢١ ؛ علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ .

[5] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٥٧ .

[6] المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

[7] الطباطبائي ، الشيعة في الإسلام ، ٢١٣ ؛ الشنتناوي ، أحمد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، مج١ ، د . ت ، ص ٤٢٩ ــ ٤٣٠ .

[8] تحتج الإمامية على من يشك في مقالتهم هذه بأنه يلزمه في ذلك أيضاً التشكيك في تعمير الله لنبيه نوح ألف سنة إلا خمسين ، وكذا بقاء عيسى عليه السلام ليقتل المسيح الدجال . المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ١٠٣ .

[1] الصاحب بن عباد ، الزيدية ، ص١٩ ؛ العمرجي ، الحياة السياسية والفكرية للزيدية ، ص ٢٣٠ ؛ أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

عبد الله بن حمزة يؤكد أنه من آل البيت ، واسمه محمد بن عبد الله ، دون أن يعينه بشخصه [٢] .

وقد قاد الحديث عن المهدي المنتظر الإمامية إلى القول بمبدأ الرجعة [٣] ، وذلك بإعتقادهم أن الله تعالى يعيد أقواماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها ، فيعز فريقاً ، ويذل فريقاً ، ويقتص للمظلومين من الظالمين ، والمحقين من المبطلين ، ويكون ذلك مع قيام المهدي (عليه السلام) .

كما تعتقد الإمامية أنه لا يرجع من الموت إلا من علت درجته من الإيمان ، أو من بلغ الغاية من الفساد ، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت [٤] ، ويستدلون على قولهم هذا بالآية : " **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل** " [٥] . ويرد الامام عبد الله بن حمزة على هذا الاعتقاد ، مستدلاً بقول محمد بن علي الباقر لما سُئل عن هذا الأمر : " وأما قولك إنا سنرجع نحن وعدونا إلى دار الدنيا فنقتص منهم قبل أن يأتوا إلينا يوم القيامة ، فكفى بعقوبة الله نكالاً ، والله لو نعلم ذلك ما خلفنا على نسائهم ، ولا اقتسمنا أموالهم " [٦] .

خلاصة الأمر أن الرجعة مستحيلة وأن الإمام عبد الله بن حمزة لا يقر بها ، كما أن الله تعالى يقول : " **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربي ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون * فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** " [٧] .

هذه الآية صريحة في معناها ولا تحتمل التأويل ، وأنه ليس بعد الموت إلا البرزخ إلى يوم البعث ، ويوم البعث هو اليوم الذي يفصل الله فيه بين الصالحين وغير الصالحين ، ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار [١] .

---

[2] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٢١٧ .

[3] الدهلوي ، مختصر التحفة الإثنى عشرية ، ص ٢٠٠ ؛ إحسان الهي ظهير ، بين الشيعة وأهل السنة ، ص ١٤٣ .

[4] المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ١٠٤ .

[5] غافر : الآية (١١) ، جاء في تفسير هذه الآية أن الانسان كان نطفة ميتة لا حياة فيها ، فأحياه الله ، ثم أماته في الدنيا ، ثم يحييه يوم النشور لا كما تدعو الإمامية . انظر : المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد وآخرون ، تفسير الجلالين ، ط ٩ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٤٦٨ .

[6] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٨٢ ــ ١٨٣ .

[7] المؤمنون : الآيات (٩٩ ــ ١٠٣) .

[1] إحسان الهي ظهير ، بين الشيعة وأهل السنة ، ص ١٤٩ .

٤ ــ قولهم بالتقية [٢] :

لعل أبرز نقاط الخلاف بين الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية هو قول الإمامية بالتقية ، وأنها دين الأئمة والأنبياء، وأن إمامة القاعد تصح ، فقد ورد في رواياتهم عن جعفر الصادق قوله : " التقية ديني ودين آبائي " ، وقوله : " من لا تقية له لا دين له " [٣] . فهم يعتقدون أن التقية كانت شعاراً لآل البيت دفعاً للضرر عنهم وعن اتباعهم ، وحقناً لدمائهم واستصلاح لحال المسلمين وجمعاً لكلمتهم [٤] ، وأنها ــ أي التقية ــ مازالت سمة تعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف ، فكل إنسان ــ كما يقولون ــ إذا أحس بالخطر على نفسه وماله بسبب نشر معتقده ، أو التظاهر به ، فلا بد أن يتكتم ويتقي في مواضع الخطر ؛ لأن ذلك الأمر تقتضيه فطرة العقول ، والتصرف بغيره يُعد سفه وحماقة [٥] ، وتستدل الإمامية على ذلك بعدد من الآيات القرآنية التي تجيز إخفاء الحق والعمل به سراً ، منها قوله تعالى :

" **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** " [٦]

" **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم** تقاة ... " [٧]

ويفند الإمام عبد الله بن حمزة هذه الأقوال ، بأنه إذا سلمنا بقول الإمامية بتقية الأنبياء عليهم السلام ، فإن ذلك يدعو إلى عدم الثقة بما جاء بـه هـؤلاء الأنبيـاء مـن الـشرائع والأحكام ؛ لأنه ربما يأمر بغير ما أمره الله به تقية ، وأن يحكم بغير ما أُنزل عليه تقيـة ، وهذا يؤدي إلى الخروج عن الدين والإنسلاخ من الإسلام . وأما الأئمـة فمـن المعلـوم أن المراد من الإمام أن يباين الظالمين ، ويقاتلهم ويعلي شأن الدين والتقية تنافي ذلك كله ، لأنه قد يأمرنا بالمحظور تقية وينهانا عن الواجب تقية ، فلا نثق بشيء من الأمر ، ولا نـأمن أن يخبرنا بما لا حقيقة لـه تقيـة [١] . وإذا استثنينـا ذلك كله ، فكيف يقود الجيوش ، وينفـذ الأحكام ، ويقيم الحدود ، وهو مغلق عليه بابه ، خائف من الظالمين ، فما أحوجه إلى إمـام

---

(2) التقية : هي الخوف والحذر والكتمان ، وأن يخفي الانسان مايعتقده دفعاً للأذى . انظـر : ابن تيمية ، أبو العباس تقـي الدين أحمد بن عبد الحليم ، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، ج ٣ ، دار الكتب العلميـة ، بيـروت ، د . ت ، ص ٢٥٩ ؛ أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٢٧٤ ، حاشية رقم (١) .

(3) المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ١٠٨ .

(4) المرجع نفسه والصفحة .

(5) آل كاشف ، محمد الحسيـن الغطـاء ، أصل الشيعـة وأصولهـا ، ط ٤ ، مؤسسـة الاعلمـي للمطبوعـات ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٥٠ ــ ١٥١ .

(6) النحل الآية (١٠٦) .

(7) آل عمران : الآية (٢٨) .

(1) عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٧٩ ــ ١٨٠ .

يرفع عنه هذا الأمر ، ويفكه من هذا الأسر ، ويطلق يده ولسانه بالنهي والأمر ، ويزيل عنه هذا القهر [٢] .

وغني عن القول أن الإنسان إذا كان يخاف على دينه ، وعرضه ، وماله ، في بلد مامن بلاد المخالفين ، فعليه أن يهاجر منها إلى محل آخر يقدر فيه على إظهار دينه والعمل به [٣] ، قال تعالى : " **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا * ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما** " [٤] .

فالشاهد من الآية أن الله لم يطلب من هؤلاء المستضعفين أن يتقوا من المخالفين ، وإنما طلب منهم الهجرة إلى بلد آخر ، فكيف الحال مع الأئمة ومن كان في مقامهم .

ويفسر الإمام عبد الله بن حمزة قول الإمامية على لسان جعفر الصادق " التقية ديني ودين آبائي " بأن المقصود منها التقية من الله بطاعته ، فمن لم يتقِ الله ويراقبه فلادين له [٥] ، ومع ذلك يجيز الإمام التقية لمن خاف أن تضرب رقبته أو يهتك ماله وعرضه ، فيكره على إظهار كلمة يتأول فيها ، ويدفع بها عن نفسه ، ولكنه يضع لها شروطاً تتمثل في أن لا يكون فيها إظلال لأحد ، أو إهلاك لمسلم ، أو حرمته ، أو فتوى بغير حق [٦] .

٥ ـــ قولهم بعصمة [١] الإمام وعلمه الغيب [٢] وفعله المعجزات [٣] :

---

[2] المصدر نفسه ، ص ١٧١ .

[3] إحسان الهي ظهير ، بين الشيعة وأهل السنة ، ص ١٦٩ .

[4] النساء : الآيات (٩٧ ـــ ١٠٠) .

[5] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٣٠٥ .

[6] المصدر نفسه والصفحة .

[1] الصاحب بن عباد . الزيدية ، ص ٢١ .

[2] المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٩١ .

تقول الإمامية إن الإمام معصوم من جميع الرذائل ، والفواحش ، صغيرها وكبيرها ، ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً أو سهواً أو خطأً أو نسيان ؛ لأن الأئمة حفظة الشرع والقائمون عليه ، مثلهم في ذلك مثل الأنبياء ، كما تعتقد الإمامية أن الإمام يجب أن يكون أفضل الناس ، وأن علمه مستمد من الإمام الذي قبله ، وإذا إستجد شيء فلابد أن يعلمه عن طريق الإلهام بالقوة القدسية [٤] التي أودعها الله فيه ، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه علمه على وجهه الحقيقي ، لا يخطأ فيه ولا يشتبه ، ولا يحتاج في ذلك إلى البراهين العقلية [٥] ، كما ذهبت الإمامية إلى وجوب ظهور المعجزات على يد الإمام ، شأنه في ذلك شأن النبي الذي يمنحه الله معجزة تدل على صدقه .

أما الإمام عبد الله بن حمزة فيرد على هذه الادعاءات بأنه لا دليل عليها ، وما لا دليل عليه في الأمور الدينية قُضي ببطلانه . ثم يبين أوجه العلل في مقالاتهم الواحدة تلو الأخرى فأما الإدعاء بعصمة الأئمة حتى يبلغوا إلينا الأحكام فمردود عليه ، لأن الأحكام كلها علمناها عن طريق النبي محمد (ﷺ) ، فلا نحتاج بعد عصمته إلى عصمة غيره [٦] ، وأما كونه أفضل الخلق فلا يجزم بعصمته ، لأن المطلوب هنا البحث عن أكثر الناس صلاحاً ، وأكرمهم أفعالاً ، وأرجحهم حلماً ، وأوسعهم علماً ، وأكثرهم عبادة ، وأظهرهم زهداً ، وأشحهم ورعاً ، وأربطهم جاشاً ، وأوسطهم بيتاً ، وأرفعهم صوتاً ، وكل هذه الأمور ترجع إلى الظاهر ، فأين العصمة فيما هذا هو حاله [٧] .

وأما أنه لا يكون أفضل الخلق إلا وهو معصوم فقولٌ غير صحيح ، لأن الناس يُفرقون بين الفاضل والمفضول ، ولو نازعهم منازع لسفهوه ، وجهلوه، وضللوه [٨] ، فلا يحتاج في ذلك أن يكون معصوماً ، ولا يدل فضله على كونه معصوماً . وأما أننا لا نأمن أن يأمرنا بالمعصية وينهانا عن الطاعة إذا لم يكن معصوماً ، فقد أخبر النبي (ﷺ) بإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ، فإذا أمرنا بطاعة الله وامتثال أوامره ونواهيه أطعناه ، وإن أمرنا بمعصية لم تجب طاعته ، وإن اطعناه بأمر ظاهره طاعة وباطنه

---

(3) الصاحب بن عباد . الزيدية ، ص ٢١ ؛ عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٥٦ .

(4) عن هذا الموضوع انظر : محسن عبد الناظر ، مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٤٥٥ ــ ٤٥٨ .

(5) المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٩١

(6) عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٤٨ .

(7) المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ .

(8) المصدر نفسه ، ص ٤٠٨ .

معصية ، ولا علم لنا بذلك كنا مطيعين لله بذلك الفعل ، وكان عاصياً . فمثله في ذلك كالمصلين خلف الإمام وهو على غير طهارة فصلاة المصلين صحيحة وصلاته باطلة [١] .

وأما علمه الغيب فالأدلة من الكتاب والسنة تدل على بطلان ذلك ، قال تعالى :

" **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** " [٢] .

وقال سبحانه على لسان نبيه : " **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء** " [٣]

وقال عز وجل : " **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا** " [٤] .

وأما الأدلة من السنة النبوية فلا تحصى ، ومن ذلك أن الرسول (ﷺ) لما هم بغزو بني المصطلق بعد أن كذب عليهم الوليد بن عقبة وقال للرسول (ﷺ) : أنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله ، نزل قوله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** " [٥] ، ولو كان الرسول (ﷺ) يعلم كذب الوليد ما هم بغزو القوم [٦] . كذلك لما بعث الرسول (ﷺ) نهار بن الحارث إلى بني حنيفة ليثبتهم على الدين ، فقام نهار بإغوائهم بالكفر وشهد أن الرسول (ﷺ) أخبره أن مسيلمة قد أُشرك في النبوة معه فكانت من أعظم الفتن [٧] ؛ إذ صدق القوم إدعاء مسيلمة النبوة ووقفوا معه ، ولو كان الرسول (ﷺ) يعلم ما سيفعله نهار ما أرسله إلى بني حنيفة ، وغيرها من القصص والحوادث الدالة على أن الرسول (ﷺ) لا يعلم الغيب ، فإذا كان الأمر كذلك ، فهل يصح القول بعلم الإمام للغيب وهو أدنى مرتبة من النبي (ﷺ) [٨] ، ولو جاز هذا القول لأحد من البشر لجاز للأنبياء والرسل عليهم السلام .

أما ما قيل عن فعل الإمام للمعجزات ، فالقول به كما يقول الإمام عبد الله بن حمزة لا يكون إلا من خلال المشاهدة ، والعلم للحاضر ، أو من خلال الأخبار المتواترة من ثقات للغائب ، كمعجزة القرآن الكريم التي لا يختلف اثنان في أنها معجزة إلهية اُختص بها النبي (ﷺ) ، ثم يتساءل الإمام عن تلك المعجزات التي إدعتها الإمامية لأئمتها وهل تقوم

---

[١] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٤٠٤ .

[٢] النمل : الآية (٦٥) .

[٣] الأعراف : الآية (١٨٨) .

[٤] الجن : الآية (٢٦) .

[٥] الحجرات : الآية (٦) .

[٦] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٦٢ .

[٧] المصدر نفسه والصفحة .

[٨] الإمامة عند الإمامية أعظم درجة من النبوة ولهذا يقولون إن الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) أفضل من الأنبياء . انظر : الشيرازي ، السيد أحمد ، " كيف يكون علي عليه السلام أفضل من الأنبياء " ، مجلة المنبر ، العدد التجريبي ، بيروت ، رمضان ١٤٢٠ هـ ، ص ٦ ــ ٧ .

مقام القرآن ومنزلته ــ إن صحت ــ وهل هي معلومة للجميع كما هو الحال مع معجــزات الرسل والأنبياء [١] ؟ أم هي عكس ذلك فلا يعلمها إلا هم .

٦ ــ إعتقادهم بالبداء :

البداء عند الإمامية هو أن يبدو للإنسان رأي في شيء لم يكن له ذلك الرأي من قبل ، وأن يتبدل عزمه في العمل الذي كان يريد أن يصنعه ، إذ يحدث عنده ما يغير رأيه وعلمه فيبدو له تركه [٢] . إلا أن هذا القول لا يصح وصف الله سبحانه به ، لأنه لا يجوز القول على الله بالجهل [٣] ، ولكن ما تعتقده الإمامية هو ما تعنيه الآية الكريمة : " **يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** " [٤] ، والمقصود منها أن الله تعالى قد يُظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار ، ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً ، مع سبق علم الله تعالى بذلك [٥] ، كما جاء في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، لما رأى أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ، فلما همّ بذلك ، بدل الله ذلك بأن افتدى إسماعيل بذبح عظيم [٦].

وقريب من البداء عند الإمامية في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة الإسلام ، ونسخ بعض الآيات ببعضها في القرآن الكريم ، ونهي رسول الله (ﷺ) عن بعض الأمور التي أمر بها [٧] .

أما الإمام عبد الله بن حمزة فيطلب الدليل على ما يدعون ، ولن يجدوه أبداً ــ كمــا يقول ــ لأن البداء من صفات المخلوقين ويتعالى عنه رب العالمين ؛ لأنه لا يبدو إلا لمــن يجهل الحوادث في مستقبل الأمور ، فيبدو له ما لو علمه في الابتداء لم يقل ما قال أو يفعــل ما فعل ، فلو كان كذلك لم يوثق بشيء من أخباره ولا أخبار رسوله (ﷺ) ، فيؤدي ذلك إلى سوء الظن بالله تعالى ، وأن لا يثق بوعده ووعيده ، ثم يوضح الإمام مغزى الإمامية من هذا القول وأن ما دفعهم إلى ذلك ، هو أنهم قالوا : أن موسى بن جعفر بن محمــد هــو الإمــام

---

[1] عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

[2] المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٦٩ .

[3] آل كاشف ، أصل الشيعة وأصولها ، ص ١٤٨ .

[4] الرعد : الآية (٣٩) .

[5] المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٧٠ .

[6] الآية : " **فلما بلغ معه السعــي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت إفعل ما تُؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابريــن * فلمــا أسلمــا وتله للجبيــن * وناديناه أن يا إبراهيــم * قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجــزي المحسنيــن * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم** " الصافات : الآيات (١٠٢ ــ ١٠٧) .

[7] المظفر ، عقائد الإمامية ، ص ٧٠ .

المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً ، وكان ذلك في حياته ، فلما قتله الخليفة هارون الرشيد ورأوه قتيلاً ، اضطربوا اضطراباً شديداً ، وقال بعضهم أن الله بدا له إن الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري ، ولذلك أمات موسى بن جعفر (١) . وهكذا فكلما تغير الحال بالإمامية ، أظهروا أن الله بدا له غير ما رأى ، فبدله (٢) .

٧ ــ رأيهم في الإمامة بعد الحسن والحسين :

موضع الخلاف بين الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية في هذه المسألة ، هو أن الإمامية تحصر الإمامة في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب خاصة (٣) ، وتنفيها عن ذرية الحسن . بينما تجعلها الزيدية في أولاد الحسن والحسين (٤) ممن حمل سيفه وقاتل أعداءه ، ويستدل الإمام عبد الله بن حمزة بالآية الكريمة : " **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس** " (٥) . ثم يذكر وجه الاستدلال بهذه الآية وهو أن هذا الأمر يقتضي الوجوب ، فإذا تقرر وجوب الجهاد في سبيل الله فلا يكون ذلك إلا بتجييش الجيوش ، ونكاية الأعداء ، وفتح البلاد ، وإنفاذ الأحكام بالقتل والقطع والجلد ، وهذه لاتكون إلا للأئمة (٦) ، والذين خصهم الله بقوله : " **ملة أبيكم إبراهيم** " ويقصد بهم ذرية الرسول (ﷺ) من نسل الحسن والحسين دون استثناء . كما يرد الإمام عبد الله بن حمزة على الإمامية ، بأنه لو كانت الإمامة محصورة في نسل الحسين بن علي دون الحسن لما كان هناك حاجة إلى نص كما يدعون ؛ لأنه أصبح من الأمور المعلومة التي لا تحتاج إلى نص يبينها ، فالابن يخلف الأب وهكذا ، هذا إذا افترضنا أن النص كان واضحاً جلياً ، فكيف يكون الأمر إذا لم يكن النص كذلك .

كما يستشهد الإمام على قوله هذا بالآية : " **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** " (٧) والذي يفسرها بإن المقصود منها الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب وذريتهما وليس أزواج الرسول (ﷺ) ، لأنه إذا كن هن المقصودات بذلك لقال الله : " إنما يريد الله ليذهب (عنكن) الرجس أهل البيت " ولكنه قال (عنكم) فدل ذلك على أن الحسن

---

(1) عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ١٨٤ ــ ١٨٦ .

(2) صبحي . الزيدية ، ص ١٠٢ .

(3) الصاحب بن عباد . الزيدية ، ص ٢١ .

(4) المصدر نفسه والصفحة ؛ الحوثي ، مفتاح أسانيد الزيدية ، ص ٣٣ .

(5) الحج : الآية (٧٨) .

(6) عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٦٥ ــ ٦٦ .

(7) الأحزاب : الآية (٣٣) .

والحسين هما المقصودان بالآية [١] . والإمام في ذلك يختلف مع كثيرٍ من أهل العلم في تفسير الآية ويخرجها عن المعنى العام للسورة ، والتي يتبين معناها الصحيح في قوله تعالى : " **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفا * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا** " [٢] .

٨ ــ اعتقادهم في الشفاعة :

تتفق معظم الفرق الإسلامية على أن الشفاعة ثابتة عن النبي (ﷺ) [٣] ، بما فيها الإمامية والزيدية ، ولكن وجه الخلاف بين الفرقتين يكمن فيمن يدخل في هذه الشفاعة ، فالإمامية تقول إنها تشمل سائر أهل التوحيد من المؤمنين وأهل الكبائر [٤] (ويشاركهم في هذا القول أهل السنة) [٥] . أما الإمام عبد الله بن حمزة خاصة والزيدية عامة ، فيرون غير ذلك ، فالشفاعة عندهم تختص بالمؤمنين الذين يدخلون الجنة فقط ، ليزدادوا بهذه

---

(1) عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٦٩ ــ ٧٠ ، اختلف أهل التأويل في تفسير الآية : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت " فقال بعضهم عُني به رسول الله (ﷺ) وفاطمة والحسن والحسين . انظر : عبد الله بن حمزة ، العقد الثمين ، ص ٦٩ ــ ٧٠ . بينما قال آخرون بل عُني بذلك أزواج رسول الله (ﷺ) خاصة . انظر : الشوكاني ، محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج ٤ ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢ هــ / ٢٠٠١م ، ص٣٠١ . وقال غيرهم بل عُني بذلك رسول الله (ﷺ) وأهل بيته جميعهم بما فيهم ازواجه وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ﷺ) . انظر : الطبري ، محمد بن جرير ، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القران ، ج ٦ ، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه : بشار عواد معروف (الدكتور) وعصام فارس الحرشاني ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥هــ / ١٩٩٤م ، ص ١٧٨ ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، مج ٤ ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٢٠ هــ / ١٩٩٩ م ، ص ٢١٨ ــ ٢٢٢ .

(2) الأحزاب : الآيات (٣٢ ــ ٣٤) .

(3) مسلم ، الجامع الصحيح ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١١٧ ــ ١٣٠ ؛ النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ، شرح صحيح مسلم ، مج ١ ، ج ٣ ، إعداد : علي عبد الحميد ابو الخير ، ط ٥ ، دار الخير ، دمشق ، ١٤١٩ هــ / ١٩٩٨م ، ص ٤٠٦ وما بعدها ؛ العدوي ، مصطفى ، صحيح الاحاديث القدسية ، ط ١ ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٠ هــ / ١٩٩٩م ، ص ١١٥ ــ ١٢٠ .

(4) نجعان ، محمد حمد ، الصلة بين الإمامية والوهابية ، ط ١ ، مركز عبادي ، صنعاء ، ١٤٢٢ هــ / ٢٠٠٢م ، ص ٥ ــ ١٢.

(5) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، متن العقيدة الواسطية ، ط ١ ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٢٢ هــ / ٢٠٠٢م ، ص ٧١ ــ ٧٣ ؛ الحكيمي ، حافظ بن أحمد ، أعلام السنة المنشورة اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، تح : جازم القاضي ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٢٠هــ ، ص ١١٥ ــ ١١٦ ؛ ابن عثيمين ، محمد بن صالح ، شرح العقيدة الواسطية ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣٩٩ ــ ٤٠٠ ؛ الفوزان ، صالح بن فوزان ، شرح العقيدة الواسطية ، ط ٦ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٣ هــ / ١٩٩٣م ، ص ١٥٦ ــ ١٦١.

الشفاعة نعيماً على نعيمهم [١] . أما الفساق والكفار وأهل الكبــائر فــلا يــستحقون هــذه الشفاعة ، لأن مآلهم إلى النار ، ومن يدخل النار لا يخرج منها ولا تشمله شفاعة . ويستدلون على قولهم هذا بعدد من الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى :

" **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** " [٢] ، وهم ظالمون بالإجماع [٣] .

" **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** " [٤] ، وهم غير مرتضين [٥] .

" **وما هم عنها بغــائبين** " [٦] ، أي لا يخرجون من النار ، لأنهم لو خرجوا منها لأي سبب كان بما في ذلك الشفاعة لغابوا عنها وهذا يخالف نص الآية الكريمة [٧] .

وعليه ، فالشفاعة عن الظالمين مردودة بنص القران ، وإنما تكون للمؤمنين فقــط ، ويشبه الإمام عبد الله بن حمزة هذه الشفاعة بالشفاعة إلى السلطان في زيادة رواتب الأمراء ، ورفعهم من منزلة إلى منزلة أعلى ، ومن رتبة إلى رتبة أعلى [٨] .

ثالثاً : أهل السنة :

إن الناظر في مسائل الخلاف بين الزيدية وأهل السنة سيجدها يسيرة [٩] ، مقارنة بالخلاف الذي مر بنا عند الحديث عن الفرقة المطرفية ، والفرقة الإمامية ، ولذلك قيل : إن الزيدية اقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة [١٠] . ومع ذلك لابد لنا من إبراز أهم معالم الخلاف بين الفرقتين ، وتوضيح موقف الإمام عبد الله بن حمزة منها ، والذي لا يمكن فصله عن موقف الزيدية عموماً . وهاكم أبرز هذه المسائل :

أهل السنة يقرون برؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة [١١] ، والإمام عبد الله بن حمزة ينفيها لكون ذلك مستحيلاً في حق الله جل وعلا ؛ لأنه لا تدركه الأبصار ولا تحيط به

---

(1) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

(2) غافر : الآية (١٨) .

(3) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

(4) الأنبياء : الآية (٢٨) .

(5) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(6) الانفطار : الآية (١٦) .

(7) عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(8) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .

(9) أحمد حسين شرف الدين ، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٢١٤ .

(10) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ .

(11) مسلم ، الجامع الصحيح ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١١٢ ــ ١١٥ ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، النهاية في الفتن والملاحم ، ج ٢ ، تح : محمد أحمد عبد العزيز ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣٥٣ ــ ٣٥٤ ؛ المسند ، صالح علي ، كتاب صفــات الله عــز وجــل ، ط ١ ، دار المدني ، جدة ، ١٤١١هــ / ١٩٩٠ م ، ص ١٣٦ ــ ١٤٠ ؛ السلمان ، عبد العزيز المحمد ، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، ط ١٣ ، الرياض ، ١٤٢١هــ / ٢٠٠٠ م ، ص١٠٠ ــ ١٠١ .

الأقطار ، ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس ، فكيف تدرك الجوارح باريها ، وتشاهد الأدوات صانعها [١] ، ويؤول الإمام قوله تعالى : " **وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة** " [٢] ، بالقول إنها منتظرة الثواب منه [٣] ، كما يشكك الإمام عبد الله بن حمزة في حديث الرؤيا الذي صح عن الرسول (ﷺ) معللاً ذلك بسببين :

١. أن راويه كان مبغضاً لعلي بن أبي طالب (ﷺ) ، والرسول (ﷺ) يقول : " **يا علي بحبك يعرف المؤمنون وببغضك يعرف المنافقون ...** " [٤] .
٢. اختلال عقل راويه في آخر أيامه [٥] ، ولذلك لا يمكن الوثوق به .

وأهل السنة يثبتون أسماء الله وصفاته [٦] والإمام ينفيها [٧] ، وأهل السنة يثبتون الشفاعة لأهل التوحيد والإمام ينفيها [٨] ، ويعلل نفيه بالقول إن الله توعد الكافرين وأصحاب الكبائر بالعذاب في النار والخلود فيها ، وإخلاف هذا الوعيد بإخراجهم من النار كذب ، والكذب قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبيح [٩] . كما أن أهل السنة يُجلون الصحابة كلهم ، والإمام يخطئ أبا بكر وعمر وغيرهم ويكفر معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) ، كذلك يدين أهل السنة بالطاعة لولي الأمر ولا يجيزون الخروج عليه ما لم يُظهر الكفر بواحاً ، والزيدية عموماً تشترط في الإمام الخروج وحمل السيف على أئمة الجور ، وأهل السنة يرون أن الإمامة في قريش ، بينما تحصرها الزيدية في آل الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب (ﷺ) .

وبعد هذا كله نذكر أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الخلاف ويمكن تلخيصها في الآتي:

١. طعن الزيدية في الأحاديث النبوية التي صحت عن الرسول(ﷺ) بأسانيد صحيحة ورجال ثقات ، إذ يترجم لنا الإمام عبد الله بن حمزة هذا الموقف شعراً عندما قال :

---

[١] مجموع رسائل ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
[٢] القيامة : الآيات (٢٢ ــ ٢٣) .
[٣] مجموع رسائل ، ج ٢ ، ص ١١٩ .
[٤] الترمذي ، الجامع الصحيح ، ج ٥ ، ص ٥٩٤ ؛ عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .
[٥] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ٢ ، ص ١٢١ ــ ١٢٢ . مع أن هذا الحديث رُوي بعدة طُرق وأسانيد . انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج ١٥ ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠ .
[٦] ابن تيمية ، متن العقيدة الواسطية ، ص ١٣ ــ ٤٦ ؛ ابن عثيمين ، محمد بن صالح ، القواعد المثلى من صفات الله وأسمائه الحسنى ، ط ١ ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٣٩ ــ ٤٠ ؛ المعتق ، عواد بن عبد الله ، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، ط ٢ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ ؛ الجزائري ، أبو بكر جابر ، منهاج المسلم ، د . ت ، ص ٢٣ ــ ٢٦ .
[٧] مجموع رسائل ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .
[٨] عبد الله بن حمزة ، الشافي ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ ــ ٢٦٦ .
[٩] عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ .

كَم بين قَولي عن أَبي عن جَدهِ   وأَبي أَبي فهُــو النبيُ الهادِي
وفَتَى يقُولُ : حكى لنا أشياخُنا   ما ذلكَ الإسنــادُ من إسنــادِ
ما أَحسَنَ النظرُ البَلِيغُ لمُنْصفٍ   في مُقْتَضَى الإصْدارِ والإيْرادِ
خُذْ مَا دَنا وَدَعِ البَعيْــدِ لشَأْنــهِ   يُغْنِيــكَ دَانِيــهِ عَنْ الأبعــادِ [١]

وهذا الموقف ليس موقف الإمام عبد الله بن حمزة فقط ، ولكنه موقف أسلافه من الزيدية منذ عهد الإمام الهادي إلى الحــق يحيى بن الحسيــن ، الذي رُوي عنه أنه قال : " ولهـــم (أي لأهل السنة) كتابان يسمونهما بالصحيحين (يقصد صحيح مسلم وصحيح البخـــاري) ولعمري أنهما عن الصحة لخاليان) [٢] ، وهم بهذا القول يردون نصف تعاليم الإسلام لقول الرسول (ﷺ) : " ... **ألا إني أُوتيت الكتاب (القرآن) ومثله معه ...**" [٣] ، يقصد سنته ، التي هي في معظم الأحيان وحي من السماء لقول الله تعالى : " **وما ينطق عــن الهــوى * إن هو إلا وحي يوحى** " [٤]

٢. تأثرهم بالمعتزلة ، الذي كلما ازدادوا به تقرباً منهم ازدادوا به بعداً عن أهــل الــسنة ، وقد أردنا في بدء الأمر أن نفرد بحثاً مستقلاً يتناول العلاقة بين الزيديــة والمعتزلــة ، فوجدنا ذلك غير ذي جدوى لعدة أسباب أهمها : أنه لا توجد فروق كبيرة بين الفرقتين ، حتى إن كثيراً من الكتاب والمؤرخين لا يفرقون بينهما ، فالدكتور محمد عمارة يقول : " يتردد المرء كثيراً في جعل الزيدية فرقة مستقلة إذا نحن دققنا في المعنى الحقيقي والدقيق للفرقة " ، ثم يعقب " بأن الزيدية هي امتداد للمعتزلة ، وليست فرقــة مــستقلة بــذاتها ، فمعيار التميز والاستقلال بين الفرق هو الاتفاق أو الاختلاف في الأصـــول ، والزيديـــة إجمالاً يقولون بقول المعتزلة " [٥] ، أما الدكتور المقالح فيقول " أن الزيدية معتزلة فـــي

---

[1] الأكوع ، هجر ، ج ٤ ، ص ٢٢٦٠ .

[2] المرجع نفسه ، ص ٢٥٩ .

[3] انظر : ابن حنبل ، أحمد بن محمد ، المسند ، ج ١٣ ، شرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، دار الحديــث ، القاهرة ، ١٤١٦ هـــ / ١٩٩٥ م ، ص ٢٩١ ؛ أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، كتاب السنن ، ج ٣ ، تح : محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦ هـــ / ١٩٩٦ م ، ص ٢٠٥ ؛ ابن عبد البر ، أبــو عمــر يوسف بن عبد الله بن محمد ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ج١ ، حققه وعلق حواشيه وصححه : سعيد أحمد أعراب وآخرون ، الرباط ، ١٣٨٧ هـــ / ١٩٦٧ م ، ص ١٤٩ ـــ ١٥٠ ؛ الهلالي ، سليم بن عيد ، " السنــة النبويــة بين اتباعها وأعدائها " ، مجلة الأصالة ، العدد الثالث عشر ، رجب ١٤١٥ هـــ ، بيروت ، ص ١٠٢ .

[4] النجم : الآيات (٣ ـــ ٤) .

[5] تيارات الفكر الإسلامي ، ط ١ ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، ص ١١٧ ؛ للمزيد حول هذا الموضوع قــارن بين أقوال الإمام عبد الله بن حمزة في كتابه مجموع رسائل (القسم الثاني) ، وأقوال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في كتابه المجموعة الفاخرة ، وأقوال القاضي عبد الجبار في كتابيه : (شرح الأصول الخمســة) ، (المحيــط بالتكليــف) ، للتأكد من هذا القول .

الأصول أحناف في الفقه (الفروع) [١] ، ويوافقه الدكتور علي محمد زيد في هذا الرأي [٢] .

وقد كان للإمام عبد الله بن حمزة دور كبير في هذا التقارب ، وذلك بعد أن بعث إلى العراق من يقتني له الكتب النادرة شراءً أو استنساخاً ، لاسيما كتب المعتزلة التي كانت له اليد الطولى في حفظها وبقائها في اليمن حتى اليوم ، بعد أن أُبيدت في سائر أنحاء العالم الإسلامي في أعقاب زوال سلطان الاعتزال [٣] ، وهذا يدلل على تأثره بهذه الكتب وهذا الفكر الذي طالما ناظر وجادل بأقواله وآرائه في كثير من المسائل [٤] .

٤ ــ أهم المؤلفات الفكرية والفقهية والأدبية للإمام عبد الله بن حمزة:

أولاً : المؤلفات المطبوعة :

١ ــ العَقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين [٥] :

يشتمل على عدد كبير من المسائل والفصول ، التي تعرض الإمام من خلالها إلى أهمية الإمامة ومكانتها بين الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية ، وموقف كل منهما من علي بن أبي طالب (ﷺ) ، ثم يورد الإمام عقيدة الشيعة الإمامية في عدد من الأمور أهمها : عصمة الأئمة ، والتقية ، والرجعة ، والبداء ، وذكرهم المهدي (ﷺ) ، وزعمهم أن القرآن ناقص ، وأن إجماعهم حجة ، وأن الإمام يعلم الغيب ، وأن الحاجة إليه مهمة في العقليات فهو الحافظ للشريعة ومقامه مقام الرسل والأنبياء ، وغيرها من الأمور الأخرى .

وبعد هذا كله يرد الإمام على كل مسألة جواباً كافياً شافياً حسب ما يعتقده ويدين به .

وفي فصل آخر من هذا الكتاب يعدد الإمام فرق الإمامية وما تعتقده كل فرقة .

---

[1] قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة ، ص ١٦ . وهو القول نفسه الذي نقله المقبلي عن بعض الأشاعرة . انظر : المقبلي ، صالح ، العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشائخ ، ط ٢ ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ١٩٨٥ م ، ص ١٤ .

[2] معتزلة اليمن ، ص ١٤٦ .

[3] الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٨٥ ؛ أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص ٣٥ .

[4] مع هذا التقارب الكبير بين الزيدية والمعتزلة لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة من مسائل الخلاف بين الفرقتين ، ألا وهي مسألة الإمامة ، فالزيدية كما مر بنا تحصرها في آل الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب (ﷺ) ، بينما ترى المعتزلة أن الطريق إلى الإمامة يقوم على أساس العقد والاختيار . انظر : القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص ٥١١ ــ ٥١٣ ؛ عبد الرحمن سالم ، التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٩٣ ــ ٩٤ ؛ أحمد عبد الله عارف ، الصلة بين الزيدية والمعتزلة ، ط ١ ، دار آزال ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٣٦٠ .

[5] قام بتحقيقه المحقق عبد السلام بن عباس الوجيه ، وقامت بطبعه مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية .

٢ ــ كتاب المهذب في فتاوى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة [١]:

ويتضمن سبعة وعشرين باباً فقهياً ، وقد سُمي كل فصل " كتاباً " وهي :

- كتاب الطهارة .
- كتاب الصلاة .
- كتاب الجنائز .
- كتاب الزكاة
- كتاب الصوم .
- كتاب الحج .
- كتاب النكاح .
- كتاب الطلاق .
- كتاب النفقات .
- كتاب البيوع .
- كتاب الشفعة .
- كتاب الإجارات .
- كتاب الهبات والصدقات .
- كتاب الغصب .
- كتاب العتق .
- كتاب الإيمان والكفارات والنذور .
- كتاب الوقف .
- كتاب الدعاوى والبيّنات
- كتاب الإقرار .
- كتاب الشهادات .
- كتاب الوكالة .
- كتاب القضاء والأحكام .
- كتاب الحدود .
- كتاب الجنايات والقصاص .

[١] قام بجمعه وتهذيبه الفقيه محمد بن أسعد المرادي ، وصححه المحقق عبد السلام بن عباس الوجيه ، وقامت بطبعه مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية .

- كتاب الديات .
- كتاب الوصايا .
- كتاب السير .

٣ ــ " مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة " [١] **:**

أ ــ القسم الأول : ويضم عدداً من الرسائل المختلفة التي هي في معظمها مخطوطات منفصلة تم جمعها فيه :

١ ــ (الرسالة الهادية بالأدلة البادية) وتتناول الفرقة المطرفية وموجبات تكفيرهم ، والمبررات التي استند عليها الإمام في إباحة دمائهم ، وأموالهم ، وأملاكهم .

٢ ــ الرسالة الموسومة بـ : (الدرة اليتيمة في تبيين أحكام السبي والغنيمة) .

٣ ــ أجوبة تتضمن ذكر المطرفية .

٤ ــ كتاب (الجوهرة الشافة رادعة الطوافة) ، وهو رد كتبه الإمام على رسالة بعثها رجل أشعري متفلسف من مصر ، تحوي على أربعين مسألة ونيف تتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته ، والإرادة ، والمشيئة ، والخلق ، والقدم وغيرها من المسائل التي رد عليها الإمام عبد الله بن حمزة .

٥ ــ مسائل متفرقة تشمل على :

أ ــ معنى وصف الله بالعلم .

ب ــ الرد على من يقول : إن النبوة والإمامة جزاء على الأعمال .

٦ ــ مسائل سأل عنها السلطان الحسن بن إسماعيل الدعفاني .

٧ ــ كتاب (الرسالة النافعة بالأدلة الواقعة) وتضم فضائل أهل البيت ومبادئ الزيدية ، وسبب تسميتهم بهذا الاسم ، وإقتصار الإمامة على ذرية الحسن والحسين .

ب ــ القسم الثاني : ويشتمل على :

١ ــ مسائل المدقق في الكفر المخرج عن الإيمان .

٢ ــ جواب مسائل سأل عنها الشيخ أحمد بن الحسن الرصاص .

٣ ــ مسائل سأل عنها القاضي محمد بن عبد الله بن حمزة .

٤ ــ مسائل وردت من صعدة من الأمير مجد الدين يحيى بن محمد .

٥ ــ مسائل سأل عنها الشيخ منيف بن مفضل الرعدي الجسي .

٦ ــ الأجوبة الشافية عن المسائل المتنافية .

---

[١] قام بتحقيق كل أقسامه المحقق عبد السلام بن عباس الوجيه ، وقامت بطبعه مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية .

٧ ــ جواب مسائل سأل عنها الشيخ موسى بن إبراهيم الحجلم .

٨ ــ جواب مسائل (العلم الرجوي المرشد لكل ضال غوي) .

٩ ــ مسائل وردت من الشريف نور الدين محمد بن يحيى بن عبد الله .

١٠ ــ مسائل وردت من الأمير نور الدين على الرسالة الناصحة .

١١ ــ مسائل وردت من القاضي إبراهيم بن أحمد الحامدي .

١٢ ــ جواب مسائل وردت من الأمير نور الدين الحسن بن يحيى بن عبد الله بن الهادي وتسمى : (الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية) .

١٣ ــ مسائل سأل عنها القاضي محمد بن أسعد اليمني .

١٤ ــ مسائل سأل عنها القاضي ركن الدين عمرو بن علي العنسي .

١٥ ــ جواب مسائل الشريف أبي عزيز قتادة بن إدريس .

١٦ ــ مسائل وردت من مكة .

١٧ ــ مسائل أخرى وردت من مكة .

١٨ ــ مسائل أخرى وردت من حلي .

١٩ــ جواب مسائل سأل عنها الشريف نور الدين الحسن بن يحيى في الوقف والوصية .

٢٠ ــ جواب مسائل وردت من الشيخ محيي الدين محمد بن أحمد النجراني وتسمى (الأجوبة الرافعة للإشكال والفاتحة للأقفال) .

٢١ ــ الأجوبة المرضية عن المسائل الفقهية .

٢٢ ــ مسائل في الشفعة .

٢٣ ــ مسائل في التفسير .

٢٤ ــ مسائل لأبي الفضل بن أسعد العلوي .

٢٥ ــ مسائل من الأمير أحمد بن محمد الهادي إلى الحق ، في الهبة والوقف وغيرهما .

٢٦ ــ رسالة (الإيضاح بعُجمة الإفصاح) جواب على مطاعن القاضي محمد بن نشوان .

٢٧ ــ كتاب الرسالة العالمة بالأدلة الحاكمة .

٢٨ ــ كتاب زبدة الأدلة في معرفة الله .

٢٩ ــ سلسلة الذهب الإبريز والأكسير العزيز .

٣٠ ــ كتاب وصية البنات .

٣١ ــ أجوبة مسائل سأل عنها الفقيه يحيى بن الحسين الريان .

٣٢ ــ مسألة سأل عنها عمران بن الحسن بن ناصر .

٣٣ ــ وصية للإمام .

٣٤ ــ مسألة في تسمية أسنان الإبل .

٣٥ ـ مسألة في تزويج آدم لبنيه .

ج ـ القسم الثالث : وهو كتاب تحت الطبع ، يحتوي على عدد كبير من رسائل الإمام ذات الطابع التاريخي والسياسي أو مايعرف بـ : " التاريخ السياسي " ، والتي كتبها الإمام إلى الأمراء الأيوبيين في اليمن ، وغيرهم من أصحاب الحل والعقد في المناطق المجاورة لليمن [١] .

٤ ـ كتاب الدر المنثور في فتاوى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة [٢] :

ويحتوي على أكثر من أربعة آلاف مسألة في أصول الدين ، والفقه ، وغيرها مما لا يتسع المقام لذكرها .

٥ ـ (صفوة الإختيار) [٣] :

وهو أيضاً من كتب أصول الفقه .

٦ ـ كتاب (الشافي) [٤] :

ويتكون من أربعة أجزاء ، طبع في مجلدين كبيرين وهو رد من الإمام عبد الله بن حمزة على الرسالة الخارقة التي ألفها العالم السني أبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي ، إذ استعرض الإمام فيه تاريخ الأئمة من آل البيت ابتداء من الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) ومكانته من الرسول (ﷺ) ، وموقف الصحابة منه وموقف الإمام عبد الله بن حمزة من الصحابة ، كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وغيرهم (ﷺ) أجمعين ، مروراً بقيام الدولة الأموية ، والعباسية ، ومن قام بأمر الإمامة من آل البيت خلال عهديهما ، وما حل بهم إلى غير ذلك من الأمور ، ناهيك عن موقف الإمام من القدرية ، والمشبهة ، والمرجئة ، والجبرية ، وغيرها من الفرق الإسلامية .

٧ ـ كتاب (حديقة الحكمة في شرح الأربعين حديث السليقية) [٥] :

وهو كتاب شرح فيه الإمام عبد الله بن حمزة أربعين حديثاً قام بجمعها الشريف زيد ابن عبد الله بن مسعود السليقي .

---

[١] انظر : عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ٢ ، ص ٦ ، ٦٧٠ .

[٢] قام بجمعه الشيخ محمد بن أحمد بن الوليد القرشي ، وقامت بطبعه مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية .

[٣] كتاب تحت الطبع قام بتحقيقه عبد السلام بن عباس الوجيه ، وتقوم بطبعه مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية . انظر : عبد الله بن حمزة ، المهذب ، ص (ج) .

[٤] قام بتحقيقه مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، وتولت طبعه مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

[٥] قامت بطبعه دار الحكمة اليمانية بدون تحقيق ، وستعيد طبعه مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية محققاً . انظر : عبد الله بن حمزة ، مجموع رسائل ، ج ٢ ، ص ٦٧١ .

٨ ــ كتاب (شرح الرسالة الناصحة) [١] :

ويقع في جزئين ، يتناول الجزء الأول التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، ويتناول الجزء الثاني فضائل العترة النبوية .

٩ ــ (شرح أرجوزة الخيل) للإمام عبد الله بن حمزة [٢] :

وهو كتاب في صفات الخيل ، وأصولها ، وما يحمد منها ، وما يذم عليها ، شرح ابنه أحمد بن عبد الله بن حمزة .

١٠ ــ الإختيارات المنصورية [٣] .

ثانياً : المخطوطات [٤] :

١ ــ (تحفة الإخوان) . منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء " الكتب المصادرة " .

٢ ــ (تخميس مقصورة ابن دريد) . منها نسخة مخطوطة سنة ١٠٥٧ هــ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء " الكتب المصادرة برقم مجاميع .

٣ ــ (تلقيح الألباب في أحكام السابقين وأهل الإحتساب) . في معرفة شروط السابقين وأهل الإحتساب . وهما درجتان بعد درجة الإمامة ، منه نسخة مع كتاب المهــذب بمكتبــة الجامع الكبير برقم ٢٩١ "فقه" ، ونسخة أخرى في ست ورقات بالمكتبة نفسها .

٤ ــ جواب أجاب به الإمام على الحسين بن عبد الله الطبري ، وقد سأله في مسائل ، منــه نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة "

٥ ــ جواب مسائل سأل عنها علي بن أحمد بن دريب ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

---

[1] قام بتحقيقه إبراهيم الدرسي .

[2] قامت بطبعه وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء .

[3] كتاب تحت الطبع قام بتحقيقه عبد السلام بن عباس الوجيه ، وتقوم بطبعه مؤسسة الإمام زيد بن علــي الثقافيــة . انظــر : عبد الله بن حمزة ، المهذب ، ص (ج) .

[4] انظر : الحبشي ، عبد الله بن محمد ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، مركــز الدراســات اليمنيــة ، صنعــاء ، ١٩٧٩م ، ص ٥٣٨ ــ ٥٤٧ ؛ الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، ج ٣ ، ص ٤٠ ــ ٤٩ ؛ العمــري ، حسيــن عبد الله ، مصادر التــراث اليمني في المتحف البريطانــي ، دار المختــار ، دمشــق ، ١٤٠٠ هــ / ١٩٨٠ م ، ص ١٥١ ــ ١٥٩ ؛ العزي ، عرض لحياة وآثار الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ص ٤٥ ــ ٥٩ .

٦ ــ دعوة الأتابك سنقر وقد طلع إلى اليمن في خلاف أهل صنعاء سنة ٥٩٩ هـ ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع الكبير " الكتب المصادرة " [٥] .

٧ ــ رسالة كتبها الإمام لما بلغه إعتراض الشيعة عليه ، وطعنهم فيه ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع الكبير " الكتب المصادرة " [١].

٨ ــ كتاب إلى النساء وقد ظهر فيهن مذهب الباطنية ، منه نسخة ضمن مجموعة بمكتبة الجامع الكبير برقم ٩٧ " الكتب المصادرة " [٢] .

٩ ــ كتاب إلى الأمير شهاب الدين بن محمد الجزري وقد بلغه رغبته في الطاعة ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ " الكتب المصادرة " ، ونسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٥٤ [٣] .

١٠ ــ كتاب إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٥٩٨ هـ ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع الكبير " الكتب المصادرة " ، ونسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٥٤ بالمكتبة نفسها [٤].

١١ ــ دعوة إلى أمير حاج العراق طشكين وقد وصلت منه كتب إلى اليمن بعد دعوى إسماعيل بن طغتكين بالخلافة ، منها نسخة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

١٢ ــ دعوة الإمام لإسماعيل بن طغتكين لما حط على كوكبان سنة ٥٩٩ هـ ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة ".

١٣ ــ دعوة الإمام إلى الأمير ورد سار والأجناد الذين معه وهم في المحالب ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

١٤ ــ ديوان الإمام عبد الله بن حمزة .

جمعه أحد أبنائه وهو مقسم على ثمانية أبواب :

الأول : في الإفتخارات .

الثاني : في المكاتبات .

الثالث : في مخاطبة أهل المذاهب .

الرابع : فيما كتبه إلى أولاده وزوجاته .

---

[5] تجدها أيضاً عند : ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ــ ٢٣٨ .

[1] ابن دعثم ، السيرة المنصورية ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٤٠ ــ ٥٤٥ .

[2] المصدر نفسه ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ــ ١٧٦ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٣٤ ــ ٣٨ .

[4] المصدر نفسه ، ص ٦٨ ــ ٧٢ . وهناك مجموعة كبيرة من الرسائل الأخرى التي كتبها الإمام عبد الله بن حمزة والتي لم نجدها إلا في هذا المصدر .

الخامس : في المدائح والأوصاف .

السادس : في صفات الخيل .

السابع : في المواعظ .

الثامن : في المراثي .

منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٥٧ هـ في ٢٠٣ ورقة بمكتبة الجامع رقم ٣٦ " أدب " ، ونسخة أخرى مخطوطة سنة ٩٠٧ هـ في ٢٢٥ ورقة بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٥١ ، ونسخة ثالثة كتبت سنة ١٠٨٢ هـ في ١٨٧ ورقة بنفس المكتبة ، ونسخة رابعة مخطوطة سنة ٨٩٤ هـ بمكتبة الجامع برقم ٤٨ " أدب " " الكتب المصادرة " .

١٥ ـ (الرسالة الإمامية في الجواب على المسائل التهامية) ، أجاب فيها الإمام على أسئلة وردت من الفقيه محمد بن أسعد الواقدي الصليحي ، منها نسخة مخطوطة سنة ٦٢٥ هـ ضمن مجموعة من ورقة ١٥٧ إلى ورقة ١٩٠ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ .

١٦ ـ رسالة الإمام إلى الناس كافة يدعوهم إلى إمامته ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

١٧ ـ رسالة الإمام التي أولها : الحمد لله المهيمن المنان ... الخ ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٢ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

١٨ ـ (الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة) ، ذكرها المؤرخ أبو علامة في كتابه النفحات العنبرية . وتتناول الفرقة المطرفية .

١٩ ـ (الرسالة الكاشفة للإشكال في بيان الفرق بين التشيع والإعتزال) ، ذكرها المؤرخ أبو علامة في كتابه النفحات العنبرية ، ومنها نسخة في الجامع آخر كتاب أمالي أحمد ابن عيسى .

٢٠ ـ (الرسالة الكافية لأهل العقول الصافية) ، ذكرها المؤرخ أبو علامة في كتابه النفحات العنبرية عندما ذكر الإمام أحمد بن عيسى ، وفي فهرست مكتبة الجامع بعنوان : " الرسالة الكافية لأهل العقول الوافية " ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ " الكتب المصادرة " .

٢١ ـ (الرسالة المرتضاة في العهد إلى القضاة) ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " ، ونسخة مخطوطة سنة ٦٠٠ هـ في ٣٧ ورقة ، ونسخة ثالثة ضمن مجموعة برقم ٥٤ في المكتبة نفسها .

٢٢ ـ (الرسالة الناصحة المشيرة بترك الإعتراض على السيرة) جواب على مسائل ومطاعن وردت من الفقيه أبي القاسم الحسين بن شبيب إلى حوث سنة ٥٩٦ هـ ،

منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " ، ونسخة أخرى ضمن مجموعة رقم ٩٧ في المكتبة نفسها .

٢٣ ــ (الرسالة الناصحة بالدلايل الواضحة في معرفة رب العالمين) ، وهذه الرسالة كانت تدرس للطلبة ، وقد شرحها العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ في كتاب أسماه : " سمط الجمان شرح الرسالة الناصحة للأخوان) ، ومنها عدة نسخ ، نسخة بمكتبة الجامع برقم ٤٨٤ " كلام " ، وأخرى مخطوطة سنة ١٣٣٧ هـ بمكتبة الجامع برقم ٨٨ " كلام " الكتب المصادرة . ومن الأصل نسخة مخطوطة سنة ٦٣٥ هـ في ١٣٦ ورقة بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ ، وأخرى مخطوطة سنة ١٣٢٠ هـ بمكتبة الجامع برقم ٧٣ " كلام " " الكتب المصادرة " ، وثالثة مخطوطة سنة ١٠٢٨ هـ بالمكتبة نفسها برقم ١٩٤ .

٢٤ ــ (الرسالة الناصحة لأهل الإيمان ببلاد الجيل ، والديلمان ، والعراقين ، وخراسان) ، ذكرها المؤرخ أبو علامة في كتابة النفحة العنبرية .

٢٥ ــ رسالة ، منها نسخة مخطوطة سنة ١٣٠٢ هـ ضمن مجموعة برقم ٢ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٢٦ ــ (زيادة الأدلة العقلية) ذكرها المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ص ١٠٩ ، ولعله تصحيف كتاب (زبدة الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى) الذي ورد في مجموع رسائل القسم الثاني .

٢٧ ــ صورة كتاب الإمام إلى عامل بني العباس على اليمن ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٦٨ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٢٨ ــ (العقيدة النبوية في الأصول الدينية) ، منها نسخة مخطوطة سنة ٦٢٥ هـ ضمن مجموعة من صفحة ٢ إلى ١١ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ .

٢٩ ــ عهد الامام إلى الأمير حسام الدين علي بن محسن الهمداني ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٣٠ ــ قصيدة مرسلة إلى الخليفة العباسي ، أورد جزءاً منها زبارة في أئمة اليمن ص ١٣٩ ــ ١٤١ .

٣١ ــ كتاب إلى أمير حاج العراق ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٣٢ ــ كتاب إلى أهل الظاهر ، وقد شكت الرعية مضرة لحقتها من الأشراف وخدمهم ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " ، ونسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٥٤ في المكتبة نفسها .

٣٣ ــ كتاب إلى الأمير إبراهيم الحمزي ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٣٤ ــ كلام للإمام وقد بلغه إعتراض الشيعة عليه ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٣٥ ــ (مصباح المشكاة في تثبيت الولاة) ، منه نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " ، و أخرى ضمن مجموعة برقم ٥٤ في المكتبة نفسها .

٣٦ ــ مكاتبة بين الإمام وبني رسول ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٩٧ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٣٧ ــ نبذة عن إملاء الإمام ، منها نسخة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع " الكتب المصادرة " .

٣٨ ــ (الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال) ، منها نسخة مخطوطة سنة ٦٢٥ هـ ضمن مجموعة من ورقة ١٥١ ــ ١٥٦ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٨ .

٣٩ ــ (كتاب عقدة الفواطم) ، ذكره المؤيدي في (التحف شرح الزلف) ص ٢٤٧ . طبعة مكتبة بدر ، الطبعة الثالثة .

٤٠ (الياقوت المعظم) " إتحاف الأكابر " ، نسبه الشوكاني إلى الإمام عبد الله بن حمزة .

٤١ ــ (الرسالة القاطعة للأوراد عن لجاج المتعنت في الإيراد) ، ذكرها ابن مظفر في الترجمان .

٤٢ ــ (الرسالة القاهرة بالأدلة الباهرة) ، ذكرها ابن مظفر في الترجمان .

٤٣ ــ (المجموع من آيات القرآن الشريف المبطل لمذهب أهل التطريف) ، ذكرها ابن مظفر في الترجمان .

٤٤ ــ (تفسير القرآن) ، ذكرها المؤرخ أبو علامة في كتابه (النفحة العنبرية) ، وأنه شرع فيه ولم يكمله .

٤٥ ــ مناسك الحج ، نسخة محفوظة بمكتبة السيد عز الدين أحمد المؤيدي .

٤٦ ــ تحقيق النبوة ، نسخة محفوظة بمكتبة السيد المرتضى الوزير بهجرة السر .

الخاتمـــة

لا يختلف الكثيرون في أن قيام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بالإمامة الزيدية في سنة ٥٩٣ هــ ، شكل مرحلة جديدة من مراحل تاريخ الزيدية في اليمن ، فبعــد ركــود طويل دام ما يربو على عشرين عاماً ، بعد وفاة الإمام المتوكل على الله أحمد بن ســليمان ، جاء هذا الإمام الشاب ليحيي في الزيدية آمالها بإحياء دولتهم الغــابرة علــى أرض الــيمن ، وخاصة مع توافر شروط الإمامة الزيدية فيه ، فقد تربى صغيراً على حب العلــم والمعرفــة فنشأ في كنف العلماء وكبار مشائخ المذهب الزيدي ، ذلك الأمر الذي ساعده كثيراً في صــقل شخصيته مبكراً ، فلم يبلغ الشباب إلا وقد إتضحت فيه علامات النبوغ ، وسمات القيادة ، التي لفتت إنتباه علماء الزيدية ، فتوسموا فيه ذلك الإمام القادم ليعيد أمجاد الزيدية .

ومع ذلك الإمتحان العسير الذي تعرض له هذا الإمام من قبل هؤلاء العلماء والمشائخ في حقل صعدة ، إلا أنه إستطاع بعلمه وحكمته إجتيازه ، فكان ذلك أول علامة من علامــات نجاحه السياســي ، والتي من خلالها أقنع الكثيرين بالوقوف إلــى جــواره ، ومــساندته ، وتقديــم العــون له ، وعلى رأس هؤلاء الأميران شمس الدين يحيى بن أحمد وبدر الديــن محمد بن أحمد .

لقد استمر هذا الإمام يدير شؤون الدولة الزيدية بحكمة واقتدار في ظل وجود الدولــة الأيوبية في اليمن ، والتي كانت تفوقه كثيراً في القدرات العسكرية والإقتصادية . ومع ذلــك كانت الحرب بينهما سجالاً ، بل إنه استطاع في أحيانٍ كثيرة تحقيق العديد من الانتــصارات عليها .

إن المتأمل في السياسة الداخلية والخارجية للإمام عبد الله بن حمزة يدرك ذلك القــدر من الوعي السياسي الذي تمتع به هذا الإمام ، فعلى الرغم من شجاعته التي اشــتهر بهــا ؛ إلا أنه لم يكن متهوراً ، فكان يفضل الصلح على السيف في أحيــانٍ كثيــرة ، لعلمــه بأنــه لا يستطيع القتال في جبهتين منفصلتين : الجبهة الداخلية : المتمثلة في القبائل المتمردة عليه ، والجبهة الخارجية : المتمثلة في الدولة الأيوبية ، فكان إذا تصالح مع الأيوبيين ؛ توجه نحــو هذه القبائل ليقمع تمرداتها ويبرهن لها أنها ليست بمعزل عنه ، وأن إعتمادها علــى الدولــة الأيوبية في حمايتها أمر لا يمكن الركون إليه ، وبالمقابل إذا صلحت أحوال هذه القبائل تفرغ لقتاله مع الأيوبيين ، ولاسيما في مراحل ضعفهم وتفككهم .

ولم تكن هذه السياسة الحكيمة في إدارة شؤون الدولة الزيدية مقتصرة على جبهــات القتال فقط ، بل تعدتها إلى استخدام أساليب أكثر فاعلية من القوة والسيف ، فكان الإمام كثيراً

ما يستميل إليه القادة الأيوبيين المنشقين عن دولتهم ؛ لخوفهم من بطش ملوكهم الذين تمـــادوا في القتل وسفك الدماء ، فإستطاع بهذا الأسلوب أن يجذب إليه العديد من هؤلاء القادة الـــذين كانوا خير عون لـــه في قتاله مع الأيوبيين أنفسهم ، كما إستطاع من خلالهم تحقيق العديد من الانتصارات والتي لم يكن ليحققها بدونهم ، نظراً لما يملكوه من خبرة وشـــجاعة واســـتعداد للقتال ، حتى إن بعضهم قُتل وهو على ولائه لهذا الإمام .

أما فيما يخص القبائل فقد استخدم الإمام معها أسلوب الترغيب والترهيب ، وهو بهذا الأسلوب تمكن إلى حد كبير من الحد من تمردات هذه القبائل ، التـــي كـــان الإمـــام يـــدرك خطورتها على دولته ، فلم يدع طريقاً في التعامل معها إلا سلكه إبتداء من الهبات والعطايا ، إلى العقوبات المالية ، ثم قبض الرهائن على الطاعة ، ووصولاً إلى القتل والتشريد .

إننا من خلال دراستنا لشخصية هذا الإمام ، نستطيع الجزم بأنه لم يكن يفضل أن يحل أموره على مختلف الصعد بالطرق العسكرية ، وخاصة فيما يخص الأطـــراف الداخليـــة ، بل إنه كثيراً ما تجنب مثل هذه الحلول [1] ؛ إلا أن ذلك لم يمنعه أن يلجأ إليها مـــضطراً إذا لم تنجح كل السبل ، وهو بذلك يعكس لنا رجاحة عقله ، وحسن تدبيره ، اللذين هما من أهـــم الشروط الواجب توافرهما لتولي الإمامة الزيدية .

لقد تميزت الدولة الزيدية في عهد الإمام عبد الله بن حمـــزة بعـــدد مـــن المظـــاهر الحضارية وأبرزها : المظاهر السياسية ، والإدارية ، والإقتصادية ، والعمرانية ، والفكرية ، والتي كان الإمام يدرك أهميتها في تدعيم أساس دولته ، فمع الإمكانات المادية المحدودة لهذه الدولة ، إلا أنها استطاعت بفضله الاستمرار والتطور ، ولم يكن ذلك ليحدث لولا ذلك النظام السياسي ، والإداري ، والإقتصادي الذي انتهجه الإمام ليخلق منه موارد مالية يـــستطيع مـــن خلالها بث الحياة في هذه الدولة ، وما نظام الولايـــة ، والحـــسبة ، والجـــيش ، والـــدواوين عموماً ، إلا دليل على تقديره لهذا الأمر ، فحاول قدر الإمكان وضع الشخص المناسب فـــي المكان المناسب ، واستعان في هذه المناصب بعدد كبير من القضاة والمشائخ الزيدية ، الذين يثـــق بإخلاصهـــم لـــه ، فكانوا خير سند يمكن الإعتماد عليه ، ومـــصدراً مهمـــاً لتزويـــده بالمقاتلين والأموال ، ويـــداً له لقمع المتمردين ، وتنفيذ أوامره في تلك المناطق .

وبالإمكانات نفسها تمكن هذا الإمام من تكوين فرق عسكرية ، وجعل لهـــذه الفـــرق رواتب شهرية حتى تتفرغ للقتال وقت الحاجة لها . ومع أن هذا النظام كان معمولاً به منـــذ صدر الدولة الإسلامية ، إلا أن وجوده في الدولة الزيدية كان أمر ملفتاً للنظر ، والتي كانـــت

---

[1] وهذا ما جعله عرضة للانتقادات من قبل زعماء وشيوخ الزيدية والمطرفية معاً ، الذيـــن أخـــذوا عليـــه موالاتـــه للباطنييـــن (سلاطين بني حاتم) ، ومصالحة الفسقة والفجرة (الأمير ورد سار) ، وتوليته للظلمة (الأمير المؤيد بن قاسم) . انظـــر : ابن دعثم السيرة المنصورية ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

تعتمد قبل ذلك على استقدام المقاتلين وقت الحرب ، مقابل حصولهم على نصيب معلوم من الغنائم ، لا يُعرف قدرها ، ولا تضمنه الدولة لهم .

وفضلاً عن ذلك ، تحملت الدولة الزيدية في عهد الإمام عبد الله بن حمزة نفقات المدارس ، واستطاعت تشييد وترميم الحصون وبنت الجوامع والدور ، وسكت العملة ، التي تعد من أهم الإنجازات الإقتصادية التي شهدتها هذه الدولة ، والتي تعكس أيضاً الحس الإقتصادي عند هذا الإمام ، كما تدل على علمه بأهمية الاقتصاد في حياة الناس ، وفي حربه مع الأيوبيين ، وغيرهم من الأطراف الذين أنفق عليهم الأموال الكثيرة من أجل استمالتهم وتأليف قلوبهم نحوه ، حتى يكونوا يداً معه ، لا عليه .

وإذا كنا لم نختلف كثيراً على أن قيام هذا الإمام قد شكل مرحلة جديدة من مراحل الدولة الزيدية ، وأن قراراته السياسية ـ فيما يتعلق بالدولة الأيوبية والأطراف الداخلية والخارجية ـ إتسمت بالحكمة والحلم ، فسوف يختلف الكثيرون حول العلاقة التي كانت تربطه بالفرقة المُطرّفية ، التي شاركته السكنى في ربوع دولته ، بل هم من مذهبه وفرقته قبل الاختلاف .

وجدير بالذكر أن هذه العلاقة إتسمت بالغموض ، وهو الأمر الذي جعل المؤرخين والكتّاب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

- **القسم الأول :** مؤيد للإمام فيما فعله بهذه الفرقة ، وهم في معظم الأحيان أتباع المذهب الزيدي ، الذين يرون الموضوع بمنظور ديني بحت ، استحقت من خلاله هذه الفرقة ما حل بها . فالإمام عبد الله بن حمزة باعتباره أعلى سلطة دينية في ذلك الوقت وبوصفه إماماً للزيدية أفتى بتكفير هذه الفرقة ، لأقوال قالوها أو نُسبت إليهم ولم ينكروها ، واستدل في تكفيره هذا على عدد من المسوغات التي أقنعت الكثيرين بهذه الفتوى ، وعليه يرفضون أي انتقاد لهذا الإمام مهما كانت مبرراته ومهما كان مصدره .
- **القسم الثاني :** أنكر على المُطرّفية أقوالها ، ولكنه لم يرَ أن هذه الأقوال تستحق ما حل بها ، وهم بذلك ينكرون على الإمام تشدده مع هذه الفرقة .
- **القسم الثالث :** لا ينكر إعجابه الشديد بالفرقة المُطرّفية ، وأقوالها ، وآرائها ، والتي يزعمون أنها سبقت عصرها ، وأنها حُرفت وشُوهت حتى يبرر الإمام فتواه بتكفيرها . وعلى هذا الأساس فلابد من وجود أسباب أخرى لهذا التكفير الذي يعده البعض عذراً للتخلص من هذه الفرقة ومن هذه الأسباب :

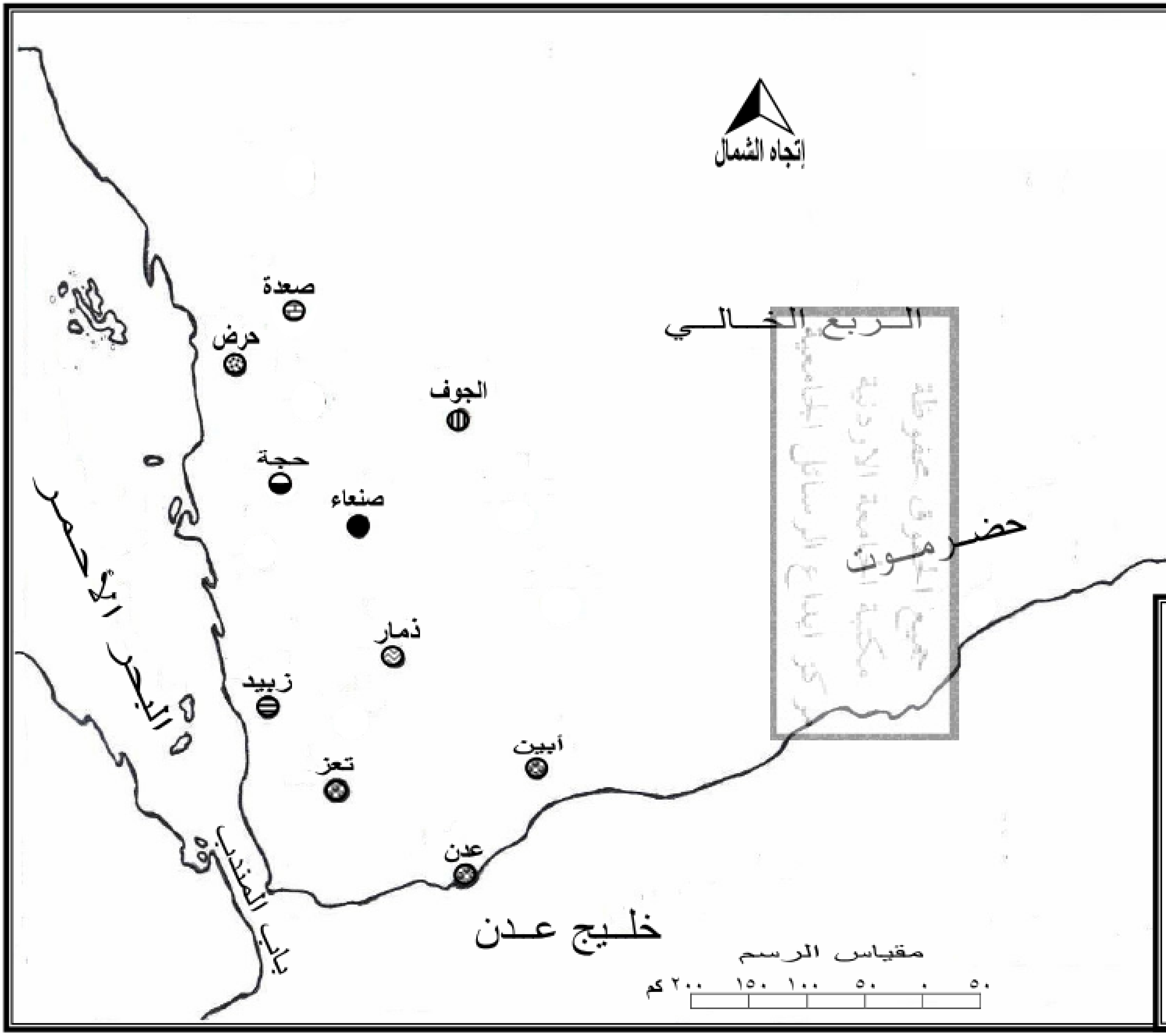
١ ــ **الأسباب السياسية** : وتكمن في معارضة الفرقة المُطرّفية لكثير من قــرارات الإمــام ، والتي كان يتخذها بدوافع سياسية ــ حسب ما يراه مناسباً ــ في تلك المرحلــة ، بينمــا رأت المطرفية في ذلك خروجاً على الشروط التي على أساسها تمت بيعته ، وهم في ذلك يــذهبون إلى الطعن فيها ، وأنهم في حلٍ منها .

٢ ــ **الأسباب الاجتماعية** : وتكمن في ذلك النسق الإجتماعي الذي إتخذته المُطرّفية أسلوباً لها في الحياة ، فلجأت إلى حياة التقشف ، والزهد ، والبساطة ، وإنصرفت إلى أمــور العبــادة ، مما جعل العامة يعقدون مقارنة بين هؤلاء القوم ، والأشراف الزيدية ، الذين كان البعض منهم يتعالون على الناس ، ويعيشون حياة ترف مقارنة بواقع الناس في ذلك العصر ، فكــان مــن الطبيعي أن تكون هذه المقارنة في غير صالح الأشراف ، الذين نفر النــاس عــنهم وأخــذوا يتجمعون في هجر المطرفية ، وهذا مما أثار حفيظة الإمام على هذه الفرقة .

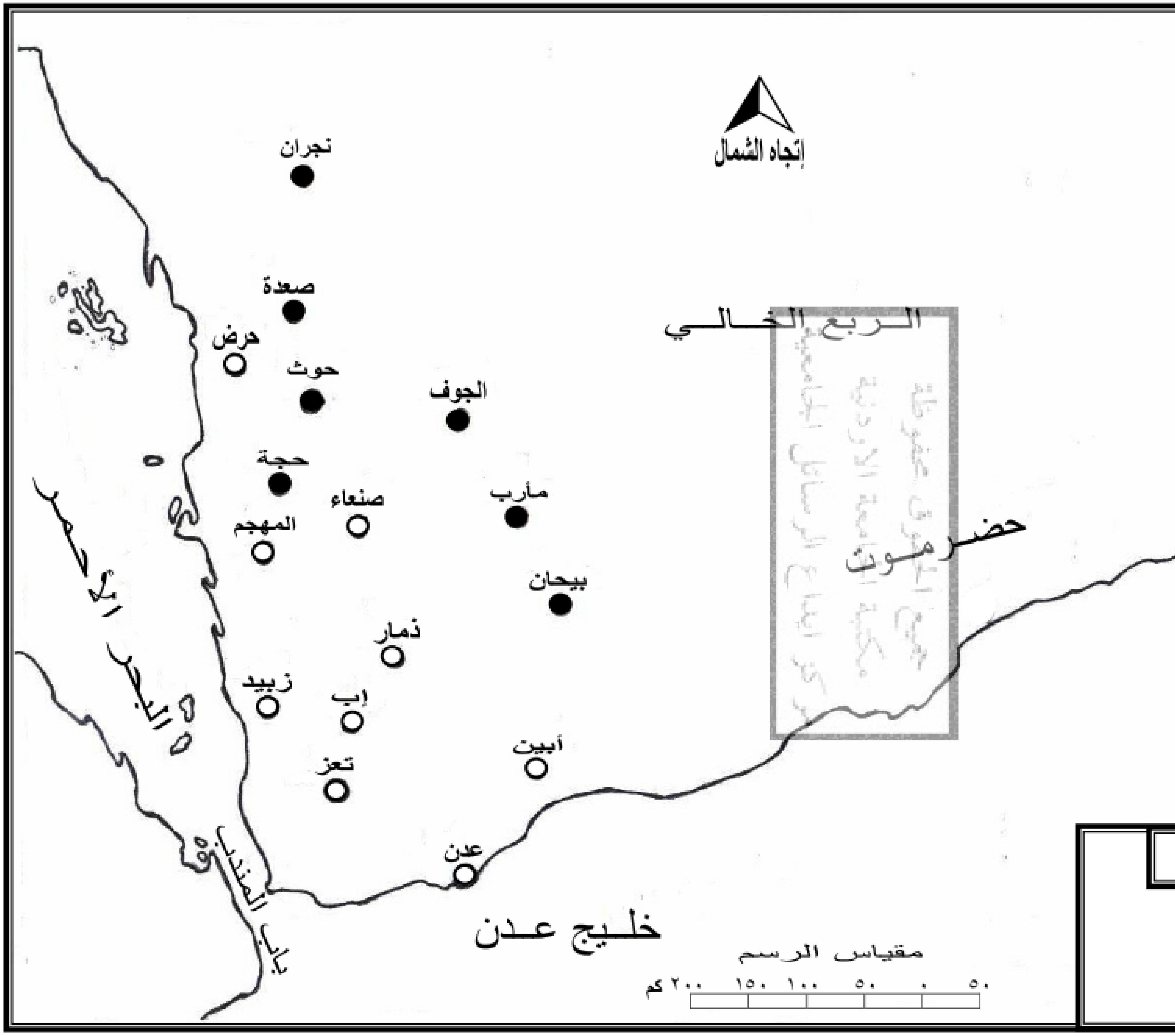
٣ ــ **الأسباب الدينية** : وتكمن في إعتقاد المُطرّفية بأن الإمام عبد الله بن حمزة تنصل عــن المبادئ التي وضع أساسها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين مؤسس المذهب الزيــدي في اليمن ، وذلك بمخالفته له في كثير من الفروع ، وهذا ما لم يرضِ المطرفية التي رفضت أي اجتهاد في أقوال الهادي ، ولو كان ذلك من الإمام عبد الله بن حمزة ، وذلك مما زاد مــن هوة الخلاف بين الطرفين .

وأياً كانت هذه الأسباب وموقفنا منها ، فلن يغير ذلك من الأمر شيئاً ، فقد أُبيدت هذه الفرقة ، وإندثر تراثها الفكري الذي ربما كنا نستطيع من خلاله أن نتعرف على بعض الآثار المجهولة من تاريخها .

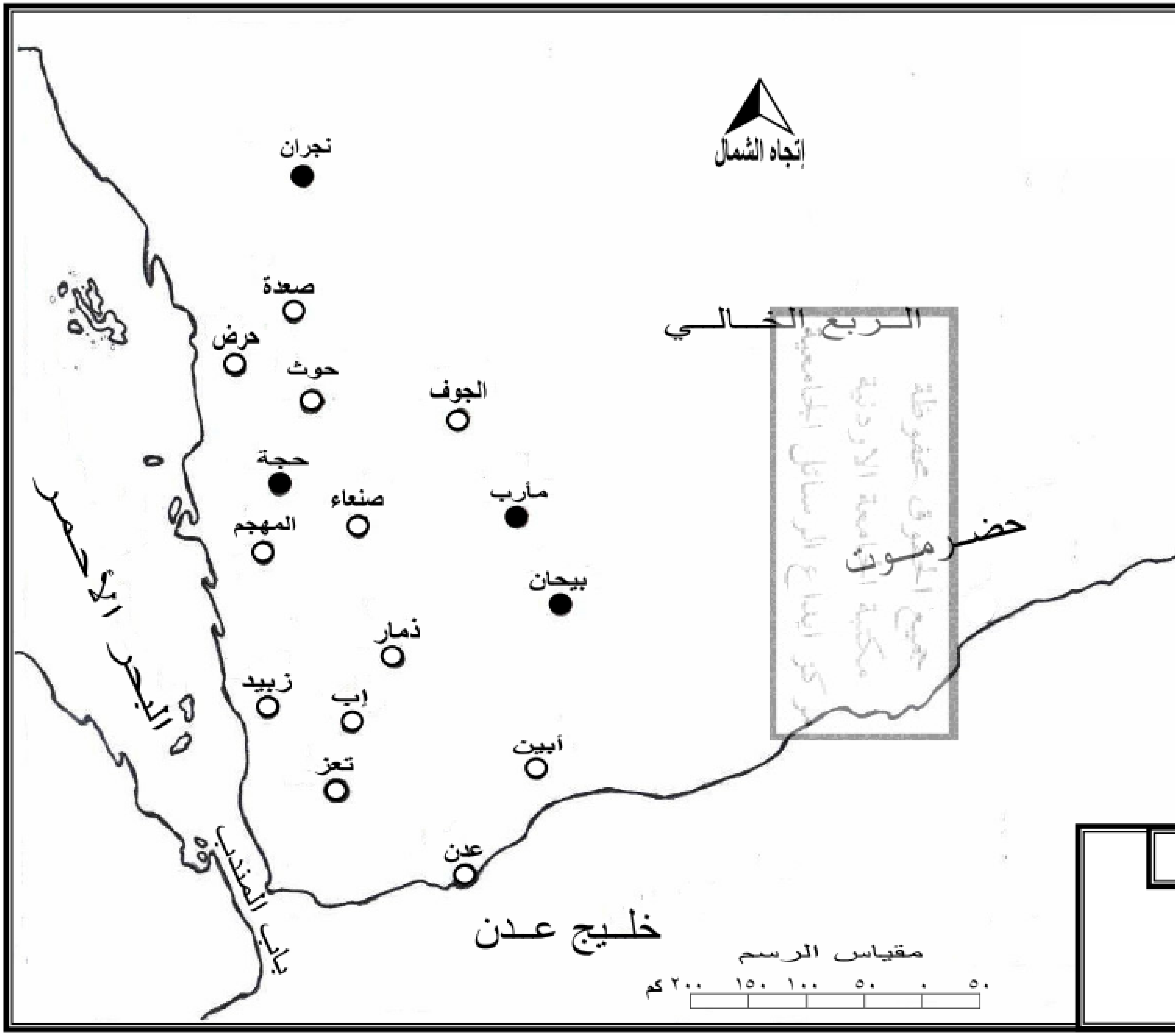
إن ما فعله الإمام عبد الله بن حمزة بالمطرفية لا يلغي كون هذا الإمام برع في العديد من المجالات فكان عالماً ، وفقيهاً ، وشاعراً ، وأديباً ، تشهد له مؤلفاته بذلك ، والتي شملت أمور العقيدة ، والفقه ، والعبــادات ، والمعــاملات ، والأخــلاق ، والــسياسة ، والــشعر ، والخطابة ، والمراسلات ، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على غزارة علمــه ، وســعة معرفته ، وإتقانه اللغة ، والأمثال ، والحكم ، والتي من خلالها اســتطعنا أن نتعــرف علــى جوانب شخصيته وملامح نهجه وفكره في الحياة .



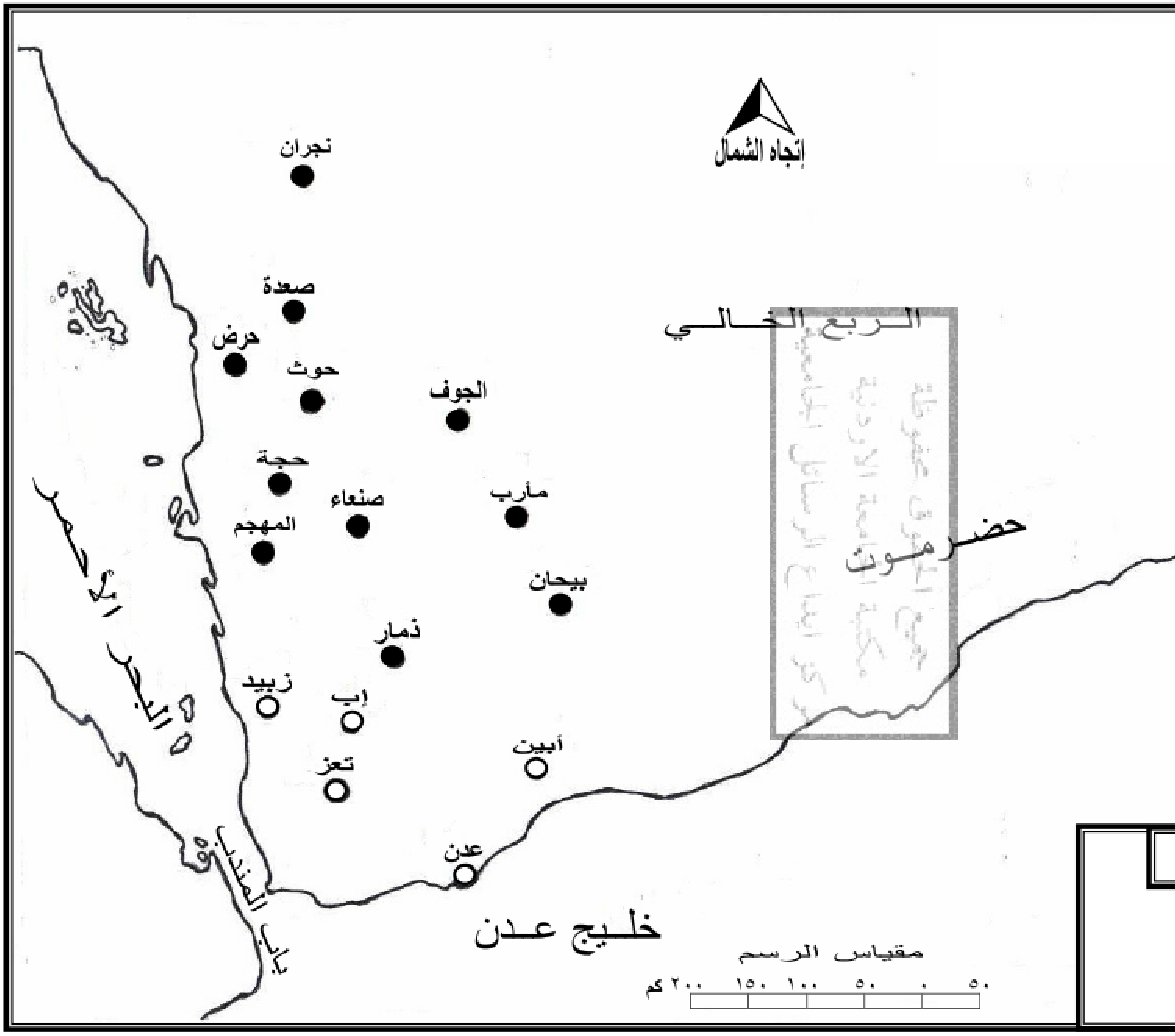
رقم (١) خريطة توضيحية لبلاد اليمن قبل الفتح الأيوبي سنة ٥٦٩هـ



خريطة توضيحية لمناطق النفوذ التقليدية للدولة الأيوبية والدولة الزيدية في عهد الإمام عبدالله بن حمزة



(٣) خريطة توضيحية للتوغل الأيوبي في مناطق الدولة الزيدية في عهد الإمام عبدالله بن حمزة



م (٤) خريطة توضيحية لأقصى إتساع وصلت إليه الدولة الزيدية في عهد الإمام عبدالله بن حمزة

الملحق الثالث : مأثورات الدراهم المنصورية :

شكل رقم (١) مأثورات الدرهم الثقيل .

	**الوجه** في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: بسم الله / الرحمن ال/ رحيم لا إله إلا / الله محمد ر / سول الله علي / ولي الله.	**هامش الوجه** ضرب / بحوث / سنة / إحدا / عشرة / ستمية.
	**الظهر** في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: الإمام / المنصور / بالله أمير / المؤمنين / عبدالله بن / حمزة بن سليمن.	**هامش الظهر** ابن ر/ سول / الله / صلى / الله عليه / وآله.

شكل رقم (٢) مأثورات الدرهم الخفيف .

	**الوجه** في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: بسم الله / الرحمن ال/ رحيم لا إله إلا / الله محمد ر / سول الله علي / ولي الله.	**هامش الوجه** ضرب / بظفار / سنة / ..../ ..../ ستمية.
	**الظهر** في الوسط نجمة سداسية مقسمة إلى ستة أجزاء مستقلة: الإمام / المنصور / بالله أمير / المؤمنين / عبدالله بن / حمزة بن سليمن.	**هامش الظهر** ابن ر/ سول / الله / صلى / الله عليه / وآله.

الملحق الثالث : مأثورات الدراهم المنصورية :

شكل رقم (١) مأثورات الدرهم الثقيل .

الملاحق

ملحق الأول : الجداول :

جدول رقم (١) : سلاطيــن أيوبية اليمــن * :

١- المعظم توران شاه بن أيوب	(٥٦٩ ــ ٥٧١هـ)
٢- العزيز طغتكين بن أيوب	(٥٧٩ ــ ٥٩٣هـ)
٣- المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب	(٥٩٣ ــ ٥٩٨هـ)
٤- الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب	(٥٩٨ ــ ٦١١هـ)
٥- المعظم سليمان بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب	(٦١١ ــ ٦١٢ هـ)
٦- المسعود يوسف بن الكامل بن أيوب	(٦١٢ ــ ٦٢٦هـ)

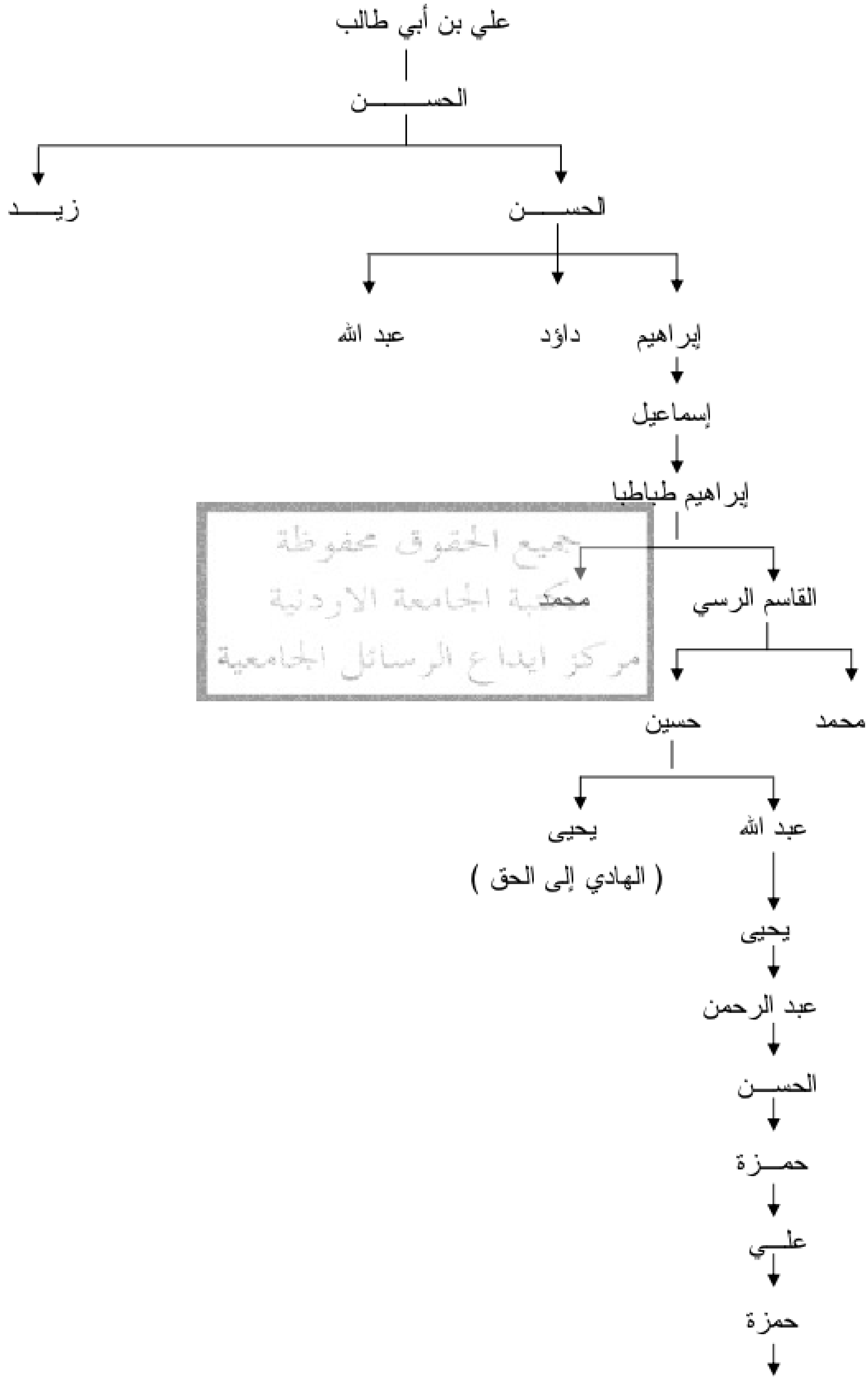
* نقلاً عن : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٣٦ ؛ الهمداني ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، ص ٣٤٧ .

جدول رقم (٢) : أئمة زيدية اليمن حتى عهد الإمام عبد الله بن حمزة * :

١- الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين	(٢٨٤ ــ ٢٩٨ هــ)
٢- المرتضى لدين الله محمد بن يحيى بن الحسين	(٢٩٨ ــ ٣٠١ هــ)
٣- الناصر لدين الله أحمد بن يحيى بن الحسين	(٣٠١ ــ ٣٢٢ هــ)
٤- المنصور بالله يحيى بن أحمد بن يحيى	(٣٢٢ ــ ٣٥٨ هــ)
٥- الداعي يوسف بن يحيى بن أحمد بن يحيى	(٣٥٨ ــ ٣٨٩ هــ)
٦- المنصور بالله القاسم بن علي العياني	(٣٨٩ ــ ٣٩٣ هــ)
٧- المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي العياني	(٤٠١ ــ ٤٠٤ هــ)
٨- المعيد لدين الله أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن	(٤٢٦ ــ ٤٣١ هــ)
٩- الناصر لدين الله أبو الفتح الديلمي	(٤٣٧ ــ ٤٤٤ هــ)
١٠- المتوكل على الله احمد بن سليمان	(٥٣٢ ــ ٥٦٦ هــ)
١١- المنصور بالله عبد الله بن حمزة	(٥٩٣ ــ ٦١٤ هــ)

* نقلاً عن : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص ٤٠٦ - ٤١٠ .

جدول رقم (٣) : شجرة نسب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة [١] :



(1) Madelung , W. , *Der Imam al- Qasim ibn Ibrahim und die Claubenslehre der Zaiditen* (Berlin , 1965) p . 247

سليمـــان

↓

حمـــزة

↓

عبد الله (الإمام المنصور بالله)

جدول رقم (٤) : فرق الشيعة [١] :

- **الشيعة**
  - المخلصين
  - التفضيلية
  - السبئية
  - **الغلاة**
    - السبئية
    - المفضلية
    - السريغية
    - البزيعية
    - الكاملية
    - المغيرية
    - الجناحية
    - البيانية
    - المنصورية
    - الغمامية
    - الإمامية
      - الحسنية
      - النفسية
      - الحكمية
      - السالمية
      - الشيطانية
      - الزرارية
      - البدائية
      - المفوضة
      - اليونسية
      - الباقرية
      - الحاضرية
      - الناووسية
      - العمارية
      - المباركية
      - الباطنية
      - القرامطة
      - الشميطية
      - الميمونية
      - الخلفية
      - البرقعية
      - الجنابية
      - السبعية
      - المهدوية
      - الافطحية
      - المفضلية
      - الممطورية
      - الموسوية
      - الرجعية
      - الإسحاقية
      - الأحمدية
      - الإثنىعشرية
      - الجعفرية
    - التفويضية
    - الخطابية
    - المعمرية
    - الغرابية
    - الذبابية
    - الذمية
    - الاثنينية
    - الخمسية
    - النصيرية
    - الإسحاقية
    - العلبائية
    - الرزامية
    - المقنعية
  - **الزيدية**

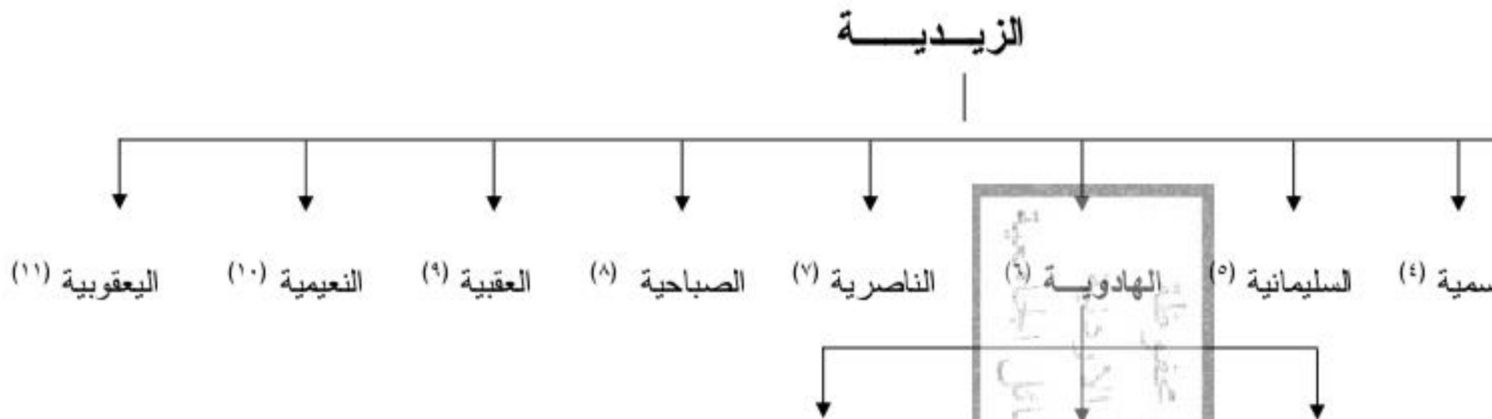
---

(١) اعتمدنا في وضع هذا التقسيم على : الدهلوي ، مختصر التحفة الإثنى عشرية ، ص ٣ ــ ٢١ .

→

→

الزيدية [1] :



...للزيدية في المشرق الإسلامي ، ص ٨٢ ـ ٩٧ .

... العبدي .

...عيل بن نافع النواء الملقب بـــ : الأبتر وتسمى أيضاً (الصالحية) .

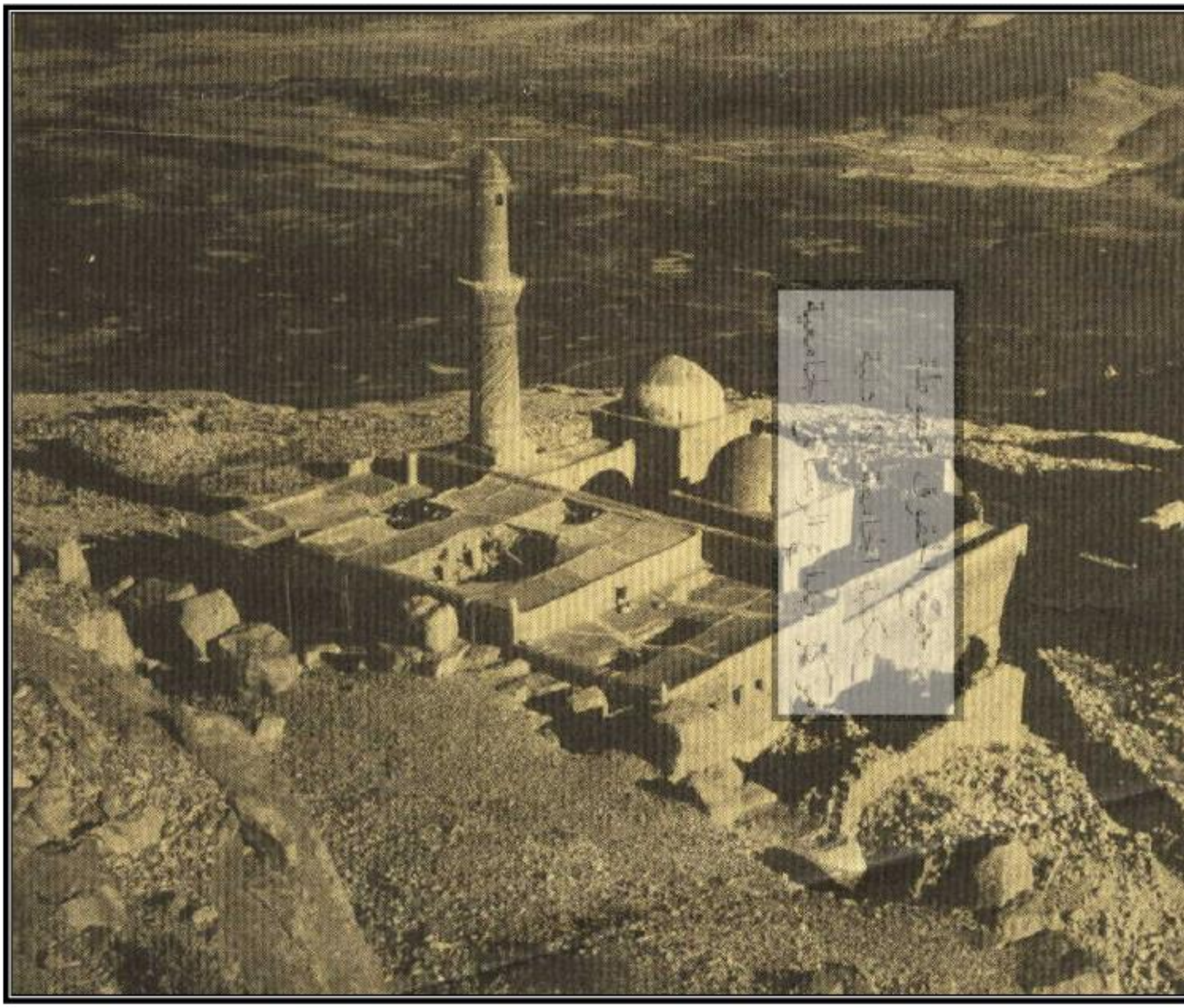
... إسماعيل الرسي .

...ضاً (الجريرية).

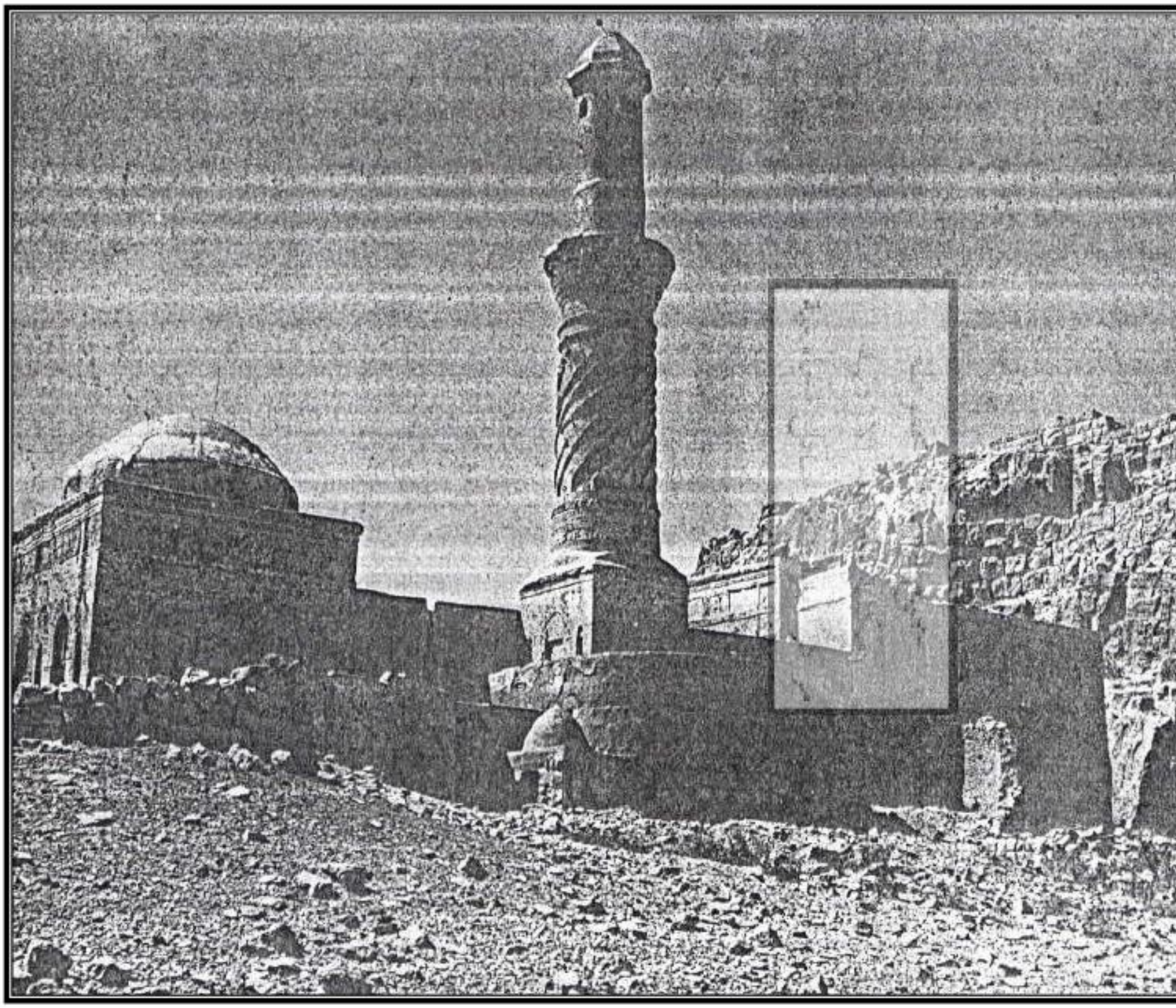
...ى بن الحسين .

...لي بن الحسن الملقب بـــ : الأطروش .

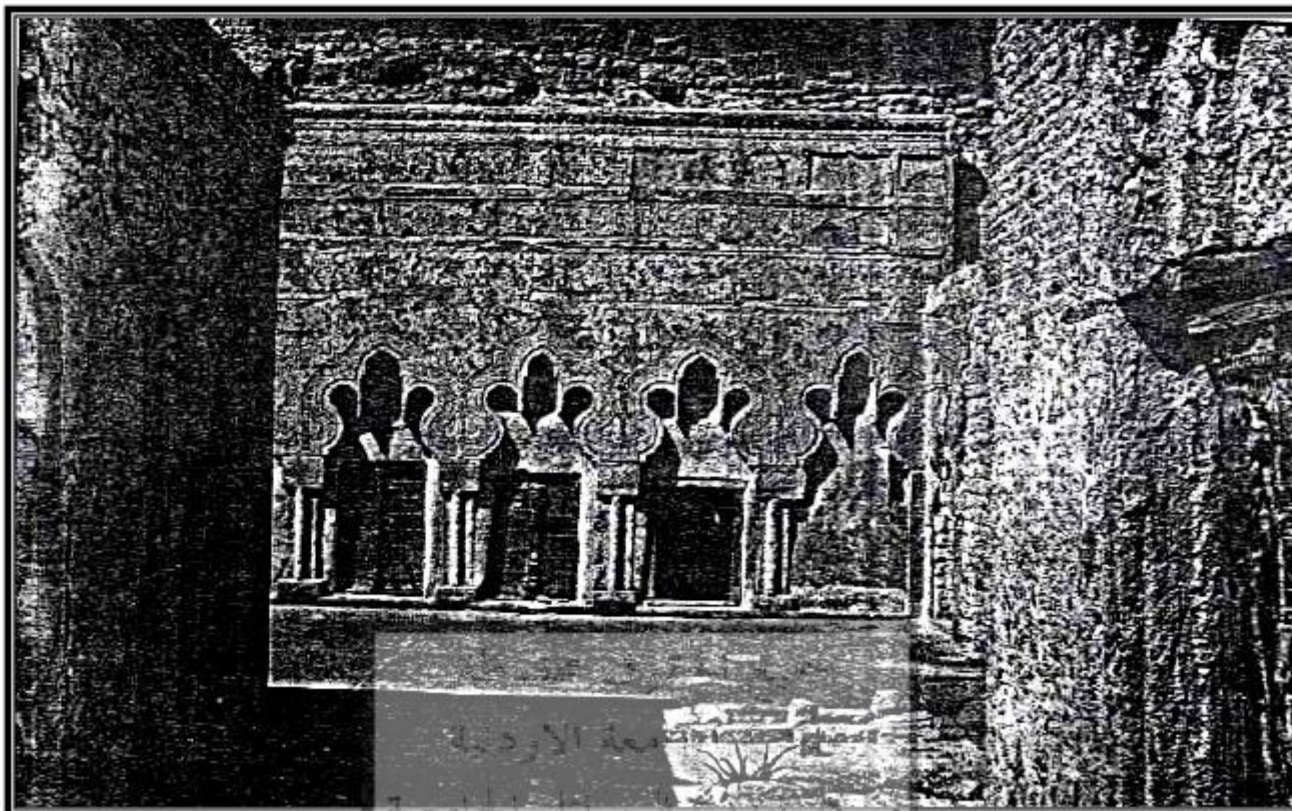
الحسينية المخترعة المطرفية



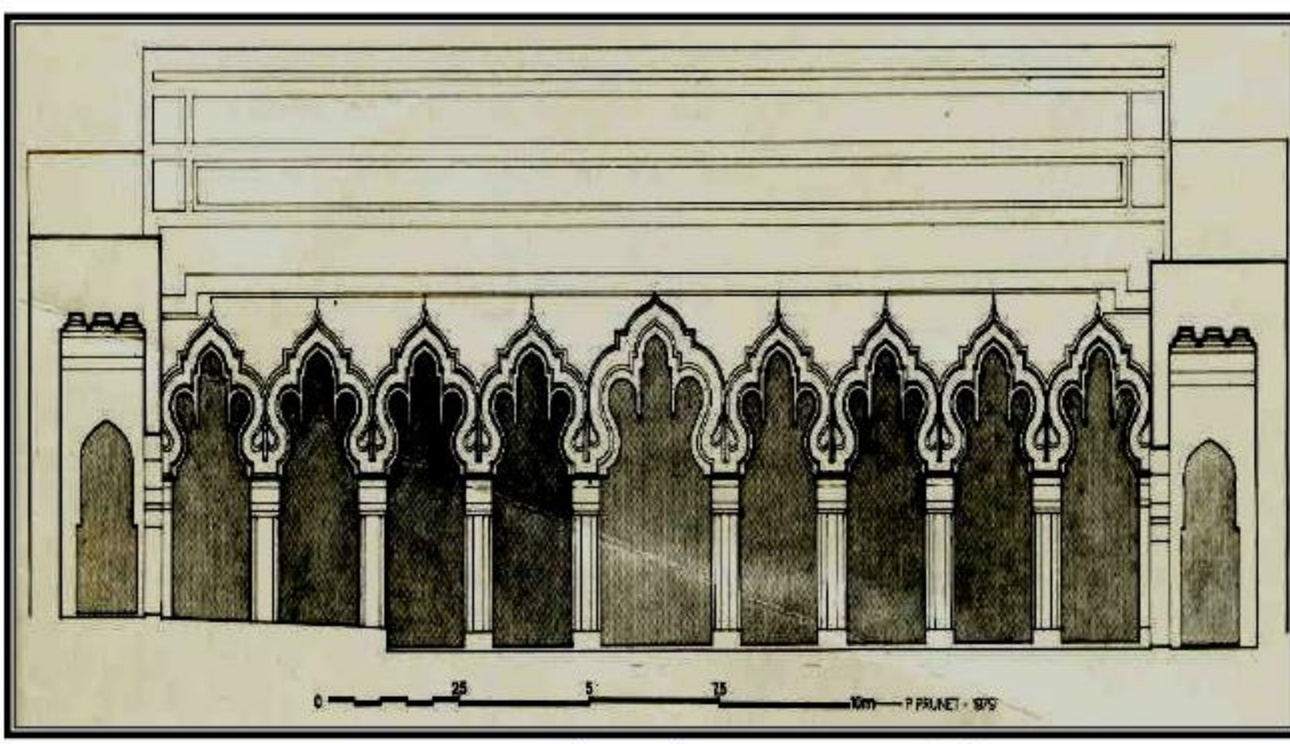
لوحة رقم (١) ظفار- منظر خارجي للجامع .



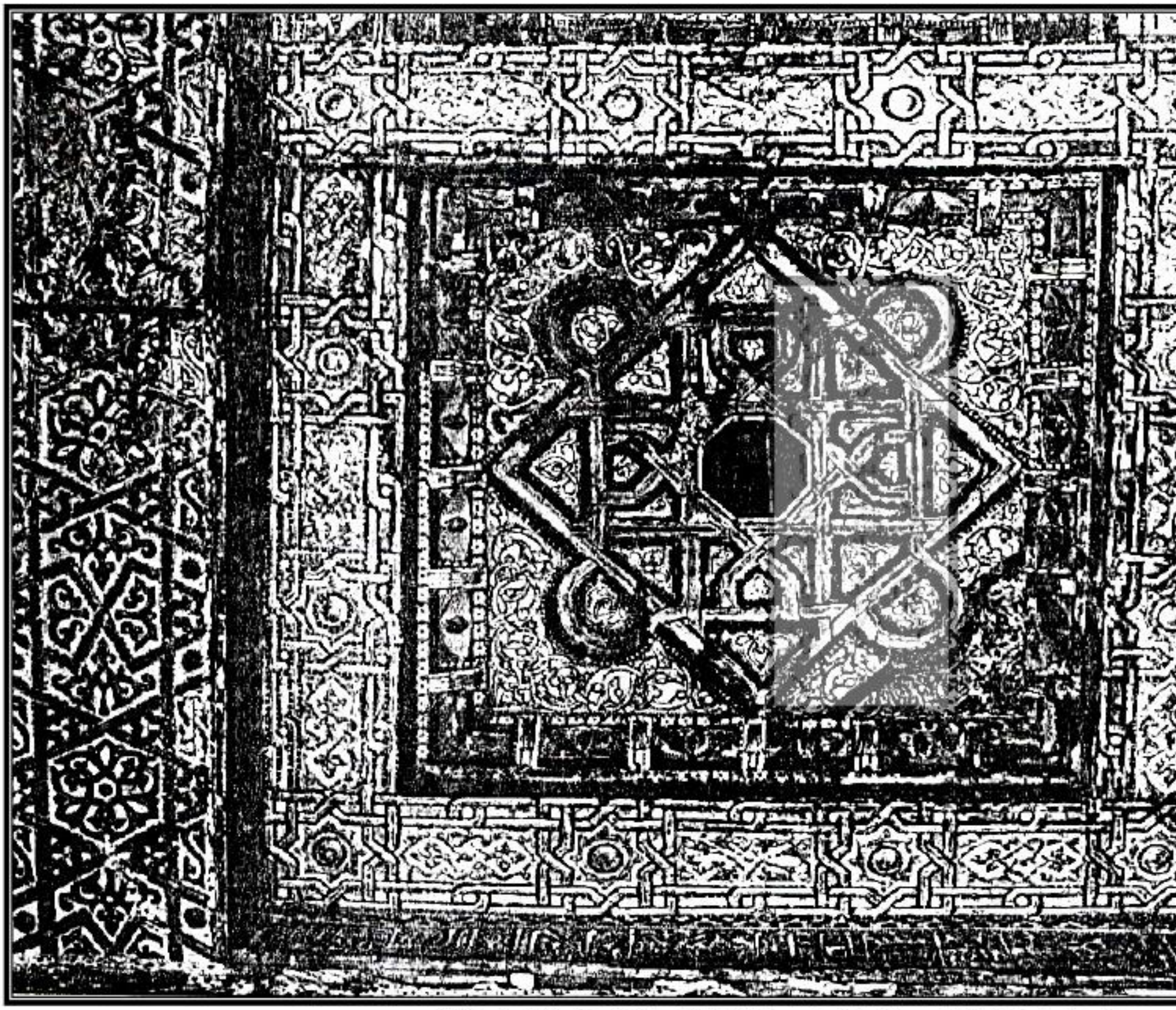
لوحة رقم (٢) ظفار- أثر الفن السلجوقي في عمارة المنذنة .



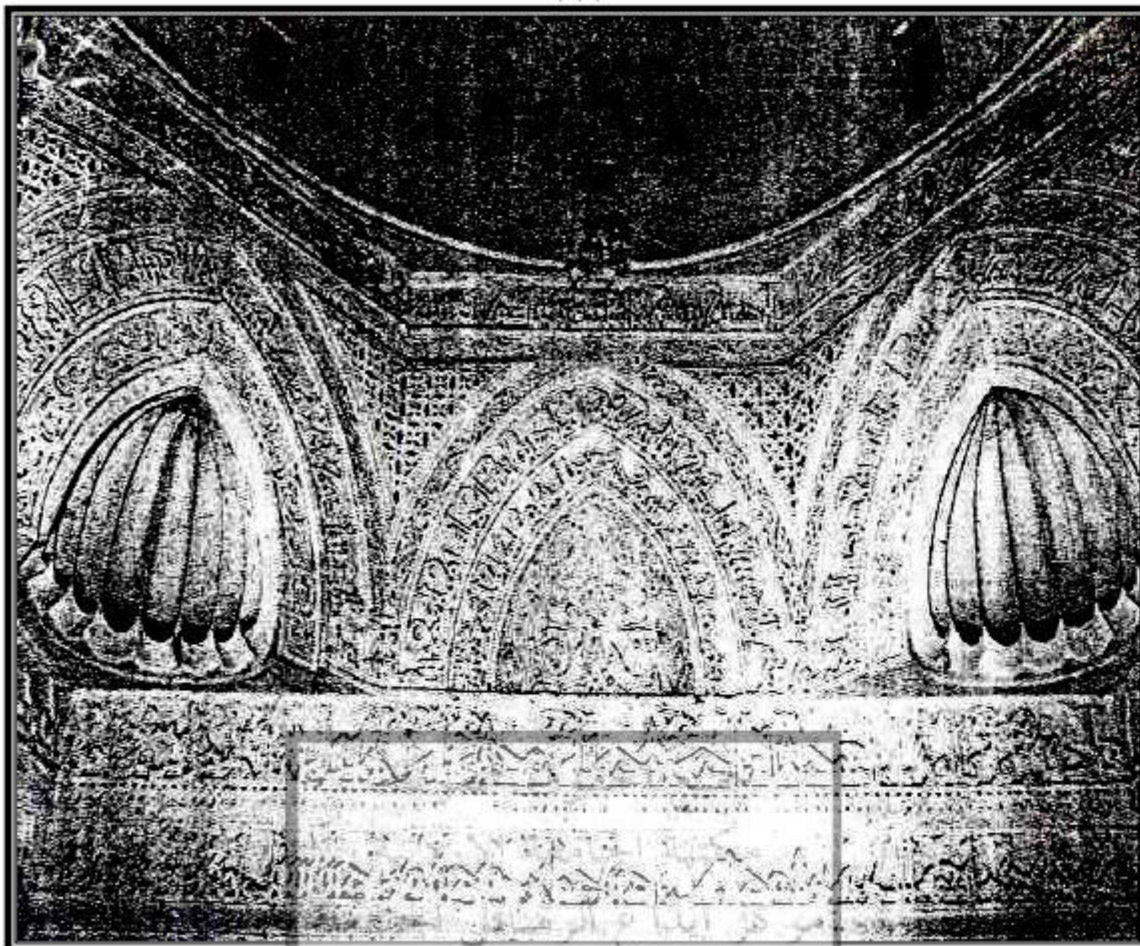
لوحة رقم (٣) ظفار - الواجهة الشمالية للجامع .



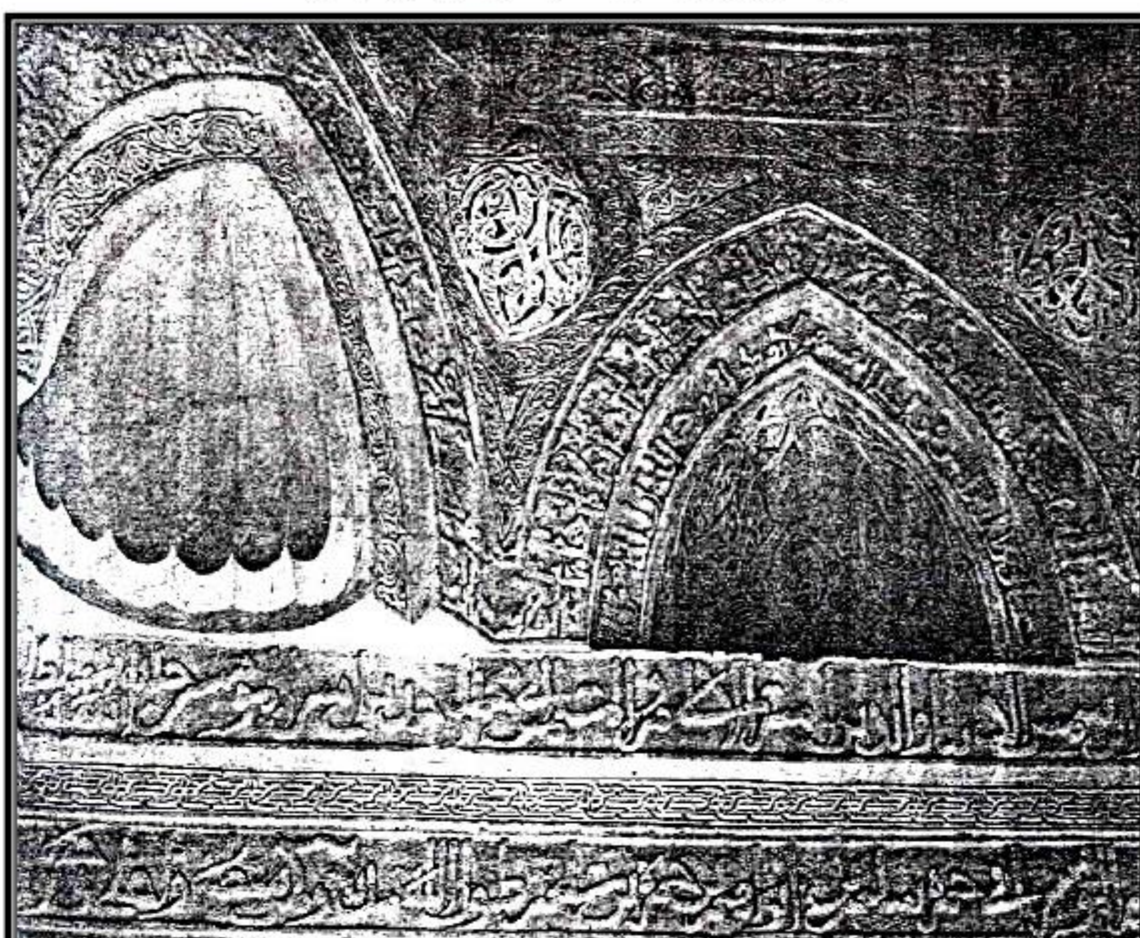
لوحة رقم (٤) ظفار- الواجهة الجنوبية للجامع (إعادة تشكيل) .



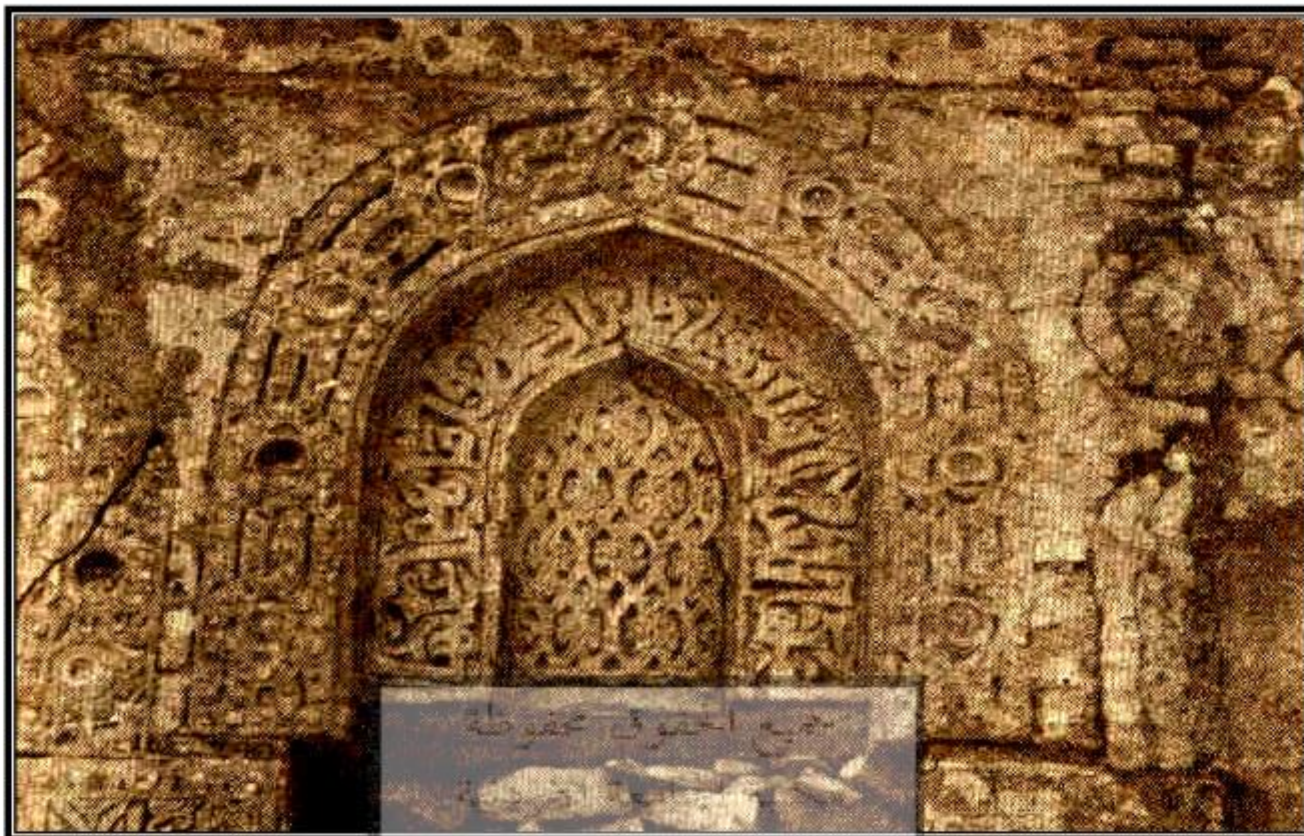
لوحة رقم (٥) ظفار ـ سقف الجامع وفيه أشكال زخرفية منقوشة على الخشب .

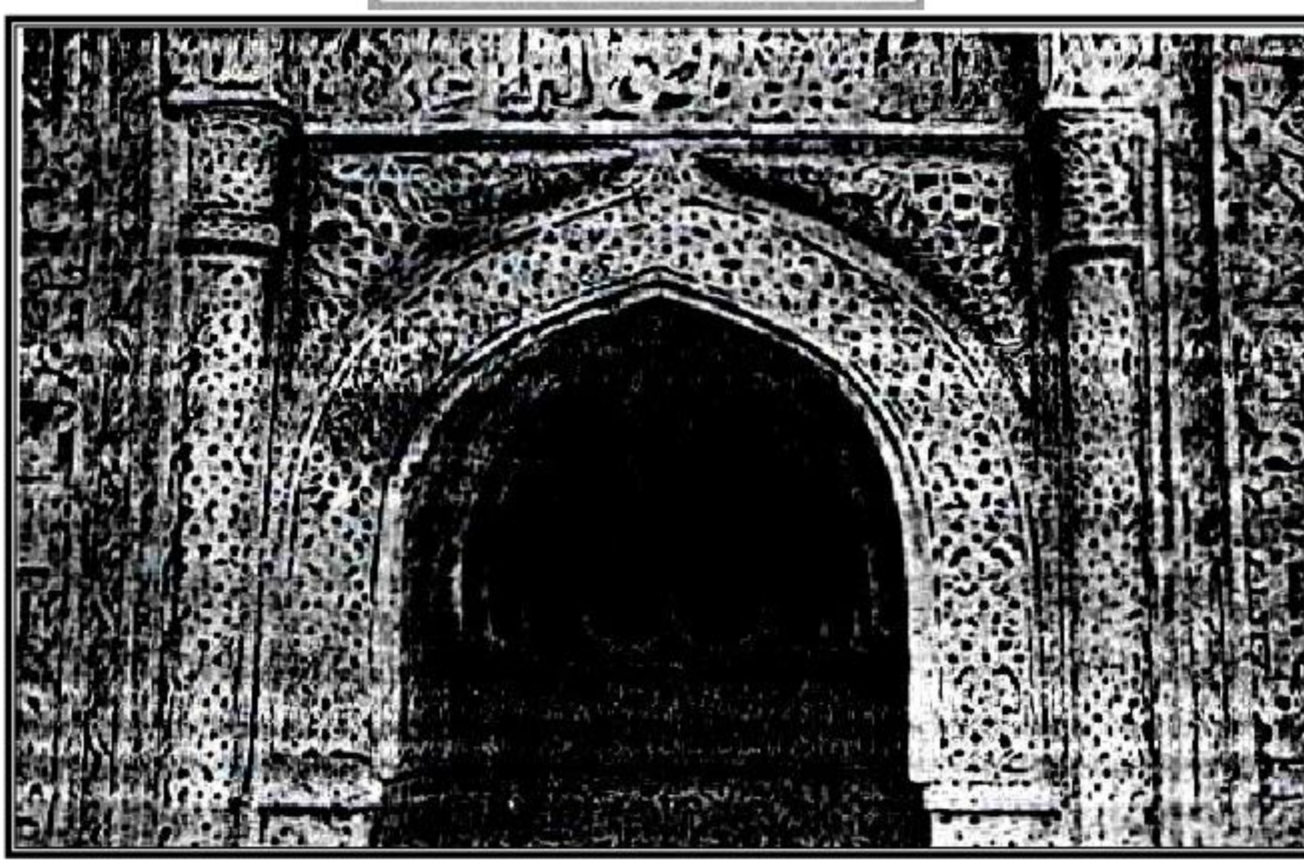


لوحة رقم (٦) ظفار- القبة الوسطى في الجامع

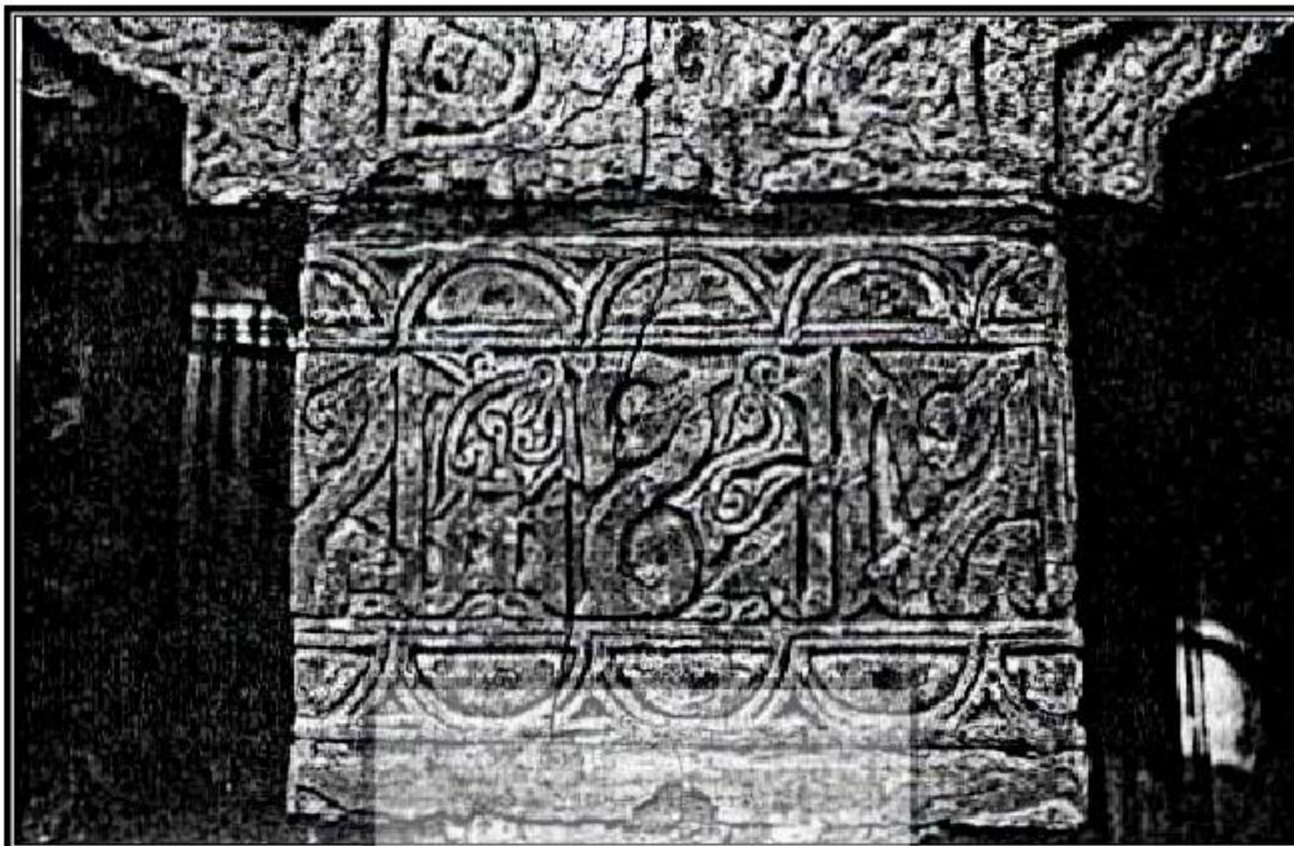


لوحة رقم (٧) ظفار- قبة ركنية في الجامع





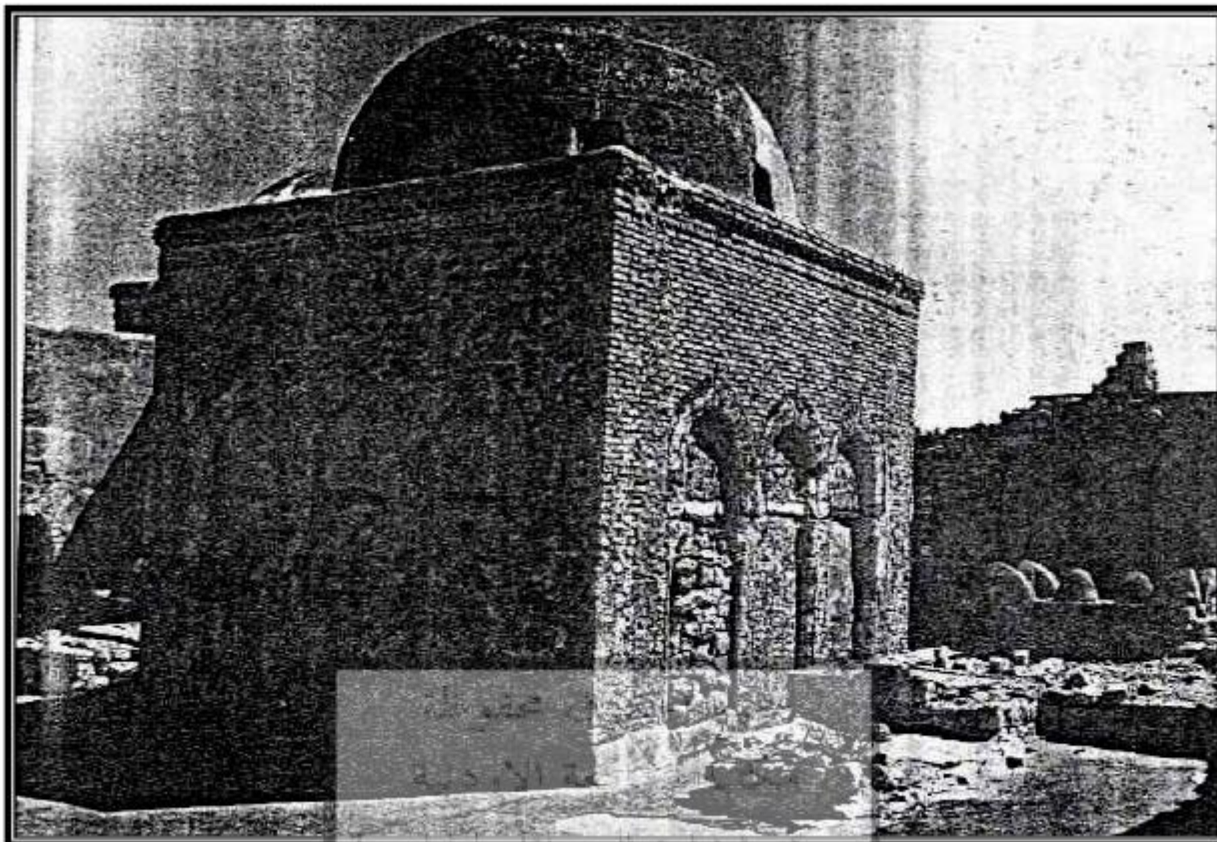
لوحة رقم (٨) ظفار- محرابان في الجامع .



لوحة رقم (٩) ظفار- تاج عمود في الجامع وعليه زخارف منقوشة على الجص .



لوحة رقم(١٠) ظفار- كتابات وزخارف جصية في الجامع .



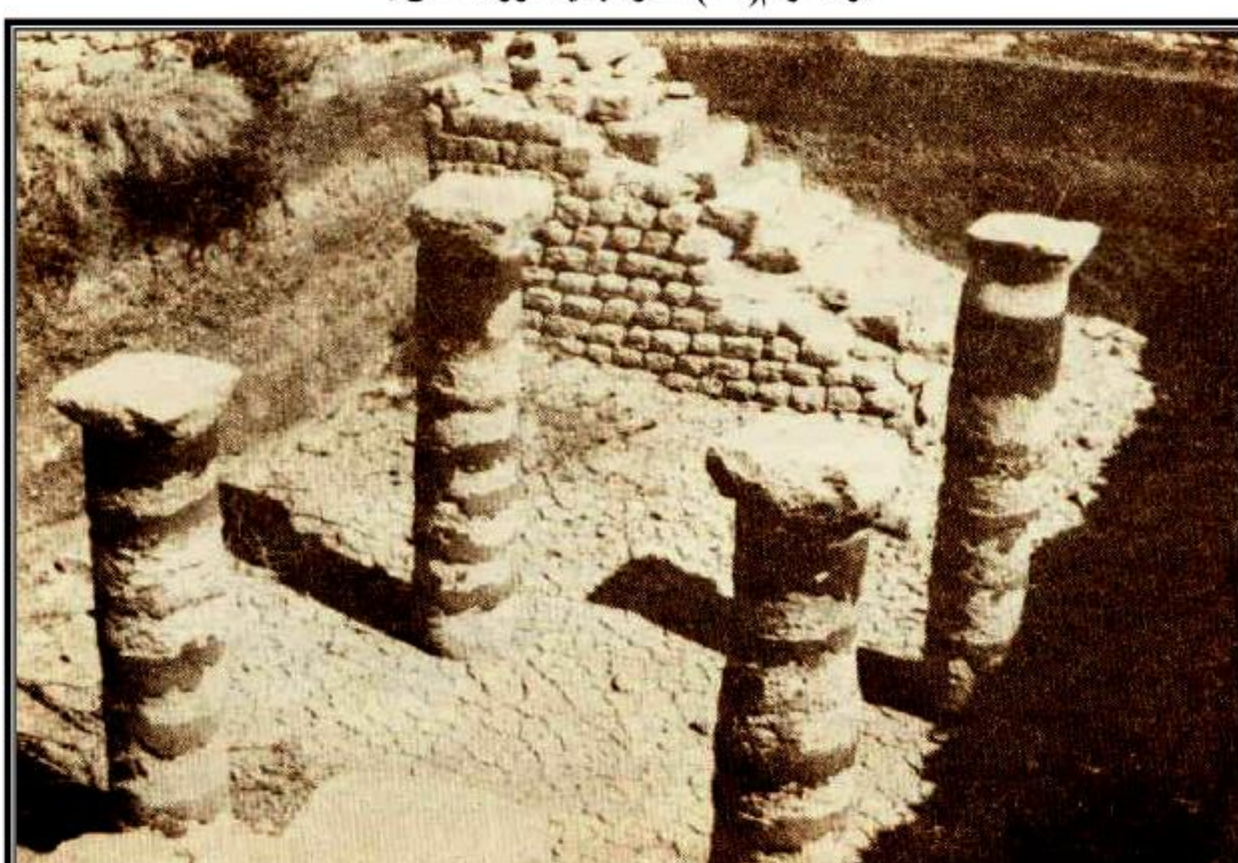
لوحة رقم (١١) ظفار- ضريح الإمام عبدالله بن حمزة من الخارج .



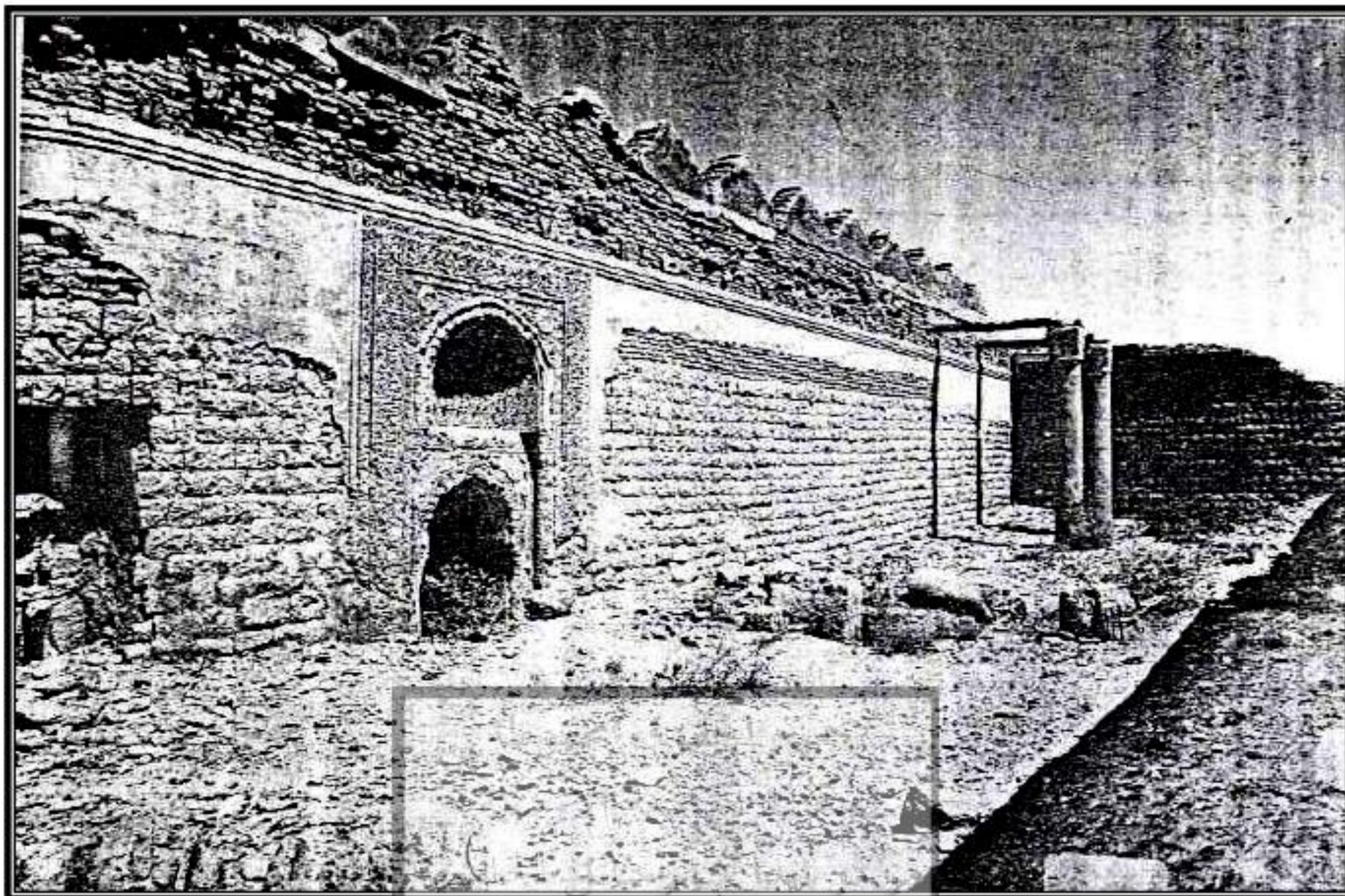
لوحة رقم (١٢) ظفار- ضريح الإمام عبدالله بن حمزة من الداخل .



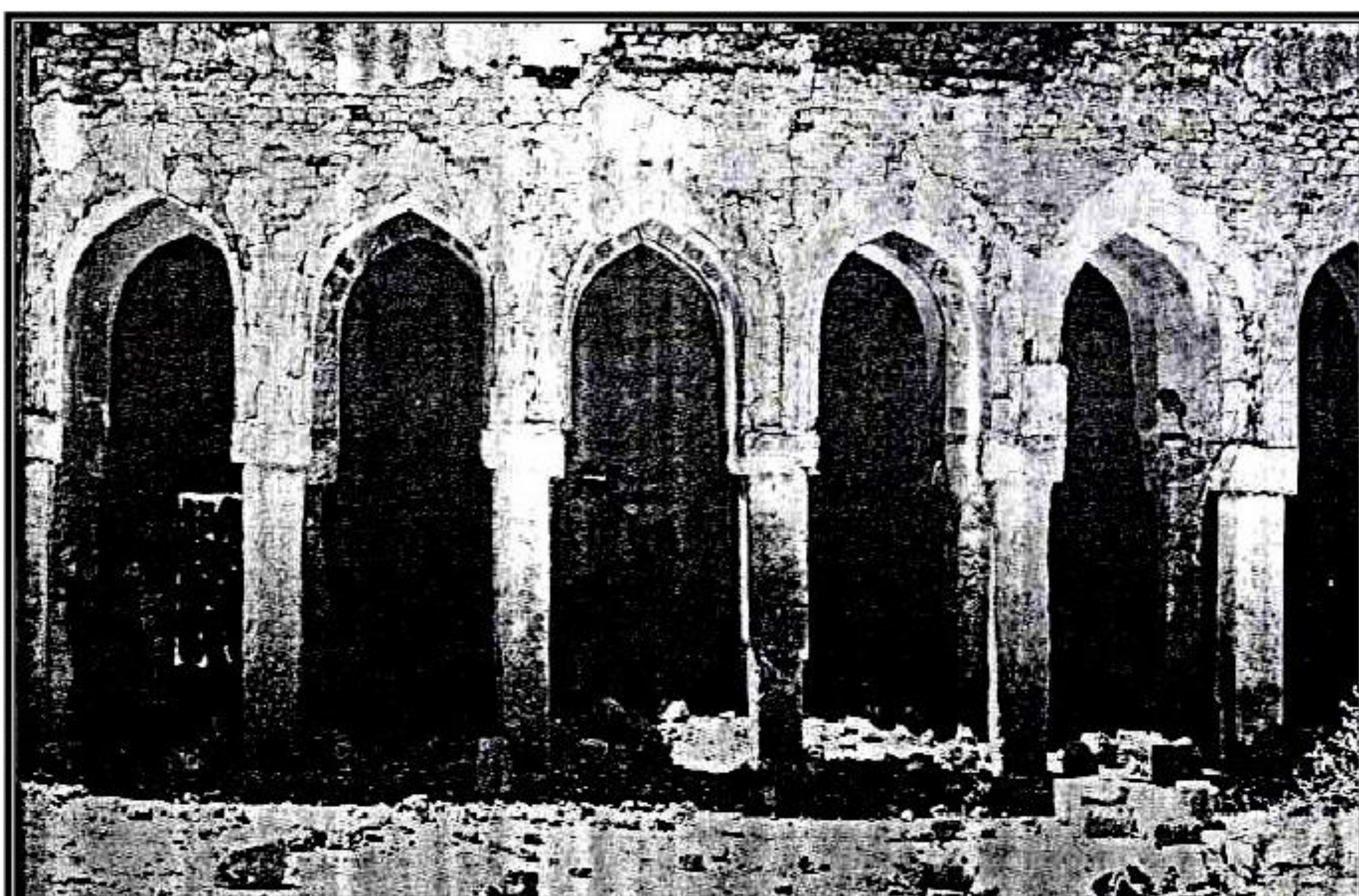
لوحة رقم(١٣) ظفار- بقايا سور الحصن .



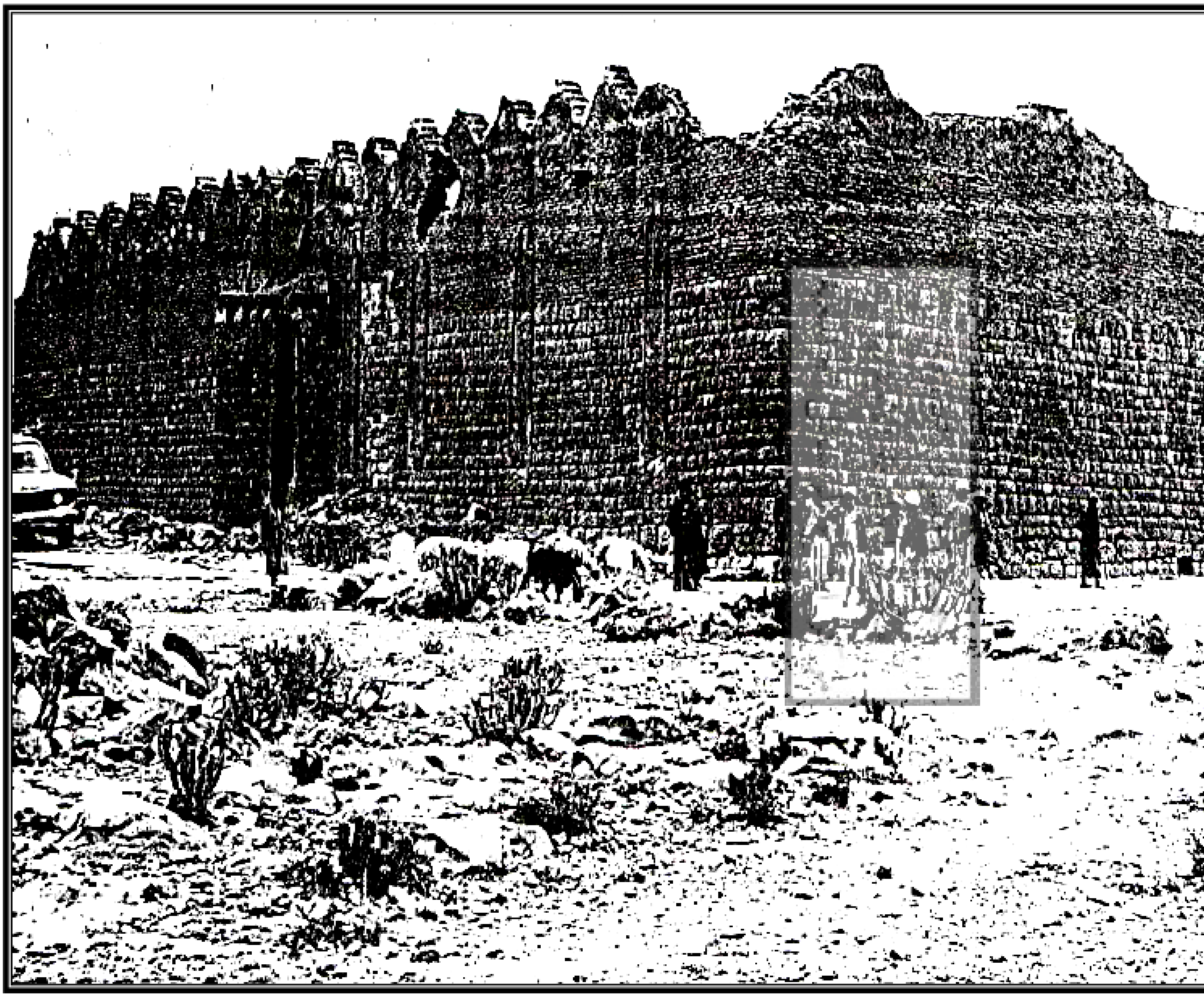
لوحة رقم (١٤) ظفار- خزان مياه كان مسقوفاً .



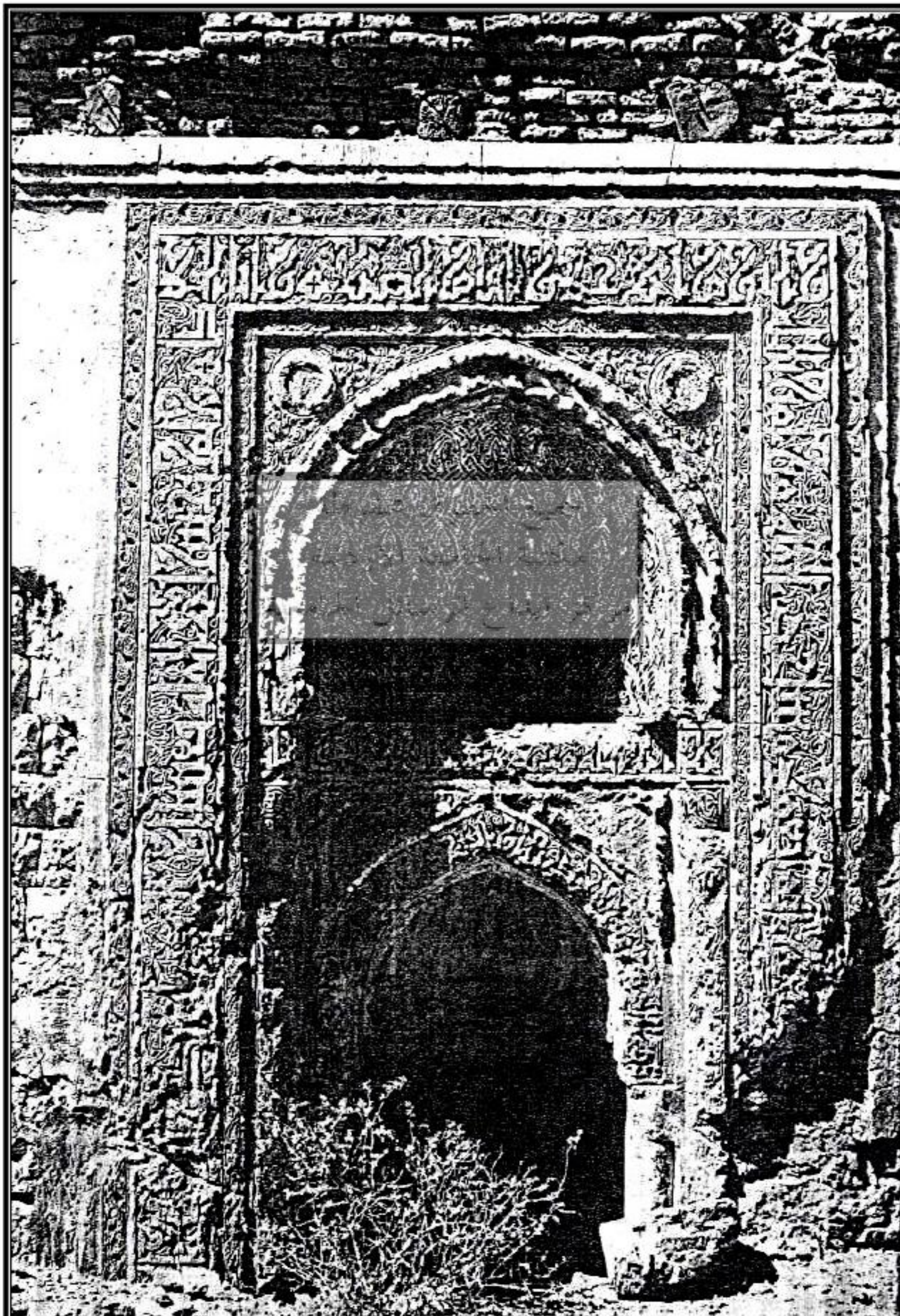
لوحة رقم (١٥) حوث- جانب من الجامع .



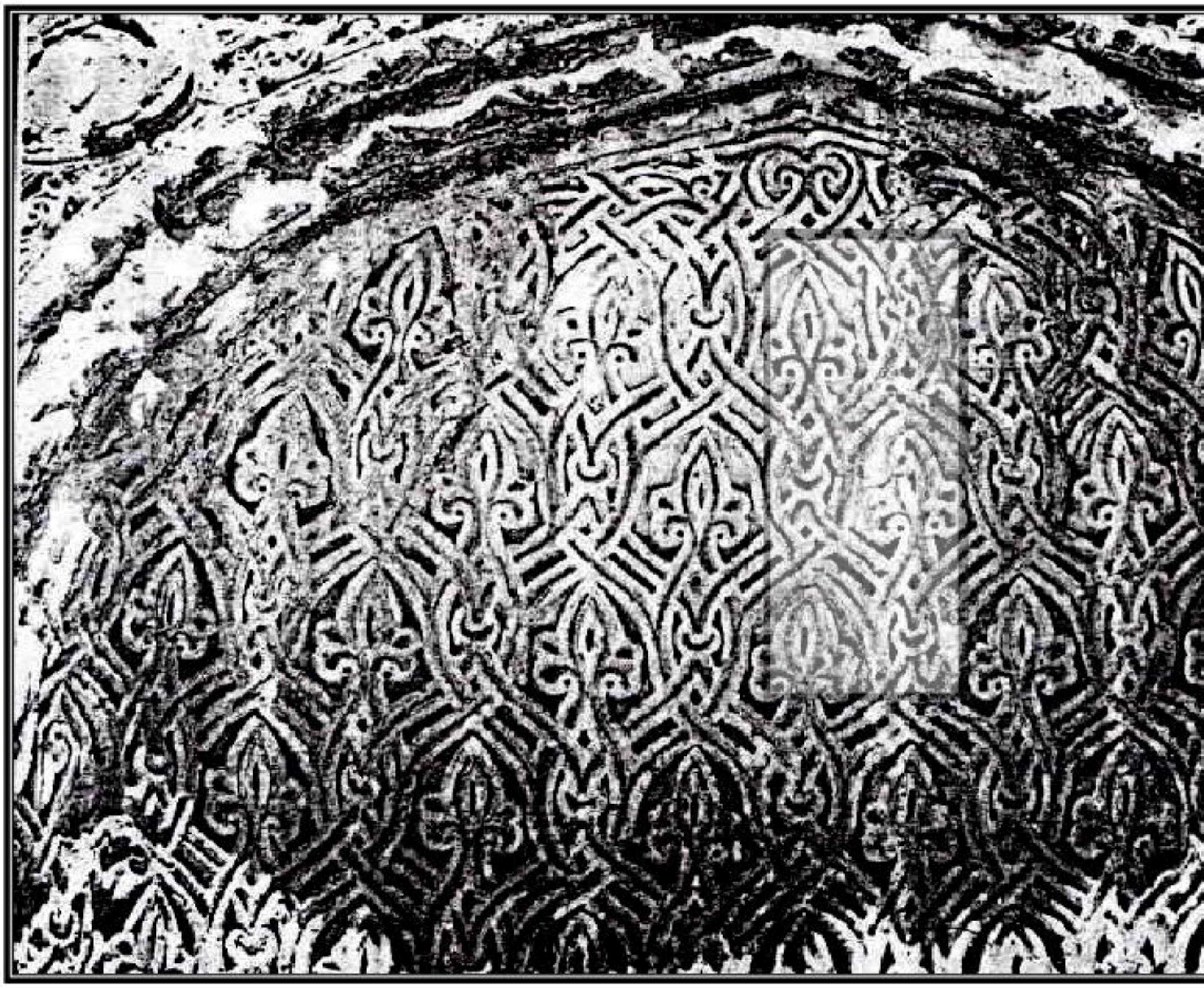
لوحة رقم (١٦) حوث- الرواق الغربي للجامع .



لوحة رقم (١٧) حوث- الجدار الغربي للجامع .



لوحة رقم (١٨) حوث- محراب الجامع .



لوحة رقم (١٩) حوث- زخارف المحراب .

مصادر الأشكال واللوحات

١ ــ الشكل رقم (١) ، (٢) ، نقلاً عن :

Balafier, Mohamed , *Trésors ét Collections de Monnaies islamiques des Musées du Yémen , tome Π , pp 569 – 570 , III , PLANCHE XXVI .*

٢ ــ اللوحات رقم : (٢) ، (٣) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) الأسفل ، (٩) ، (١١) ، (١٢) ، (١٥) ، (١٦) ، (١٧) ، (١٨) ، (١٩) ، نقلاً عن :
فنستر، تقارير أثرية حول بعض المباني الإسلامية في اليمن ، ج ١ ، ص ١١٧ ــ ١٢٢ .

٣ ــ اللوحات رقم : (٨) الأعلى ، (١٠) ، (١٤) ، نقلاً عن : عبد الحليم نور الدين ، مقدمة في الآثار اليمنية ، ص ٢٤٣ ، ٣١١ ، ٣٤٣ .

٤ ــ اللوحات رقم : (١) ، (٤) ، نقلاً عن : تقرير البعثة الأثرية الفرنسية في الجمهورية العربيــة اليمنيــة (خمســة أعــوام مــن البحــث ، ١٩٧٨ ــ ١٩٨٢ م) ، صفحــة الغلاف ، ص٤ .

٥ ــ اللوحة رقم : (١٣) ، نقلاً عن : الأكوع ، هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٨٣ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

الخزرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت : ٨١٢ هـ)

١- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، مخطوطة مصورة ، ط٢ ،وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ٦ / ١ ، صنعاء ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

عبد الله بن حمزة ، الإمام المنصور بالله (ت : ٦١٤هـ)

٢- رسائل ، مخطوط ميكرو فيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، رقم (٨) .

المحلي ، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد (توفي بعد سنة ٦٥٢هـ)

٣- الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ، مخطوطة مصورة ، ج ٢ ،مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٢م .

المرتضى ، عبد الله بن الهادي بن إبراهيم (ت : ٨٤٠ هـ)

٤- تاريخ الأئمة في اليمن ، مخطوط ميكرو فيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، رقم (٦٥) .

الناطق بالحق ، أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون البطحاني (ت : ٤٢٤ هـ)

٥- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ، مخطوط ميكرو فيلم، المكتبة الوطنية بعدن ، رقم (٢٢٥).

ثانياً : المصادر المطبوعة :

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت : ٦٣٠ هـ)

٦- الكامل في التاريخ ، ج٤ ، تح : مكتب التراث ، ط٤ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ؛ ج ٣ ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج١ ، تح :علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت : ٣٣٠ هـ)

٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ج ١ ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

بافقيه ، محمد بن عمر الطيب (توفي بعد سنة ١٠٤٠ هـ)

٩- تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تح :عبد الله محمد الحبشي ، ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت : ٩٤٧هـ)

١٠- تاريخ ثغر عدن ، تح : أوسكار لوفجرين ، ط ٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م .

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦ هـ)

١١- الجامع الصحيح ، المسند من حديث رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه ، ج٣ ، قام بشرحه وتصحيحه وتحقيقه : محب الدين الخطيب و آخرون ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ؛ صحيح البخاري ، ج ١ ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

البريهي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ت : ٩٠٤ هـ)

١٢- طبقات صلحاء اليمن المعروف بـ : تاريخ البريهي ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ٢ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م .

البغدادي ، عبد القادر بن طاهر (ت : ٤٢٩ هـ)

١٣- الفَرق بين الفِرق ، تح :لجنة إحياء التراث العربي ، ط ٥ ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م .

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت : ٢٩٧ هـ)

١٤- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، ج ٥ ، تح : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت : ٨٧٤ هـ)

١٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .

ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت : ٧٢٨ هـ)

١٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت د . ت .

١٧ – متن العقيدة الواسطية ، ط ١ ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م

الجعدي ، عمر بن علي بن الحسين بن سمرة (ت : ٥٨٦ هـ)

١٨- طبقات فقهاء اليمن ، تح : فؤاد سيد ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت : ٧٣٢ هـ)

١٩- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ج ١ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، وزارة

الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٣م .

ابن حاتم اليامي ، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني (كان حياً سنة ٧٠٢ هـ)

٢٠- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تح : ركس سمث ، كمبردج ، ١٩٧٤ م .

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت : ٨٥٢ هـ)

٢١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١٥ ، تح : عبد العزيز بن عبد الله بن باز (الشيخ) ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت : ٤٥٦ هـ)

٢٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

٢٣- جمهرة أنساب العرب ، مراجعة النسخة لجنة من العلماء وبإشراف الناشر : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

الحسين بن أحمد بن يعقوب (توفي بعد سنة ٣٩٣ هـ)

٢٤- سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤٢٧ هـ / ١٩٩٦ م .

الحكمي ، نجم الدين عمارة بن علي (ت : ٥٦٩ هـ)

٢٥- تاريخ اليمن المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط٣ ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ١٩٨٥م ؛ تح : حسن سليمان محمود ، ، دار الثناء للطباعة ، القاهرة ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

الحمادي ، محمد بن مالك بن أبي القبائل (ت : ٤٧٠ هـ)

٢٦- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط ١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت : ٦٢٦ هـ)

٢٧- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ م ، ١٩٩٥ م .

الحميري ، نشوان بن سعيد (ت : ٥٧٣ هـ)

٢٨- منتخبات في أخبار اليمن ، ط ٢ ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨١م .

٢٩- الحور العين ، تح : كمال مصطفى ، ط ٢ ، دار آزال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت : ٢٤١ هـ)

٣٠- المسند ، ج ١٣ ، شرح ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، دار الحديث ،

القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

الخزرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت : ٨١٢ هـ)

٣١- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، عنى بتصحيحه : محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨ هـ)

٣٢- تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، دار البيان ، بغداد ، د . ت .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت : ٦٨١ هـ)

٣٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه : إحسان عباس (الدكتور) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

ابن داؤد ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت : ٢٧٥ هـ)

٣٤- كتاب السنن ، ج ٣ ، تح : محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت : ٣٢١ هـ)

٣٥- الاشتقاق ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط ٢ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

ابن دعثم ، أبو فراس بن دعثم الصنعاني (توفي بعد سنة ٦١٤ هـ)

٣٦- السيرة المنصورية سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (٥٩٣ ـ ٦١٤هـ) ، تح : عبد الغني محمود عبد العاطي ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .

الدهلوي ، شاه عبد العزيز غلام حكيم (توفي قبل سنة ١٢٠٠هـ)

٣٧- مختصر التحفة الإثنى عشرية ، نقله من الفارسية إلى العربية : الشيخ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي سنة ١٢٢٧هـ، اختصره وهذبه : السيد محمود شكري الآلوسي سنة ١٣٠١هـ، مكتبة ايشيق ، أستانبول ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ابن الديبع ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت : ٩٤٤ هـ)

٣٨- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

٣٩- الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : يوسف شلحد ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٤٠- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط٢ ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

الديلمي ، محمد بن الحسن (ت : ٧٢١ هـ)
٤١- بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد ، النشرات الإسلامية (١١) ، مطبعة الدولة ، إستانبول ، ١٩٣٨ م .
الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داؤد (ت : ٢٨٢ هـ)
٤٢- الأخبار الطوال ، تح : عبد المنعم عامر ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨ هـ)
٤٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، حوادث وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠ هـ) ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .
الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (توفي بعد سنة ٦٦٦ هـ)
٤٤- ترتيب مختار الصحاح تح : شهاب الدين أبو عمر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .
الزبيدي ، محمد بن محمد الحسيني (ت : ١٢٠٥ هـ)
٤٥- إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ، ج ٧ ، د . ت .
السويدي ، أبو الفوز محمد أمين العباسي البغدادي (ت : ١٢٤٦ هـ)
٤٦- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩م .
الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت : ٥٤٨ هـ)
٤٧- الملل والنحل ، ، تعليق : أبو عبد الله السعيد المندوة ، ط ١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م .
الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت : ١٢٥٠ هـ)
٤٨- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ، ج ٤ ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
الصاحب بن عباد (ت : ٣٨٥ هـ)
٤٩- الزيدية ، تح : ناجي حسن ، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦م .
الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠ هـ)
٥٠- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، مج ٥ ، ج ١ ، ط١ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م .

٥١- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه : بشار عواد معروف (الدكتور) وعصام فارس الحرشاني ، مج ٦ ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م .

العامري ، يحيى بن أبي بكر محمد بن يحيى (ت : ٨٩٣ هـ)

٥٢ – غربال الزمان في وفيات الأعيان ، صححه وعلق عليه : محمد ناجي زغبي العمر ، دار الخير ، دمشق ، ١٩٨٥م .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت : ٤٦٣ هـ)

٥٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ج ١ ، حققه وعلق حواشيه وصححه : سعيد أحمد إعراب وآخرون ، الرباط ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

٥٤- الأنباه على قبائل الرواة ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : إبراهيم الإبياري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (ت : ٤١٥ هـ)

٥٥- شرح الأصول الخمسة ، تعليق : أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٥٦- المحيط بالتكليف ، مج ١ ، جمع الحسن بن أحمد بن متوية ، تح : عمر السيد عزمي ومراجعة أحمد فؤاد الأهواني ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، د . ت .

عبد الله بن حمزة ، الإمام المنصور بالله

٥٧- الشافي ، تقديم : مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، مج١ ، ج ١ ، ط ١، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٦م .

٥٨- المجموع المنصوري (١) العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين ، تح : عبد السلام بن عباس الوجيه ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .

٥٩- المجموع المنصوري (٢) مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ج ١ ، ج ٢ ، تح : عبد السلام بن عباس الوجيه ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م .

٦٠- المجموع المنصوري (٣) المهذب في فتاوى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ،

جمع وتهذيب الفقيه محمد بن أسعد المرادي تصحيح ومقابلة : عبد السلام بن عباس الوجيه ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .

ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي (ت : ٧٤٤ هـ)

٦١- بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : عبد الله بن محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني ، ط ٢ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .

العرشاني ، سري بن فضيل (ت : ٦٢٦ هـ)

٦٢- كتاب الإختصاص بذيل كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي ، تح : حسين بن عبد الله العمري ، ط ٣ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م .

العلوي ، علي بن محمد بن عبيد الله العباسي (توفي بعد سنة ٢٩٨ هـ)

٦٣- سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، تح : سهيل زكار ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

ابن فند الزحيف ، محمد بن علي بن يوسف (توفي بعد سنة ٩١٦ هـ)

٦٤- مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى أيضاً :اللواحق الندية بالحدائق الوردية (شرح بسامة السيد صارم الدين الوزير) تح : عبد السلام بن عباس الوجيه وخالد قاسم محمد المتوكل ، ط١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .

القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد (ت : ٨٢١ هـ)

٦٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشأ ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

الكتبي ، محمد بن شاكر (ت : ٧٦٤ هـ)

٦٦- فوات الوفيات ، ج ٢ ، تح : إحسان عباس (الدكتور) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م.

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت : ٧٧٤ هـ)

٦٧- النهاية في الفتن والملاحم ، ج٢ ، تح: محمد أحمد عبد العزيز ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

٦٨- البداية والنهاية في التاريخ ، ط ١ ، دار التقوى ، شبرا الخيمة ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م .

٦٩ – تفسير القرآن العظيم ، مج ٤ ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

اللالكائي ، أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور (ت : ٤١٨ هـ)

٧٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة و إجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، ج ١ ، تح : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، ط ٦ ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ .

ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٥ هـ)

٧١- سنن ابن ماجة ، ج١ ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب (ت : ٤٥٠ هـ)

٧٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد (ت : ٨٦٤ هـ)

٧٣- تفسير الجلالين ، ط ٣ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ)

٧٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٣ ، شرحه وقدم له : مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت : ٢٦١ هـ)

٧٥- صحيح مسلم ، مج٤ ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ؛ الجامع الصحيح ، مج ١ ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .

المقبلي ، صالح (ت : ١١٠٨ هـ)

٧٦- العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء و المشائخ ، ط ٢ ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٥ م .

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت : ٨٤٥ هـ)

٧٧- السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة ، ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٧٨- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تح : أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

الملك الأشرف ، أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت : ٨٠٣ هـ)

٧٩- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، ج ١ ، تح : شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الإسلامي ، بيروت ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٥ م .

الملك الأشرف ، عمر بن يوسف بن رسول (ت : ٦٩٦ هـ)

٨٠- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تح : ك . و . سترستين ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت : ٧١١ هـ)

٨١- لسان العرب ، اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصاوي العبيدي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م .

الناصر لدين الله ، أحمد بن يحيى بن الحسين (ت : ٣٢٥ هـ)

٨٢- كتاب النجاة ، تح : فيلفرد ماد يلونغ ، النشرات الإسلامية ، ج ٣٠ ، دار النشر فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت : ٣٨٥ هـ)

٨٣- الفهرست ، تح : رضا تجَدد بن علي بن زين العابدين الحائري ، ط ٣ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٨م .

النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت : ٦٧٦ هـ)

٨٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، أوضح معاني أحاديثه : مصطفى محمد عمارة ، رقمه وعلق عليه : محمد سعيد كوكي ، بيروت ، د . ت .

٨٥- شرح صحيح مسلم ، مج ١ ، ج ٣ ، إعداد : علي عبد الحميد أبو الخير ، ط ٥ ، دار الخير ، دمشق ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .

الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت : ٣٦٠ هـ)

٨٦- الإكليل ، ج ١ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م .

٨٧- الإكليل ، ج ١٠ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط ١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م .

٨٨- صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت : ٦٩٧ هـ)

٨٩- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٢ ، ج ٣ ، تح : جمال الدين الشيال ، دار العلم ، القاهرة ، د . ت .

ابن الوردي ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت : ٧٤٩ هـ)

٩٠- تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بـ : تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، د . ت .

ابن الوزير ، عبد الله بن علي (ت : ١١٤٧ هـ)

٩١- تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري (١٠٤٥ ـ ١٠٩٠هـ) المسمى : تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ، تح : محمد عبد الرحيم جازم ، ط ١ ،

مركـــز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٥هــ / ١٩٨٥ م .

الوصابي ، وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي (ت : ٧٨٢ هــ)

٩٢- تاريخ وصاب المسمى : الاعتبار في التواريخ والآثار ، تح : عبد الله محمـــد الحبشي ، مركـــز الدراسات اليمانية ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

يحيى بن الحسين ، الإمام الهادي إلى الحق (ت : ٢٩٨ هــ)

٩٣- المجموعة الفاخرة ، تح : علي أحمد محمد الحرازي ، ط ١ ، دار الحكمة ، صنعـــاء ، ١٤٢٠ هــ / ٢٠٠٠ م .

يحيى بن الحسين بن القاسم (ت : ١١٠٠ هــ)

٩٤- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تح : سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هــ / ١٩٦٨ م .

اليعقوبي ، أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : ٢٨٤ هــ)

٩٥- تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصـــور ، ط ١ ، دار الكتـــب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ هــ / ١٩٩٩ م .

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

إبراهيم مصطفى وآخرون

٩٦- المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، د . ت .

إحسان إلهي ظهير

٩٧ – بين الشيعة و أهل السنة ، دار ترجمات السنة ، لاهور ، د . ت .

أحمد أمين

٩٨- فجر الإسلام ، ط ١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

٩٩- ضحى الإسلام ، ج ٣ ، ط ١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د. ت .

١٠٠- ظهر الإسلام ، ج٤ ، ط ٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٨٨ هــ / ١٩٦٩م .

أحمد حسين شرف الدين

١٠١ – تاريخ اليمن الثقافـــي ، ج ٤ ، ط ١٠ ، مطبعـــة الكيلانـــي الصغيـــر ، القاهـــرة ، ١٣٨٧هــ / ١٩٦٧م .

١٠٢- تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ، مطبعة الكيلاني الصغير ، القاهرة ، ١٣٨٨ هــ /

١٩٦٨م .

أحمد عبد الله عارف

١٠٣ – الصلة بين الزيدية والمعتزلة ، ط ١ ، دار آزال ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

أشواق أحمد مهدي

١٠٤ – التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

الأكوع ، إسماعيل بن علي

١٠٥– البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .

١٠٦– هِجَر العلم ومعاقله في اليمن ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م .

١٠٧– الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، ط ٣ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .

الأكوع ، محمد بن علي

١٠٨– اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط ٢ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

الألباني ، محمد ناصر الدين

١٠٩– أحكام الجنائز وبدعها ، ط٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

أيمن فؤاد سيد

١١٠– مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

١١١– تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ط ١ ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله (الشيخ) و آخرون

١١٢– فتاوى مهمة لعموم الأمة ، جمع وإعداد : إبراهيم بن عثمان الفارس ، ط ٢ ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .

١١٣– وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ط ٢ ، دار القاسم للنشر ، الرياض ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م .

الباشـــا ، حسن (الدكتور)

١١٤- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

بافقيه ، محمد عبد القادر (الدكتور)

١١٥- تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

البستاني ، بطرس

١١٦- محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧م .

تول ، كرستوفر

١١٧ – مصطلحات عربية في المعايير والأوزان من كتاب الجوهرتين العتيقتين للهمدانـــي ، ضمن كتاب : أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ــ بحوث ومقالات ، ترجمـــة : يوســف محمد عبد الله (الدكتور) ، ط ٢ ، دار الفكر المعاصر ، بيـــروت ، ١٤١١ هــ / ١٩٩٠ م .

الثور ، عبد الله أحمد

١١٨- مختصر من تاريخ اليمن ، ط ١ ، دار الاستقلال ، القاهرة ، ١٣٩٩ هــ / ١٩٧٩ م .

الجرافي ، عبد الله عبد الكريم (القاضي)

١١٩- المقتطف من تاريخ اليمن ، ط ٢، منشورات العصر الحديث ، بيروت ، ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٧ م .

الجزائري ، أبو بكر جابر

١٢٠- منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعامــلات ، د . ت .

جميل حرب محمود

١٢١- الحجاز واليمــن في العصــر الأيوبي ، ط ١ ، مطابــع سحــر ، جــدة ، ١٩٨٥م .

الحبشي ، عبد الله بن محمد

١٢٢- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، مركــز الدراســات اليمنيــة ، صنعــاء ، ١٩٧٩ م .

الحجري ، محمد بن أحمد

١٢٣- مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تح : إسماعيل بن علي الأكوع ، ط ٢ ، دار الحكمــة ، صنعاء ، ١٤١٦هــ / ١٩٩٦م .

الحداد ، محمد يحيى

١٢٤- التاريخ العام لليمن ، ج ٣ (اليمن في موكب الإســلام) ، دار التنويــر ، بيــروت ، ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٦ م .

حسن خضيري أحمد

١٢٥- قيام الدولة الزيدية في اليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

الحكيمي ، حافظ بن أحمد

١٢٦- أعلام السنة المنشورة إعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ،تح: جازم القاضي ، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ .

الحوثي ، بدر الدين بن أمير الدين

١٢٧- المطرفية ،مركز العدل التوحيد للدراسات والبحوث والتحقيق ، صعدة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

١٢٨- مفتاح أسانيد الزيدية ، أعده للطبع وقدم له : ابراهيم بن محمد العبيدي ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

خالد محمد خالد

١٢٩- رجال حول الرسول ، ط ١، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .

الخطيب ، مصطفى عبد الكريم

١٣٠- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

دهمان ، محمد أحمد

١٣١- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

ذو النون المصري

١٣٢- عمارة اليمني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦ م .

الزبيدي ، أحمد بن عبد اللطيف

١٣٣- مختصر صحيح البخاري ، ط ١ ، دار السلام ، الرياض ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

الزهراني ، محمد بن مسفر

١٣٤ – نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية ، ط ٢ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ .

أبو زهرة ، محمد (الإمام)

١٣٥ – الإمام زيد بن علي حياته وعصره ــ آراءه وفقهه ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

١٣٦- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت .

السروري ، محمد عبده محمد (الدكتور)

١٣٧- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩ ــ ٦٢٦ هــ) ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

السلمان ، عبد العزيز المحمد

١٣٨- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، ط ١٣ ، الرياض ، ١٤٢١ هــ / ٢٠٠٠ م .

سليمان بن عبد الله بن محمد

١٣٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، علق عليه : عرفات العشا حسونة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هــ / ١٩٩٢ م

الشامي ، أحمد بن محمد

١٤٠- تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ، ج ٣ ، ط ١ ، منشورات العصر الحديث ، بيروت ، ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٧م .

الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد (الدكتور)

١٤١- اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨ هــ / ١٩٨٧ م

١٤٢- النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩ هــ / ١٩٨٩م .

١٤٣- تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط٣ ، دار الفكر المعاصر ، صنعاء ، ١٩٩٩ م .

الشرجبي ، قائد نعمان

١٤٤- الشرائح الإجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، ط ١، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٧م .

الشماحي ، عبد الله عبد الوهاب المجاهد

١٤٥- اليمن الإنسان والحضارة ، ط ٣ ، دار الهنا للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

شمسان ، إيمان أحمد

١٤٦- اليمن في العصر العباسي الأول (١٣٢ ــ ٢٠٣ هــ / ٧٥٠ ــ ٨١٨ م) ، ط ١ ،

دار الثقافة العربية ، الشارقة ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م .

الشنتناوي ، أحمد و آخرون

١٤٧ – دائرة المعارف الإسلامية ، إصدار بالألمانيـــة والإنجليزيـــة والفرنسيـــة وترجم إلى العربية ، مج ١ ، د . ت .

الشيرازي ، السيد أحمد

١٤٨– كيف يكون علي عليه السلام أفضل من الأنبياء ، مجلة المنبر ، العـــدد التجريبـــي ، بيروت ، رمضان ١٤٢٠ هـــ ، ص ٦ ــ ٧ .

صبحي ، أحمد محمود

١٤٩– الزيدية ، ط ٢ ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـــ / ١٩٨٤ م .

ضُومط ، انطوان خليل

١٥٠– الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (١٢٩٠ ــ ١٤٢٢ م) ، ط ١ ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

الطباطبائي ، محمد حسين

١٥١– الشيعة في الإسلام ، ط ١ ، مركز بقية الله الأعظم للدراســـات والنشـــر ، بيـــروت ، ١٩٩٩م

العابد ، مفيد رائف

١٥٢– تاريخ الإغريق دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي حتى ظهور الإسكندر ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، ١٤١٥ هـــ / ١٩٩٥ م .

العبادي ، أحمد مختار

١٥٣–قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعـــة ، الإسكندريـــة ، ١٩٨٨ م .

١٥٤ – دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د . ت .

عبد الرحمن سالم

١٥٥– التاريخ السياسي للمعتزلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠ هـــ / ١٩٨٩ م .

عبد الغني محمود عبدالعاطي

١٥٦– أبو فراس بن دعثم وكتابه السيرة المنصورية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعـــاء ، العدد العاشر ، ١٩٨٩م ، ص ٢٢٤ ــ ٢٦٣ .

ابن عثيمين ، محمد بن صالح

١٥٧- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ،١٤١١هـ ١٩٩٠ م .

١٥٨- القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى ، ط ١ ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

العدوي ، مصطفى

١٥٩- صحيح الأحاديث القدسية ، ط ١ ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

العرشي ، حسين بن أحمد (القاضي)

١٦٠- بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى مُلك اليمن من مَلِك وإمام ، عُني بنشره : الأب انستاس ماري الكرملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٣٩م .

العزي ، عبد الله بن حمود

١٦١ – عرض لحياة وآثار الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (٥٦١ ــ ٦١٤ هـ) ، ط ١ ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .

العسيري ، محمد بن علي مسفر

١٦٢- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي(٥٦٩ ــ ٦٢٦هـ) ، دراسات في تاريخ شبه الجزيرة العربية (١) ، ط ١ ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

علي إبراهيم حسن

١٦٣- التاريخ الإسلامي العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

علي بيومي

١٦٤- قيام الدولة الأيوبية في مصر ، ط ١ ، دار الفكر الحديث ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

علي عبد الحكيم محمود

١٦٥- الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ط ٢ ، دار عكاظ ، جدة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

علي محمد زيد

١٦٦- معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ، ط١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨١ م .

١٦٧- تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري ، ط ١ ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٩٧ م .

عمارة ، محمد (الدكتور)

١٦٨- تيارات الفكر الإسلامي ، ط ١ ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

العمرجي ، أحمد شوقي إبراهيم

١٦٩- الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي (١٣٢ ــ ٣٦٥ هــ) ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .

العمري ، حسين عبد الله

١٧٠- مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني ، دار المختار ، دمشق ، ١٤٠٠ هــ / ١٩٨٠ م

الغالبي ، سلوى سعد سليمان

١٧١- الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن (١٠٥٤ ــ ١٠٨٧ هــ) ، ط ١ ، ١٤١١ هــ / ١٩٩١ م .

أبو غانم ، فضل علي أحمد (الدكتور)

١٧٢- البُنية القبلية في اليمن بين الاستقرار والتغير ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥ هــ /١٩٨٥ م .

١٧٣- القبيلة والدولة في اليمن ، ط ١ ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤١٠ هــ / ١٩٩٠ م .

الفرح ، محمد حسين

١٧٤- اليــمن في تاريخ ابن خــلدون ، ط ١ ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، ١٤٢١هــ / ٢٠٠١ م .

الفضيل ، علي بن عبد الكريم

١٧٥ – الزيدية نظرية وتطبيق ، ط ١ ، المطابع التعاونية ، عمّان ، ١٤٠٥ هــ / ١٩٨٥ م .

الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف (الدكتور)

١٧٦- اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

١٧٧- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة . د . ت .

فنستر ، بربارة

١٧٨ – تقارير أثرية حول بعض المباني الإسلامية في اليمن ، ج ١ ، ترجمة : عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، المعهد الألماني للآثار بصنعاء ، صنعاء ، ١٩٨٢ م .

الفوزان ، صالح بن فوزان

١٧٩- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ط ٦ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

آل كاشف ، محمد حسين الغطاء

١٨٠- أصل الشيعة وأصولها ، ط ٤ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

الكبسي ، محمد بن إسماعيل

١٨١- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

كحالة ، عمر رضا

١٨٢- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

الكرملي ، انستاس مَاري

١٨٣- النقود العربية وعلم النميات رسائل في النقود للبلاذري والمقريزي والذهبي ، مطبعة إلياس الحديثة ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .

لقمان ، حمزة علي إبراهيم

١٨٤ – تاريخ القبائل اليمنية ، ج ١ ، ط ١ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

لويس معلوف

١٨٥- المنجد في اللغة ، ط ١٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت .

مادلونج . و . ف .

١٨٦ – أصول الهجرة اليمنية ، ضمن كتاب : دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، ترجمة وتقديم : نهى صادق (الدكتور) ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢ م .

محسن عبد الناظر

١٨٧ – مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

محمد عبد العال أحمد

١٨٨- الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م .

١٨٩ - بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨ ــ ٩٢٣ هــ / ١٢١٣ ــ ١٥١٧ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م .

محمد كريم إبراهيم (الدكتور)

١٩٠ - عدن دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية (٤٧٦ ــ ٦٢٦ هــ / ١٠٨٣ ــ ١٢٢٨ م) ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٥ م .

محمود شاكر

١٩١- التاريخ الإسلامي ، ج ٦ ، ط٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١١ هــ / ١٩٩١م.

المسند ، صالح علي

١٩٢- كتاب صفات الله عز وجل ، ط ١ ، دار المدني ، جدة ، ١٤١١ هــ /١٩٩٠ م .

المطاع ، أحمد بن أحمد

١٩٣- تاريخ اليمن الإسلامي من سنة (٢٠٤ ــ ١٠٠٦هــ) ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٦ م .

المظفر ، محمد رضا

١٩٤- عقائد الإمامية ، ط ٩ ، دار الصفوة ، بيروت ، ١٤١٣هــ / ١٩٩٢م .

المعتق ، عواد بن عبد الله

١٩٥- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، ط٢ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٦ هــ / ١٩٩٥ م .

المقالح ، عبد العزيز (الدكتور)

١٩٦- قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

المقحفي ، إبراهيم بن أحمد

١٩٧- معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ط ٢ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦ هــ /١٩٨٥ م .

الموسوي ، السيد حسين

١٩٨- لله ثـم للتاريـخ كشـف الأسرار وتبرئـة الأئمـة الأطهـار ، ط ٤ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

الموسوي ، عبد الحسين شرف الدين

١٩٩- الفصول المهمة في تأليف الأمة ، تح : عبد الجبار شرارة ، إصدارات ممثلية سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم رقم (١) ، دمشق ، د . ت .

مؤلف مجهول

٢٠٠- صفحـات مجهولـة من تاريخ اليمن ، تح : حسين بن أحمد السياغي ، ط ٢ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

المؤيدي ، مجد الدين بن محمد بن منصور

٢٠١- التحف شرح الزلف ، ط ٣ ، مكتبـة بـدر ، صنعـاء ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م .

المؤيدي ، يحيى بن محمد

٢٠٢- الإمام الهادي إلى الحق ، ج٢ ، مراجعة وتصحيح : عبد الرحمن بن محمد المروني ، ط ١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م .

الناصر ، محمد حامد

٢٠٣- الجهاد والتجديد في القرن السادس الهجري ، ط ١ ، مكتبـة الكوثـر ، الريـاض ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

نجعان ، محمد حمد

٢٠٤- الصلة بين الإمامية والوهابية ، ط ١ ، مركز عبادي للدراسات والنشـر ، صنعـاء ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م .

نوري ، حاتم

٢٠٥- زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت ، ط ٢ ، مطبعة النهضة ، القاهـرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م .

النونو ، يحيى بن الحسين

٢٠٦- نظام الحسبة عند الزيدية دراسة مقارنة بالمذاهـب الأربعـة ، ط ١، مركز عبـادي للدراسات ، صنعاء ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م .

الهلالي ، سليم بن عيد

٢٠٧- السنة النبوية بين اتباعها و أعدائها ، مجلة الأصالة ، العدد الثالث عشر ، بيـروت ، رجب ١٤١٥هـ ، ص ١٠٢ ــ ١٠٨ .

الهمداني ، حسين بن فيض الله

٢٠٨- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (٢٦٨ ــ ٦٢٦ هــ) ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٦ م .

الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى

٢٠٩- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط ٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦ هــ .

الوائلي ، عبد الحكيم

٢١٠- موسوعة قبائل العرب ، ط ١ ، دار أسامة للنشر ، عمّان ، ٢٠٠٢ م .

ابن الوزير ، زيد بن علي و آخرون

٢١١- حوار عن المطرفية الفكر والمأساة ، كتاب المسار ، العدد الأول ، ط ١ ، مركز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٢٣ هــ / ٢٠٠٢ م .

الويسي ، حسين بن علي

٢١٢- اليمن الكبرى : كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي ، مطبعة النهضة ، القاهرة ، ١٩٦٢م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

Balafier, Mohamed .

213_ *Trésors* ét *Collections* de *Monnaies islamiques des Musées du Yémen,* Thése de Doctorat , 3 tomes , Université de Paris – Sorbonne (Paris IV) , 1994 .

Lowick , N . M .

214_" *The Mansuri and the Mahdawi Dirham" , N . C ,* The Royal

Numismatic Society , London, 1983 , pp . 1 _ 134 .

Madelung , W .

215_ *A mutarrifi manuscript , in proceedings of the VIth congress of Arabic and Islamic Studies* , Stockholm , 1972

216_ *Der Imam al- Qasim ibn Ibrahim und die Claubenslehre der Zaiditen* , Berlin , 1965 .

Nützel , Heinrich .

217_ *Münzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynastie / Coins of the Rasulids Comprising A Synopsis of The History of The Yemenite Dynasty* ,Translated by Dr . Alferd Kinzelbach , Mainz , 1987.

Serjeant , R , B .

218 _ " *A Zaidi Manual of Hisbah the 3rd Century (H)* " , R . S . O , XXVIII, 1953 , pp . 1 _ 34 .

Strothman , R .

219 _ *Die L itterature der Zaiditen Der , Islam Π* , 1911 .

ABSTRACT

This study handles one of the important epochs of the Zaidi state in Yemen . It started with the rise of the Imam al- Mansur Billah Abdullah b. Hamza under the order of the Zaidi chiefdom in 593 A.H . After a long stagnation of more than 20 years on the death of al Mutawakkil ala Allah Ahmed b. Sulayman , this young chief came to revive the hopes of the Zaidis , through the animation of their ancient state in Yemen , and in particular with the availability of the Imamate conditions .

It also discusses the political and military strife that has arisen between the Imam Abdullah b. Hamza and the Ayyubids of Yemen , and his political relations with the different internal and external parties , leave alone the civilized appearances in the Mansuri state .

With regard to the political and military struggle between this Imam and the Ayyubid state , he was able to administer his government's affairs wisely and ably ; despite the big difference in the military and economical capabilities . He was also able to incline some of the revolting Ayyubid officers to his line in order to assist him in his war against it .

While in respect to the political relations of the Imam Abdullah b. Hamza , both internal and external , the Imam had internal relations with various parties such as yemeni tribes , Sultans of Bani Hatim , the Zaidi sherifs and the Qadis of AlNishwan al- Himiyari .

As to the external relations of the Imam , these were with the Zaidids in the Geel, al- Dailam and Tabaristan .Also with the sherifs in al Hijaz and with the Abbaside Caliphate in Baghdad , with the Turks and the kurds in al Sham . What generally distinguishes these relations is that it was divided into two sections . The first is supporting the Imam Abdullah b. Hamza , while the other opposes him .

The Imam was able with a limited capabilities to establish a system of government and administration that include the wilayah , the Hisba , jurisprudence , the army and other offices .He had done important economical actions such as minting the currency (The Mansuri Dirham) .He left for us building monuments which are historically important . The most famous and prominent of them are the fortress and mosque of Zafar Dibin .

With respect to the mental side , Imam Abdullah b. Hamza waded a mental war with the other different Islamic groups such as the Shi‘a ,the Imamiyya and the sunnis . He was assisted by deep knowledge , eloquence and his perfection in the language . But the case with the Mutarrafid group went over from utterances and thoughts to sword and warring on the announcement of his fatwa on the disbelief of this group. He proscribes their blood and money ; by killing the males and capturing the women and the young . Properties and money were confiscated . Books burnt and mosques destroyed . Despite all this no one denies that this Imam was a man of learning , a jurisprudent , a poet and a literary man . He set a number of books in the different types of knowledge .